الشاهنامة

الجزء الثاني

اسكندر وملوك الطوائف والساسانيون

فهـــرس الجـــزء الثـانى

صفحة

٢٠ — الخبر عن سلطان الاسكندر بممالك إيران . وكانت مدة ذلك أربع عشرة سنة ... ١

سير الاسكندر الى قنوج وما جرى بينه وبين ملكها ٧

وصول الاسكندر الى بيت الله الحرام... ... ... ١٠

عبور الاسكندر الى ديار مصر وما جرى بينه وبين قيذافة ملكة الأندلس ١١

تطواف الاسكندر فى أقطار العالم وما رأى فيها من العجائب ١٦

وفاة الاسكندر ٢٧

[شكاة الفردوسى من الشيخوخة والدهر] ٢٩

القسم الثالث — ملوك الطوائف

ذكر ملوك الطوائف (وفى هذا الفصل مدح الملك المعظم) ٣٣

ذكر الساسانية ومبدأ أمر أردشير ٣٩

الخبر عن دودة هفتواذ ٤٣

القسم الرابع — الساسانيون

٢١ — نوبة أردشير بابكان . وكانت مدّة ملكه اثنتين وأربعين سنة ٤٩

قصة سابور بن أردشير مع ابنة مهرك بن نوشزاذ المذكورة ٥٣

نبذ من سير أردشير ٥٤

٢٢ — نوبة سابور بن أردشير وكانت مدّة ملكه ثلاثين سنة ٥٧

٢٣ — ملك هرمز بن سابور بن أردشير . ولم يملك سوى سنة وأربعة أشهر ٦٠

٢٤ — ملك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكانت مدّة ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر ٦٠

٢٥ — ثم ملك بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير تسع عشرة سنة ٦١

٢٦ — ثم ملك بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكان ملكه
أربعة أشهر ٦١

صفحة
٢٧ — ثم ملك نرسى بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكانت مدة ملكه تسع سنين ... ٦٢
٢٨ — ثم ملك هرمز بن نرسى بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكانت مدة ملكه تسع سنين أيضا ٦٢
٢٩ — نوبة سابور بن هرمز بن نرسى . وهو سابور ذو الأكتاف . وكانت مدة ملكه ثمانين سنة ٦٣
٣٠ — ذكر نوبة أردشير أخى سابور ذى الأكتاف، الملقب بالمحسن . وكانت مدة ولايته عشر سنين ٧٢
٣١ — ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف ٧٢
٣٢ — ثم ملك ابنه بهرام بن سابور بن سابور ٧٣
٣٣ — نوبة يزدجرد بن سابور بن سابور ذى الأكتاف . وكانت مدة ملكه سبعين سنة... ٧٣
٣٤ — نوبة بهرام بن يزدجرد ، المعروف ببهرام جور . وكانت مدة ملكه ستين سنة... ... ٨٠
حكاية أخرى ٨٤
حكاية أخرى ٨٥
حكاية أخرى ٨٦
حكاية أخرى لبهرام مع برزين الجوهرى ٨٨
حكاية أخرى له فى وصف خروجه الى متصيده فى صحراء جز... ... ... ٨٩
قصة قيصر الروم وخاقان الصين مع بهرام ٩٢
قصة شنكل الهندى مع بهرام جور وما انتهى اليه أمرها ٩٨
٣٥ — نوبة يزدجرد بن بهرام جور، وكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة ١٠٦
٣٦ — ثم ملك هرمز بن يزدجرد بن بهرام جور . وكانت ولايته سنة واحدة ١٠٧
٣٧ — نوبة فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور . وكانت مدة ملكه ثمانى سنين وأربعة أشهر ١٠٨
٣٨ — نوبة بلاش بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور . وكانت مدة ملكه أربع سنين ١١١
٣٩ — نوبة قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور . وكانت مدة ملكه أربعين سنة ... ١١٣
ذكر خروج مزدك فى عهد قباذ ١١٨
٤٠ — نوبة كسرى أنوشروان . وهو كسرى بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور . وكانت مدة ملكه أربعا وستين سنة ١٢١

صفحة

ذكر عرض الموبذ عساكر أنوشروان ١٢٣
قصة نوش زاذ بن كسرى، وخروجه على أبيه الى آخر أمره... ... ... ١٢٩
ذكر رؤيا رآها أنوشروان كانت السبب فى اتصال بزرجمهر حكيم فارس به ١٣١
قصة مهبوذ الوزير، وماجرى عليه وعلى ولديه ١٣٧
ذكر ما جرى بين أنوشروان والخاقان ١٣٩
ذكر وصول رسول ملك الهند الى أنوشروان، وماجرى بينهما من التهادى بالشطرنج والنرد ١٤٧
ذكر السبب فى وضع الشطرنج ١٥١
ذكر نقل كليلة ودمنة الى خزانة كسرى أنوشروان ١٥٤
ذكر تقلب الزمان على بزرجمهر، وغضب أنوشروان عليه... ... ... ١٥٧
ذكر نبذ من توقيعات أنوشروان ١٥٩
خروج كسرى أنوشروان الى قتال الروم وقصة الخفاف ١٦٢
عهد أنوشروان الى ولده هرمزد، وتدبيره مع بزرجمهر فى ذلك ١٦٥
٤١ — نوبة هرمزد بن كسرى أنوشروان . وكانت مدّة ملكه اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر ١٧٠
خروج ساوه شاه ملك الترك، ووقعة بهرام جوبين معه ١٧٦
ذكر ما جرى بين بهرام جوبين وبين برموذه بن ساوه شاه ١٨٧
٤٢ — نوبة كسرى برويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . وكانت مدّة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ١٩٧
ذكر الواقعة التى جرت بين برويز وبين جوبين ٢١٣
[بكاء الفردوسى على ولده] ٢٢١
ذكر اتصال جوبين بالخاقان، وما جرى فى بلاده الى آخر أمره ٢٢١
قصة شيرين مع كسرى برويز، وحكاية بهربذ المطرب... ... ... ٢٣٦
طاق الديس الذى أعاده برويز ٢٣٩
بناء برويز إيوان كسرى ٢٤٣
ذكر الخبر عن عظم سلطان برويز، وانتظام أسبابه وما تعقب ذلك من زوال ملكه ٢٤٥
٤٣ — نوبة قباذ بن برويز بن هرمز بن كسرى . وهو الملقب شيرويه . وكانت ولايته سبعة أشهر ٢٥١
٤٤ — ثم ملكوا أردشير بن شيرويه بن برويز . وكانت مدّة ولايته سنة واحدة ٢٥٨
٤٥ — ثم ملكوا فرائين فلم يبق سوى شهر وثمانية أيام . ولم يكن هذا الرجل من بيت الملك ٢٥٩

صفحة
٤٦ — ثم ملكوا بوران بنت كسرى أبرويز . وكانت ولايتها ستة أشهر ٢٦١
٤٧ — ثم ملكوا آزرم دخت بنت كسرى أبرويز أيضا . وكانت ولايتها أربعة أشهر ... ٢٦٢
٤٨ — ثم ملك فرخ زاذ . وكانت ولايته شهرا ٢٦٣
٤٩ — نوبة يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز . وهو آخر ملوك العجم . وكانت مدة
ولايته عشرين سنة ٢٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠ — ذكر الخبر عن سلطان الاسكندر بممالك إيران وكانت مدة ذلك أربع عشرة سنة §

قال : (١) لما جلس الاسكندر على سرير السلطنة وعظ من حضر، ونصح وقال : إن أبوابنا مفتوحة للتظلمين . ولو أتونا فى جنح الظلام لكنا بأيديهم آخذين . واذ توجنا الله بتاج السيادة وفتح لنا أبواب السعادة فحق علينا أن نحسن الى الرعية برا وبحرا وحزنا وسهلا . وقد أعفيناهم عن خراج خمس سنين . ولا نتعرض إلا لمن يدعى مشاركتنا فى الملك أو كان من المارقين . وسنغنى بأيادينا جميع الفقراء، ولا نمد بأيدينا الى ما فى أيدى الأغنياء .

ثم استحضر الكاتب فكتب الى إصبهان الى زوجة دارا كتابا يعزيها فيه، وشحنه بأنواع من التلطف والتعطف، وقال فيه أن دارا زوّجه ابنته روشنك . وشهادات الحاضرين بذلك ناطقة .

---

٢٠ — الاسكندر §

يستمد الفردوسى فى هذا الفصل وفصلى داراب ودارا السابقين، الروايات اليونانية .

وسيرة الاسكندر التاريخية والخرافية معروفة فى المشرق والمغرب، لا أجد حاجة الى بيانها هنا ، ولا يتسع المجال لقياس ما فى الشاهنامه منها بما فى الكتب الأخرى العربية واليونانية وغيرها .

لما رحل الإسكندر لغزو المملكة الفارسية، والانسياح فى المشرق استصحب طائفة من العلماء بين مؤرخ وجغرافى ونباتى وغير ذلك . فأنتجت رحلته طائفة من الكتب، فى بعضها ضرب من المبالغة والتوهم . ورأى الجند فى هذه المغازى البعيدة، من البلاد والأمم والمرائى المختلفة والحوادث ما بهرهم . ثم رجعوا الى ديارهم يغلون فى وصف ما رأوا، ويتزيدون فى القول، ليروا الناس أنهم اقتحموا من المهالك ورأوا من العجائب ما لم يره أحد . ثم أضافت العصور الى القصة قصصا =

---

(١) حذف المترجم هنا أبياتا فى مدح السلطان محمود ليس فيها فائدة تاريخية .

فجهزوها وأرسلوها فى مهدها الى اصطخر فى صحبة مو بذ إصبهان وأكابر ايران . وكتب فى هذا المعنى كتابا آخر الى روشنك. ونفذ الكتاب على يدى فيلسوف. فلما وصل أكرمته زوجة دارا فأحسنت[1] اليه . وأحضرت الكاتب وأمرته أن يكتب جواب كتابه . فكتب كتابا يشتمل على ذكر توجعها على صاحبها وتسليها بمكان الاسكندر بعده، وأنها تسأل الله تعالى إدامة ملكه . وقالت : قد بلغنا ما عاملت به الملك وظهر منك من الشفقة والعاطفة ، وما أقمته من مراسم عزائه، وصنعته من الاقتصاص له من أعدائه . وأنت الآن لنا بمنزلة ذلك الملك الدارج . فلا زلت ممتعا بشرف المراتب ورفعة المعارج ، مخلد الذكر على تعاقب الأيام وترادف الشهور والأعوام . وأما ما ذكرت من حال روشنك فانا قد سررنا بهذه المصاهرة المباركة . فالله تعالى يقرنها بالخيرات والسعادات . وهى أمتك ونحن جواريك مصرفات تحت أوامرك ونواهيك » . وردوا الفيلسوف بجواب الكتاب . فلما عاد الى الاسكندر أخبره بجلالة قدر روشنك وفخامة شأنها، وما شاهد فى دارها من البهاء والأبهة والرواء والروعة . فأعجبه ذلك . ثم نفذ الى عمورية واستقدم أمه . فلما قدمت عليه أرسلها الى إصبهان . وأصحبها تاجا وسوارا وطوقا مع أحمال من الثياب وغيرها، وثلاثين ألف دينار برسم

= وزادت كل أمة شيئا من أخبارها وأساطيرها . فصار الاسكندر بين الأمم بطل الوقائع وبطل الأساطير .

وفى مصر التى فتحها الاسكندر وورثها بطليموس أحد قواده ، فى الاسكندرية التى بناها ودفن فيها — ألفت أخبار الاسكندر وجمعت أشتاتها، واتخذت صورة قصة طويلة مفصلة . ويظهر أنها ألفت فى القرن الثالث الميلادى .

ومؤلف القصة مجهول ، ولكنها تنسب فى بعض النسخ الى المؤرخ كِلِستِنيس أحد أقرباء أرسطو ، الذى صحب الاسكندر فى غزواته[2] .

وقد ترجمت القصة الى اللاتينية والأرمنية وغيرهما . ثم ترجمت فى القرن السابع الميلادى الى الفهلوية ثم ترجمت منها الى السريانية . والترجمة السريانية موجودة ومنها استدل الأستاذ نُلدكه على أن ترجمة فهلوية كانت، ونقلت السريانية عنها .

وقد ألفت فى القرن الخامس الميلادى قصة للاسكندر فيها صبغة نصرانية ، ونظمها بعد قليل الشاعر السريانى يعقوب السروجى[3] المتوفى عام ٥٢١ م. وقد عرفت هذه القصة بين العرب بعدُ=

---

(١) طا : وأحسنت . (٢) ورز، ج ٦ ص ١٣ (٣) =ص ١٤ وما بعدها .

النثار، وثلثمائة من الجوارى الروميات . وصحبها عشرة من علماء الفلاسفة ليترجموا بين يديها . فلما قربت من إصبهان استقبلها أعيان المدينة وأكابرها وعلماؤها وأماثلها . وتلقتها[1] زوجة دارا فدخلت بها وأنزلتها فى إيوانها . ثم هيأت جهاز ابنتها وفيه من الذهبيات والفضيات والملابس والمفارش أحمال محملة مع ما انضم الى ذلك من الخيل والأسلحة . ورتبت أربعين مهدا لمن يصحب مهدها من النساء من الحرائر والإماء . قال : وأعدّت لها خاصة مهدا على رأسه مظلة مرصعة . فخرجت مع أم الاسكندر متوجهة الى اصطخر . فلما وصلت و رآها الاسكندر تعجب من جمالها وكمالها وحسن سمتها وحيائها . ولما تمت له هذه الوصلة وطنت ملوك إيران وأكابرها النفوس على طاعته وملازمة الإخلاص فى خدمته . فعمر من تلك الممالك ما خرب من بلادها ، وغمر بالعدل والإحسان أهل رباعها وديارها — قلت : ومن آثار عمارة الاسكندر فى ممالك إيران مدينة بإصبهان يقال لها جىّ بنيت على مثال الحية[2] وثلاث مدائن بخراسان منهن مدينة هراة ومدينة مرو، ومدينة سمرقند .

قال : ولما استتبت أموره بإيران عزم على قصد ملك من ملوك الهند[3] يسمى كَيدا ، وجرّ العساكر اليه ، وسار الى أن وصل الى مدينته التى تسمى ميلاب . فنزل عليها وكتب اليه كتابا يأمره فيه بالخروج الى خدمته ، والدخول تحت طاعته . فلما وصل اليه الرسول و وقف على الكتاب أكرم

= وكانت منشأ ما فى الكتب العربية من أساطير الاسكندر أو ذى القرنين ، وفى الشاهنامه صورة منها .

وقد تغير رأى الفرس فى الاسكندر على مر القرون : كان يسمى الاسكندر اللعين الذى دمر المملكة وأحرق كتب زردشت ، فصار الاسكندر ذا القرنين الموحد العابد ، الفارسى ابن الملك داراب وأخا دارا . وبذلك صالحوا الاسكندر وغسلوا عن تاريخهم عار الهزيمة أمامه . كما ادعاه المصريون وجعلوه ابن الملك نخت نبف آخر الفراعنة الذى هزمه أرتخشيرشا أخوس الملك الفارسى سنة ٣٤٣ ق م . وقصة ذهابه الى مقدونية وسحره أُليمبياس امرأة فيليب ، وتزيينه لها ولزوجها أن تلد ولدا من الإله أمون ذى القرنين ، وتمثله هو فى صورة هذا الإله الخ . قصة عجيبة معروفة .

ثم قصة الاسكندر فى الشاهنامه ١٩٥٥ بيت فيها العناوين الاتية :

(١) فاتحة القصة . وقد حذف منها المترجم مدح السلطان محمود . (٢) كتاب الاسكندر الى دلاراى أم روشنَك (دلاراى زوج دارا) . (٣) جواب دلاراى الى الاسكندر . (٤) إرسال =

(١) صل : وتلقته . والتصحيح من طا . (٢) طا : الجنة . (٣) صل : قصد ملوك الهند . والتصحيح من طا .

الرسول وأجلسه بجنبه وأحسن اليــه . وكان قد رأى رؤيا فقصها على معبر من البراهمة فأشار عليــه فى تعبيــرها بطاعة الاسكندر وترك مخالفتــه . فكتب جواب كتابه ، وذكر فيه أن له أربعة أشياء لا يملكها أحد غيره ، ولا مثل لهــا فى جميع العالم . قال : وإن أمر الملك نفذتها اليــه ثم حضرت بنفسى بين يديه . فبعث الاسكندر اليــه يسأله عن الأشياء الأربعة . فقــال : أحدها بنت وراء سترى[1] ليس لهــا نظير فى الحسن والجمال وكمال الآداب . والثانى جام اذا ملأته بالمــاء أو بالشراب[2] لم ينقصه الشرب منــه وإن شربت منه مع الندماء عشر ســنين . والثالث طبيب إن أقام[3] مع الملك لم يصبه داء مدّة حياته . والرابع فيلسوف يخبر الملك بجميع ما يكون قبل وقوعه . فنفذ اليه الاسكندر تســعة أنفس من ثقاته ومشايخ فلاسفته ليستوضح ما قال، ويقف على صحته . فلما أتوه أمر بتزيين ابنتــه ثم أذن لهم فى الدخول اليهــا . فلما وقعت أبصارهم عليها بهتوا لمــا شاهدوا من صورتها وجمالها، واعترتهم حيرة ، وغشيتهم سكرة حتى بقوا عندها زمانا طويلا وهم لا يشعرون . فلما أبطئوا على الكيد أرسل اليهم يستحضرهم . فلما حضروا قال لهم : قد أطلتم عندها المقام . فقالوا : أيهــا الملك ! إنا لم ننظر اليها ، ولمــا تمت رؤيتنا لهــا ، ولا لبثنا عندها أكثر من سلام وجواب . ثم إنهم كتبوا الى الاسكندر يعلمونه بصفة البنت . فأرســل يطلبها مع الجــام والطبيب والحكيم . فبادر

= الاسكندر أمه ناهيد الى روشنك وتزوجها . (٥) رؤيا كيد ملك الهند وتعبير مهران إياها . (٦) ذهاب الاسكندر الى كيد وكتابته اليه . (٧) جواب كيد وعرضه وإرساله أربع عجائب . (٨) إرجاع الاسكندر الرسول لأخذ العجائب . (٩) إرساله عشرة من الحكماء لرؤية العجائب الأربع . (١٠) إحضارهم بنت كيد والطبيب والحكيم والكأس . (١١) امتحان الاسكندر الحكيم والطبيب والكأس . (١٢) قيادته الجيوش الى فور الهندى وكتابته اليه . (١٣) اجابة فور . (١٤) صف الجيوش لحرب فور، وصنع خيل وفرسان من الحديد وملؤها نفطا . (١٥) محاربته فورا وقتله ، ونصب سَوُرك مكانه . (١٦) حج الاسكندر بيت الله الحرام . (١٧) سوق الجيوش من جدّة الى مصر . (١٨) كتابه الى قيدافه ملكة الأندلس، وجوابها . (١٩) قيادته الجيوش الى الأندلس وفتحه قلعــة الملك فريان . (٢٠) الاسكندر يذهب رســولا الى قيدافه فتعرفه . (٢١) نصح قيــدافه الاسكندر . (٢٢) طينوش بن قيدافه يغضب على الاسكندر فيحتال الاسكندر له . (٢٣) معاهدة الاسكندر قيدافه ورجوعه الى جيشــه . (٢٤) ذهابه الى أرض البراهمة وسؤاله عن أسرارهم ، وإجابتهم . (٢٥) ذهابه الى البحر الغربى ورؤيته =

(١) طا : ستورى . (٢) صل : بالمــاء والشراب . والتصحيح من طا . (٣) صل : قام . والتصحيح من طا .

كَيد الامتثال، وجهز بنته، ونفذها اليه مع الأشياء الأخر . فبنى بالعروس وأعجبه ما رأى من جمالها وكمالها . ثم تفرغ لتجربة الفيلسوف فنفذ اليه جاما مملوءا من السم، وأمره أن يطلى به أعضاءه حتى يزول عنه تعب الطريق ونصبه . فرمى العالم فى الجام ألف إبرة، وردّه اليه . فأمر الاسكندر فسبكت الإبر، وجعلت بيضة حديد ونفذها الى الحكيم . فعمل الحكيم منها مرآة مصقولة وبعثها اليه . فأخذها الاسكندر ودفنها تحت الأرض حتى نديت وصدئت ثم ردّها اليه . فأخذها وجلاها وصقلها بأدوية مركبة بحيث لا يعود جوهرها(١) يصدأ بعد ذلك، وردّها الى الاسكندر . فأحضره الاسكندر وسايله عن مقاصد ما جرى من الرموز . قال : أردت بإلقاء الإبر فى السم الإشعار بأن السم ينفذ فى المسام ويتغلغل حتى يبلغ اللحم والدم والعظم مثل صنيع الإبر . وأما سبك الملك الإبر واتخاذها بيضة حديد فهو إشارة منه الى أن قلبه قد صار فى هذه الخطوب والوقائع مثل بيضة الحديد، فهو لا يدرك المعانى الدقيقة والرموز الخفية . فعملتُ منها مرآة إشارة الى أنى بحذق فى صناعتى ومهارتى فى علمى أصيّر قلب الملك كالمرآة فى الصفاء . وأما ردّ الملك إياها صدئة فهو إشارة منه الى أن قلبه كان(٢) كالمرآة ولكنه صدئ من كثرة إراقته الدماء . فصقلتها ثانيا ورددتها اليه إشعارا منى بأنى سوف أجلو بالعلم السماوى قلبه، وأنفى عنه كل غين ورين . فاستحسن الاسكندر ذلك منه وأمر باحضار جملة من الذهب والفضة والثياب مع جام مملوء جوهرا . وأمر بدفع جميع ذلك الى الفيلسوف . فامتنع من قبوله وقال : إن معى جوهرا مكنونا لا يحوجنى فى الليل الى حارس، (١٣٢)

= أعاجيب . (٢٦) ذهابه الى أرض الحبش، ومحاربته وانتصاره. (٢٧) ذهابه الى أرض نرم پاى، وانتصاره عليهم، وقتله تنينا، وصعوده جبلا، وإنذاره بالموت . (٢٨) ذهابه الى مدينة النساء مدينة هروم، ورؤيته أعاجيب هناك . (٢٩) ذهابه فى الظلمات طالبا عين الحياة، وتكلمه مع الطير وإسرافيل . (٣٠) ذهابه الى المشرق ورؤيته أعاجيب وبناء سدّ يأجوج ومأجوج . (٣١) رؤية ميت فى قصر من الياقوت الأصفر . (٣٢) قصده بلاد الصين وذهابه رسولا الى فغفور ورجوعه بالجواب . (٣٣) رجوعه من الصين ومحاربة السند وذهابه الى اليمن . (٣٤) سيره الى بابل وعثوره على كنز كيخسرو فى مدينة . (٣٥) كتابته الى أرسطاليس وتلقى جوابه . (٣٦) كتاب الاسكندر الى أمه . (٣٧) موت الاسكندر وحمل تابوته الى الاسكندرية . (٣٨) رثاء الحكماء الاسكندر . (٣٩) نحيب أمه وزوجه . (٤٠) شكاية الفردوسى من الشيخوخة والدهر . وقد حذفها المترجم . =

---

(١) طا : جوهر المرآة . (٢) طا : كان مرة كالمرآة .

ولا أخشى عليه فى الطريق من سارق . ويكفينى من هذه الدنيا مطعم وملبس، ولا تسرنى الزيادة عليهما ، وأكره أن أكون حارسا لغيرهما . فتعجب الاسكندر من ذلك وقال : إنى مؤثر لرأيك الثاقب وكلامك النافع وعلمك الوافر . §

قال : وأمر باحضار الطبيب فسأله عن أعظم أسباب الأمراض . فقال : أن يأكل الرجل فاضلا عما يحتمله المزاج، ولا يضبط نفسه عند حضور الطعام . ثم قال : وإنى سأركب لك دواء اذا استعملته كنت أبدا صحيح الجسم، قوى النفس، مسرور القلب، مشرق اللون، منجذب الطبع الى أعمال الخير، ثم لايعتريك معه الشيب، ولا يضرك كثرة الأكل، ويزيد فى شهوتك وحفظك ودمك، ولا تحتاج بعده الى شرب دواء آخر . فقال الاسكندر : إن فعلت ذلك كنت عندنا الموقر المكرم . وخلع عليه وأكرمه، وقدمه على جميع من بحضرته من الأطباء . فصار الى بعض الجبال وجمع الحشائش التى هى أخلاط ذلك الدواء . ولما فرغ من عمل الدواء الجبلى غسل به عقب الملك . وكان من بعد يلازمه ويحفظ صحته . قال : وكان الاسكندر كثير الباه مكثرا من الاستمتاع بحظاياه . فأحس الطبيب بضعف فى مزاجه، وقال : إن مضاجعة النساء تجعل الشبان شيبا . ولا أشك أنها قد أثرت فى الملك . فأنكر الاسكندر ما توهمه الطبيب من ضعفه، وقال : أنا نشيط النفس قوى المزاج . فلم يقبل الطبيب ذلك منه . وركب دواء يزيل الضعف . فنام الاسكندر تلك

---

§ كيد الذى يسميه المسعودى كند ، ويسميه اليعقوبى كيهان يظهر أنه الملك الذى يذكره مؤرخو اليونان باسم أُمفيس ملك تكسيلا ، وكان مسالما موادًا للإسكندر .

وأما الفيلسوف الذى أرسل الى الاسكندر فقد حكى أُنِسكريتوس أن الاسكندر أرسله الى طائفة من عباد الهند فرأى خمسة عشر رجلا بين قائم وقاعد ومضطجع عراة فى الشمس ، وأنه كلم اثنين منهم : كلانوس ومندانِس وكان مندانس أسنهما وأحكمهما (١) . وكان كلا الفيلسوفين يقيم فى تكسيلا أيضا .

وقد صحب كلانوس الاسكندر حينما رجع الى فارس ثم مرض فأَحرق إجابة لرغبته . وقد تناقلت الروايات اليونانية هذه القصة فى صور مختلفة (٢) .

وقد أطال المسعودى فى مروج الذهب، الكلام عما كان بين الاسكندر وكيد والفيلسوف ، بعنوان « ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند » .

(١ و ٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦١

الليلة وحده ولم يقرب أحدا من نسائه . فلما أصبح الطبيب دخل بالدواء عليه فنظر الى دليله فأراق ذلك الدواء، وقعد مع ندماء الملك فى مجلس العيش والطرب . فقال الاسكندر : ما الذى أوجب إراقتك للدواء بعد أن تعبت فى تركيبه؟ فقال : إن الملك قد نام البارحة وحده فزال عنه ذلك الضعف . واذا نمت أيها الملك منفردا لم تحتج الى الدواء أبدا . فضحك الاسكندر وتعجب من حذقه . ثم أمر له بخلعة و بدرة من الذهب، وفرس أدهم ذهبى السرج واللجام .

ثم إنه أمر بإحضار الجام الأصفر فجاءوا به مملوءا من الماء البارد . فجعل الحاضرون يشربون منه من أول النهار الى وقت النوم فلم ينقص ماؤه . فتعجب الملك . وقال : إنه لانظير للهنود فى الصناعات والعلوم ، و إنهم و إن كانوا قد حرموا حسن الوجوه فقد رزقوا حسن الأفعال . ونحن بعد هذا لا نقول فى بلادهم بلاد الهند بل نقول بلاد السحر . فالتفت الى الفيلسوف وسأله وقال : زيادة الماء فى هذا الجام مستندة الى النجوم أم الهندسة(١)؟ فقال أيها الملك! لا تستصغر شأن هذا الجام . فقد صرفوا الى صنعته زمنا طويلا ، وقاسوا منه تعبا كثيرا . ولما عزم الكيد على اتخاذه جمع عليه حذاق المنجمين ، واستحضر من أهل كل إقليم أعلمهم بصناعة التنجيم . فطبعوه على طبائع النجوم فهو يجذب بخاصيته الماء من الفلك باذن الله، و يستدره من الهواء بحيث لا تدركه حاسة نظر الانسان . وهو كحجر المغناطيس فى جذبه الحديد . فلا يزال مملوءا لا يتطرق اليه نقصان . فتعجب الاسكندر وقال : إنا نكتفى من الكَيد بهذه الأشياء الأربعة ، ولا ننقض عهده أبد الدهر، ولا نطالبه بشىء آخر مدة العمر . ثم إنه أوقر مائتى دابة ذهبا وجوهرا، وصار بها الى بعض تلك الجبال وحفر فيها حفائر كثيرة، وكنز فيها تلك الأموال الوافرة، وأهلك الذين تولوا حفرها وقاسوا أمرها .

ذكر مسير الاسكندر الى قنّوج وما جرى بينه وبين ملكها(٢) §

قال: ثم ارتحل الاسكندر من ميلاب وتوجه الى قنوج . وكان لها ملك يعرف بفُور . فكتب اليه كتابا قال فيه : واذا وقفت على هذا الكتاب فتحوّل من ظهر التخت الى ظهر الفرس، وأقبل

§ الذى كتبه مؤرخو اليونان أن الاسكندر بعد أن عبر نهر السند وصالح ملك تكسيلا(٣) ترك حامية فى هذه المدينة ثم سار الى نهر جيلم وكان پُروس (فور) قد حشد جنده وأفياله ليحول دون عبور النهر. وعمّى الاسكندر سيره على فور ثم عبر ليلا والريح عاصفة والمطر هاطل فأسرع اليه ابن الملك فور فهزمه =

(١) طا : مستندة الى النجوم أم الى الهندسة . (٢) طا : ملكها فور .

(٣) كانت أعظم مدينة فى البنجاب . ولا تزال أطلالها بين أتوك وروال پندى . سيكس (Sykes) ج ١ ص ٢٧١ .

الى الخدمة، ولا تشاور أحدا فى ذلك حتى لا يطول عليك الأمر . فلما وصل الكتاب اليه استشاط الهندى وهاجت ز براؤه وتنمر . فأجاب عن كتابه وقال فيه : الحمد لله الذى لم يجعلنا ممن يتعدّى فى كلامه طوره، ولا ممن يتهجم على أمر لم يسبر غوره . كيف تستنهض مثلى الى خدمتك ولا تشاور نفسك ولا تراجع عقلك؟ وكأنك لا تعلم أنى فور بن فور الذى لم يحتفل قط بأحد من القياصرة . فإن كان أبوك تجاسر من أبى على مثل ذلك فتجاسر عليه. وكأنك اغتررت بنكبة دارا حين انقضت أيامه، وأُخفِر ذمامه، فأقبلت مدلا بباسك وشدّة مراسك. فلا تظهرن فى الإقدام علينا جسارة، ولا تأمنن فى الجرأة على معاملة الملوك خسارة» . فلما وقف الاسكندر على جوابه استعدّ لقتاله وسار اليه . وكانت الطرق الى بلاده وعرة فأبدع با كثر عساكره . فضج الروم منهم اليه وقالوا : الرأى أن (١٣٢) نرجع عن هذا الوجه . فاغتاظ الاسكندر وزجرهم وقال : حسبى الله ناصرا ، ثم فرسان إيران أنصارا . فارجعوا أنتم فما لى فيكم من حاجة . فاعتذروا اليه عند ذلك واستقالوه العثرة فصفح عنهم الملك (١) . ثم إنه قدّم مائة ألف فارس من الايرانيين وأتبعهم بأربعين ألفا من الروم . ورتب خلف الروميين أربعين ألفا من فرسان مصر وآسادهم المذكورين . وسار بنفسه خلفهم فى اثنى عشر ألفا من أكابر إيران، وأقارب دارا المنتمين الى الشجرة الكيانية والدوحة الخسروانية، ومعه ستون نفسا من فلاسفة الروم وعلمائهم المنجمين . فلما بلغ الخبر بذلك الى فور حشد واحتشد و برز فى جنوده وفيلته . فقال للاسكندر من كان معه من دهاة الهند : إن مع فُور فيلة عظاما لا تستطيع خيلنا بين يديها ثباتا ومقاما . فاجتمع أصحاب الرأى وتفكروا فى الاحتيال لدفع معرة تلك الفيلة . فعملوا صورا من الحديد مجوّفة على أشكال الخيل ، وعليها ركابها بصفتها وكيفيتها لكى يحشوها نفطا و يطرحوا فيها النار عند الملاقاة . حتى اذا صدمتها الفيلة احترقت خراطيمها وولت . فارتضى الاسكندر ذلك واستحسن ما عملوا . فأمر من كان معه من صناع مصر والروم

= الاسكندر وقتله . ثم كانت الموقعة بين الاسكندر وفور . وقد قدّم فور مائتى فيل أمام جيشه فاحتال الاسكندر حتى باغت الهند من خلفهم . وانتهت الملحمة بهزيمة الهند وأسر فور فأكرمه الاسكندر ورد اليه ملكه . وذلك سنة ٣٢٦ ق م .

فالذى قتل فى الحرب ابن فور لا فور نفسه كما تقص الشاهنامه . وأما الخيل النحاسية ومبارزة الاسكندر فورا فمن الخرافات .

---

(١) المعروف فى التاريخ أن إباء الجند التقدّم مع الاسكندر إنما كان بعد محاربة فور، والتوغل فى الهند . وأن الاسكندر اضطر الى الاذعان لهم فرجع الى الغرب .

وغيرهم فعملوا صورا كثيرة على ذلك المنوال وحشوها بالنفط، واجتروها الى المعترك . ولما كان يوم القتال صف منها الاسكندر صفوفا مرصوصة فأقبل فور فى جموعه وفيوله، وشياطين رجاله وخيوله . فأمر الاسكندر بإلقاء النار فى أجواف الصور فاضطرمت . فتقدمت الفيلة فأشرعت خراطيمها نحوها لتختطفها . فلما وجدت مس النار نكصت على أعقابها ، وقلبت ظهر المجن على أصحابها، وأنحت عليهم بخراطيمها وأنيابها . فانهزموا وركب الاسكندر بأصحابه أكتافهم، وأتبعهم الى أن غربت الشمس فنزل بين جبلين، وبث الطلائع وأمر بحفظ الطرق . ولما تنصب حاجب الشمس وتشعشعت أنوارها ارتجت الأرض بأصوات البوقات ونفخات القرون والنايات، واصطفت عساكر الهند كظلمات بعضها فوق بعض . فتلقاهم الاسكندر بصفوفه وجنوده . فلما تقابل الفريقان وتوازى الجمعان خرج الاسكندر من الصف وبيده سيف مهند فنفذ فارسا الى فور يسأله أن يبرز اليه من الصف ويسمع كلامه شفاها . فخرج اليه فقال له الاسكندر : إنى وإياك ملكان متنازعان، وكل واحد منا يمت بشجاعته ، ويدل بقوّته فلا ينبغى أن يكون القتل والقتال نصيب عساكرنا . والرأى أن نتبارز، وكل من غلب منا يكون له الأمر على عساكر صاحبه . ليستريح هذا العدد الكبير والجم الغفير من القتل والفتك . فأفكر فور فرأى نفسه فى قوّته (1) كركن من علم ، ورأى الاسكندر فى نحافته كشقة قلم . ورأى تحته فرسا كثعبان ، ورأى تحت الاسكندر فرسا كقضيب بان . فاغتنم إجابته الى المبارزة ، ووثق من نفسه . فتقدّم الاسكندر ، وكأنه خاطبه بما عبر عنه الشاعر حيث يقول :

هلم الى نحيف الجسم منى لتنظر كيف آثار النحاف
ألم تر أن طائشه لظاها نتيجة هذه القُضُب العجاف
ولى جسد كواحدة المثانى له كبد كثالثة الأثافى

قال : فتبارزا وتصاولا ساعة فأوجس الاسكندر خيفة فى نفسه وندم على مبارزته إياه . فأتفق أن سمع الفور جلبا وشغبا من خلفه فألتفت فضربه الاسكندر بسيفه ضربة نزلت من عاتقه الى صدره ، فخر قتيلا . وماج الهنود بعضهم فى بعض فعزموا على الثبات للحرب . فنادى منادى الاسكندر : يا أكابر الهند ! ما بالكم تقدمون على إراقة الدماء وتخوضون غمرة الهيجاء ؟ اعلموا أن الإسكندر قد صار فورا، فلا تستشعروا منه حذارا ولا نفورا . واستأمنوا إليه، وعوّلوا فى حفظ نفوسكم عليه . فلما علموا بقتل ملكهم طرحوا الأسلحة فبادروا الى خدمة الإسكندر حاسرين، وتمسكوا بعصم الأمان مستجيرين . فردّ الإسكندر عليهم أسلحتهم، ووعدهم ومناهم وقال : إن

(1) صل : فى قومه . والتصحيح من طا .

خزائن صاحبكم علىّ حرام، وسأفرقها عليكم . فلا تطرقوا الى قلوبكم حزنا، وثقوا منى بالحسنى . فإنى سأجذب بأضباع الهنود، وأجعلهم أصحاب الأعلام والبنود . ثم إنه دخل الى دار ملك فور وجلس على تخته وأقام بها شهرين . وفرّق جميع ذخائره ودفائنه على العسكرين . وكان فيهم بهلوان كبير يسمى شورك فولاه ممالك الهند، وأقامه فيها مقام نفسه ، وأوصاه وقال : إياك وٱكتناز الذهب فإنه للذهاب ، ولا تعمر خزائنك فان مصيرها الى الخراب . ثم ارتحل منها موصول الحاجة بالنجاح[١] وسار قاصدا قصد الحجاز .

ذكر وصول الاسكندر الى بيت الله الحرام (أ)

قال : فسار الإسكندر موليا وجهه شطر المسجد الحرام لزيارة بنيّة إسماعيل عليه السلام التى أضافها الله المنزه عن المكان الى نفسه ودعا بيته الحرام . وإنما نسبه الى نفسه ليعرف الناس طهره، ولكى يولوا وجوههم شطره، ويأتوه من كل فج عميق، وينثالوا عليه من كل مرمى سحيق . ولم يزل منذ كان موطنا للطاعات ومهبطا للخيرات . قال : ولما وصل الإسكندر الى القادسية بلغ الخبر الى نصر ابن قتيب، وكان ممن يتزين به الحرم، فركب فى جماعة من فرسان العرب، وأقبل الى الاسكندر . ولما قرب من مخيمه تقدّمه فارس وأخبره بوصول نصر، وأعلمه أنه من أولاد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن[٢] . فاستقبله الإسكندر وأوسعه تبجيلا و إعظاما ، وتفخيما و إكراما . فسر نصر بذلك ثم أخبره بنسبه وأفضى إليه بعجره وبجره، وسأله الإسكندر ذات يوم وقال : أيها السيد الصادق ! من الذى يتولى أموركم ويتقلد السلطنة فى بلادكم ؟ فقال أيها الملك ! إن صاحبها رجل يقال له خزاعة، و إن إسماعيل[٣] لما توفى جاء قحطان من البادية فى عسكر كثير فٱستولى على ممالك اليمن والحجاز، (١٣٤)
وٱنتزعها من أيدى آل إسماعيل فملأها ظلما وجورا، وقتل خلائق من أهلها صبرا . ولما مات قحطان خلفه خزاعة فبقيت البلاد تحت ظلمه وحكمه فهى الآن من أقصى اليمن الى بحر مصر فى يده وبأمره . وآل إسماعيل[٤] مستشكون من جوره وحيفه . فلما سمع الاسكندر ذلك قهر خزاعة ومن ينتسب إليه فٱنتزع الملك منهم وقرّره[٥] فى ذرية إسماعيل[٦] . ثم قصد الكعبة المعظمة راجلا وطاف بها، وأفرغ على أهل الحرم أموالا كثيرة حتى أغناهم أجمعين . ثم أعطى نصرا كنزا من الذهب وارتحل من مكة مشكور السعى موفور الأجر .

(أ) هذا الفصل مما زاده المسلمون على قصة الاسكندر . وفى الأخبار الطوال أن الإسكندر سار الى اليمن ثم مكة، وأن الذى كان هناك النضر بن كنانة .

(١) طا : بالنجاز . (٢) طا : صلوات الله وسلامه عليهما . (٣) طا : صلوات الله عليه .

(٤) طا : عليه السلام . (٥) صل : قرّرها . والتصحيح من طا . (٦) طا : صلوات الله عليه .

ذكر عبور الإسكندر إلى ديار مصر وما جرى بينه وبين قَيذافه ملكة الأندلس §

قال: بجز العساكر إلى جُدّة، وأمر أصحابه باتخاذ السفن والزواريق، وركب البحر وعبر إلى ديار مصر. فاستقبله ملكها، وكان يسمى قَيطون، بالهدايا والتحف والمباز والخدم. فدخل مصر وأقام بها سنة. قال: وكان مُلك الأندلس إلى امرأة كانت تسمى قيـذافه. وكانت ذات شوكة عظيمة وعساكر كثيرة وممالك فسيحة. وكانت قد نفـذت إلى مصر مصورا وأمرته أن يبصر الاسكندر ويرسم صورته على حريرة يحملها اليها. فجاء المصور وصوّر صورة الاسكندر قائمـا وقاعدا وراكبا، متبذلا ومتجملا، حاسرا ومتسلحا. فانصرف بها إلى صاحبته.

فاتفق أنه جرى ذات يوم عند الاسكندر ذكر قيذافه فسأل الاسكندر عن حالهـا قيطون ملك مصر. فوصف له ما تخصصت به هذه المرأة من بسطة ملكها ونفاذ حكمها. وذكر أن لهـا مدينة من الحجارة طولها أربع فراسخ فى عرض مثلهـا. وهى مشحونة بالأموال والرجال. فكتب اليهـا

---

§ يعجب القارئ من هذا العنوان وممـا تضمنه هذا الفصل، حين يجد مصر والأندلس تذكران معا كأنهما بلدان متجاوران، وحين لا يجد فى الأسطورة ذكر لمـا بين مصر والأندلس من البلاد. والظاهر أن كلمة « الأندلس » وضعت هنا غلطا. ومن أجل ذلك تنفرد بها الشاهنامه. والروايات اليونانية تجعل مكان القصة "مملكة سميراميس" وتجعل قيذافه من ذرّية سميراميس.

وفى الأخبـار الطوال تسـمى مرة ملكة المغرب ومرة ملكة سمرة، ومن أجل ذلك يذكر فتح القيروان قبل المسير الى قيذافه. ويسميها الثعالبى فى الغرر ملكة القبط.

فاذا فرضنا أن مكان الأسطورة بلد قريب من مصر فهل فى التاريخ أحداث أو أسمـاء يمكن أن تكون منشأ هذه القصة ؟

الملكة قيذافه تذكر فى الروايات اليونانيـة والسريانية باسم كندكه. واذا كتبت هـذه الكلمة بالقاف بدل الكاف كانت قندقه. ويسهل تحريفها فى الخط العربى الى قيدافه. وليس بعيـدا أن الفردوسى أخذ هنا عن رواية عربية. واذا عرفنا أن قيذافه فى الشاهنامه محرّفة عن كندكه، ألفينا صلة بين الأسطورة والتاريخ: يعرف التاريخ منذ عهد بعيـد أن ملكات بلاد الجزيرة من السودان المصرى كن يسمين كنداسه (Candace) وكأنه اسم الأسرة التى ينتسبن إليها. =

الاسكندر كتابا يأمرها فيــه بالتزام الخراج له وأدائه اليــه، وتوعدها بأنها إن لوت رأسها عن ذلك لم يخاطبها إلا بالسيف . وجعــل ينبهها على الاعتبار بدارا، وفور فإن فى الأعتبار(١) بهما ما يغنيها عن ناصح يرشدها إلى سبيل الطاعة . فلما وصل الكتاب إلى قيذافه أجابت عنه(٢) على مقتضى غلوائها بمـا لم يرضه الاسكندر . فارتحل فى عساكره قاصدا قصدها وسار مسيرة شمس فوصل إلى مدينة حصينة من حدود ممالكها . وكان عليها ملك يسمى فَيران صاحب شوكة وثروة . فحاصرها الإسكندر ونصب عليها العرادات والمجانيق ففتحها بعــد أسبوع . ولـما دخل المدينة منع عساكره عن إراقة الدماء . وكان صاحب هــذه المدينة قد زوّج ابنــة له من ابن لقيذافه يسمى قيذروش(ا) . وكان قد جاء اليه لاقامة رسم العرس فوقع هو وزوجته فى يد رجل من أصحاب الاسكندر يسمى شهركير فبلغ ذلك الاسكندر(٣)، فسنح له رأى فاستحضر وزيرا له يســمى بيطقون(ب) وأعطاه تاجه وتخته، وأمره أن يقعد فى مكانه من منصب السلطنة فى مجلس خاص لا يحضره عامة أصحاب الاسكندر . وواطأه على أنه اذا أتوه بابن قيذافه، يأمر بضرب رقبته فيشفع اليــه الاسكندر وهو واقف على رسم الخــدمة فيهبه له . ثم يدعوه يعنى الاسكندر ويرســله إلى قيذافه مع عشرة فرسان، ويأمره بأن يوصل رسالته ويعجل الرجوع بجوابها . قال : فلمّا(٤) كان الغد لبس وزيره التاج وجلس على التخت ووقف الاسكندر ماثلا فى الخدمة فجاء شهركير بابن قيذافه مع عروسه، ودخل بهما عليــه . فلمـا رآه قال : من ذا الرجل؟ قال الشاب : أنا ابن قيذافه . وكنت تزوجت بابنة صاحب هذه المدينة فقدمتها بسبب العرس فأصبحت أســيرا فى يدى شهركير، جريحا منكوس الطالع . فتغضب عليه

= وقد كشف الحفر مقابر لهؤلاء الملكات(٥) .

ثم يروى بعض المؤرخين أن الاسكندر حينما حاصر مدينة مزاكه فى شمال الهند الغربى خرجت اليه ملكة المدينة فى جماعة من النساء فصالحها الاسكندر وترك لهـا ملكها .

فليس بعيدا أن تكون هــذه الحقائق المختلفة خلقت القصة التى نجد رواية منها فى قصة قيذافه فى الشاهنامه .

(ا) هو فى الروايات اليونانية كندولس، وفى الروايات السريانية كندارُس . انظر ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٦

(ب) كذلك فى نسخ الترجمة والشاهنامه . وأحسبها محرّفة عن نيطقون بالنون كما فى ترجمة ورنر . فان الاسم فى الروايات اليونانية (Antigonus) .

(١) صل : بالاعتبار . والتصحيح من طا . (٢) طا : أجابت على . (٣) كلمة "الاسكندر" من طا .

(٤) طا : ولما . (٥) انظر ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٥

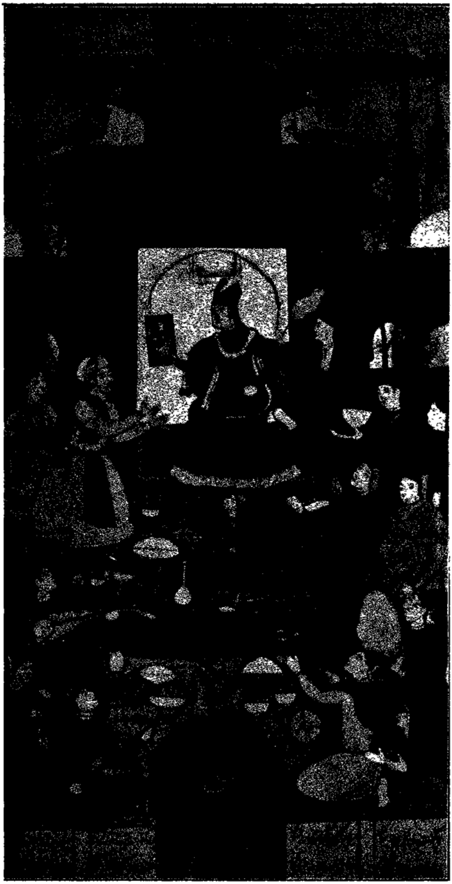

قيدافة ملكة الأندلس، وفى يدها صورة الاسكندر التى أمرت بتصويرها لتعرفه اذا قابلته متنكرا

[منقولة من (الكتاب الاسلامى The Islamic Book) لسير توماس أرنولد والأستاذ أدلف كرهمان رقم ٨٠]

بيطقون وأمر بضرب رقبته مع زوجته. فبادر الاسكندر وقبل الأرض بين يديه وتشفع فيه واستوهبه منه فوهبهما له. ثم التفت الملك المعمول إلى ابن قيذافه وقال: قد تخلصت برأس كاد يفارق جسدك. والآن أرسلك مع الشفيع فيك إلى أمك كى تبلغها رسالتى، وتخبرها بعظم ملكى وشدة شوكتى، وتحثها على التزام الخراج وأدائه. وهو دستورى وصاحب رأيى فاعمل معه ما عمل معك. واذا سمع الجواب من الملكة فسرحه إلىّ كما يليق بك. فقال: ما حفظ علىّ حياتى سواه. ولا أعامله إلا بما عاملنى[1]. فاختار الاسكندر عشرة أنفس من ثقات أصحابه وحفظة سره، واستصحبهم وأمرهم ألا يسموه إلا بيطقون. فتقدّمه ابن قيذافه، وسار الرسول مقتفيا أثره فى سير حثيث فوصلوا فى طريقهم الى جبل أحجاره بلور، وعلى الجبل ثمار كثيرة من كل نوع، وشاهد عليه قرودا كثيرة. فعبروا وساروا الى قرب المدينة فاستقبلت الملكة ولدها. ولما اجتمع سرد عليها جميع أحوال الاسكندر وما عمل فى مدينة فيران من الأسر والنهب. ثم سرد عليها قصة أسره مع صاحبته، وما هم به الاسكندر من قتله و إراقة دمه، وأنه ما خلص إلا بشفاعة هذا الرسول. فارتعدت فرائصها من الفزع.

ثم استحضرت الرسول الى إيوانها وسايلته وأكرمته ثم أنزلته فى موضع يليق به، وأدرّت عليه الأنزال، ونفذت إليه[2] التحف والمبار. ثم إنه لما أصبح ركب الى خدمة الملكة فرفعت دونه الحجب وأدخلوه راكبا الى الدهليز. فدخل ورأى الملكة قاعدة على تخت من العاج معتصبة بتاج من الفيروزج، وعليها قباء صينى منسوج بالذهب، وهى كأنها فى إشراق الشمس، فى مجلس سواريه من البلور، وسقوفه من الجزع المرصع بالجوهر، على رأسها جواريها فى زينتهن. فبهت الاسكندر لما شاهد إذ لم يكن رأى مثل ما رأى فى بلاد الروم ولا فى بلاد ايران. ولما قرب من الملكة قبّل الأرض وخدم فأكرمته وأكثرت من مسايلته. ثم مدّوا السماط وطعموا. ولما خلا المجلس من الأجانب أمرت بإحضار الشراب والمغنين. وكان أوّل شربهم على اسم الملكة وكانت فى أثناء الشرب تكثر النظر الى الاسكندر، فأمرت خازنها فجاء بالحريرة التى فيها صورة الاسكندر مصوّرة. فلما أحضرت نشرتها وجعلت تنظر فيها وتنظر الى وجه الاسكندر فعلمت أنه الاسكندر وأنه جاءها فى زى رسول. فقالت له: أيها الرسول المسترسل! هات ما حملك الاسكندر. فقال: إنه أمرنى وقال: قل لقيذافه الطاهرة لا تطلبى غير سبيل السداد، ولا تخالفى أمرنا، ولتكن يقظتك لك نافعة، واعلمى أنا لما تحققنا من عقلك ورأيك ودهاءك وحزمك لاطفناك فى المقال ولم نبدأك بالقتال. والأصوب ١٣٥

(١) طا: عاملنى به. (٢) صل: عليه. والتصحيح من طا.

لك بذل الخراج والتزامه لنـا . فانه لا يخفى عليك أنه ليس لك بمقاومتنا يدان » . فغاظها ما سمعت منه لكنها آثرت السكون والسكوت . وصرفته الى منزله ووعدته بأن تجاوبه غدا عن رسالته .

فانصرف الاسكندر وعاد إليها من الغد فدخل عليها فى مجلس من البلور منجد بالعقيق والزبرجد، أرضه من العود والصندل، وسقفه من الجزع والزبرجد . فأدهشه ما رأى وبهره ذلك المنظر الأنيق . ثم تقدّم حتى قرب من الملكة فأجلس عند التخت على كرسى من الذهب . فقالت له : كأنك قد قضيت العجب من هـذا المجلس . فمدحها الاسـكندر وقال : إنك أعلى الملوك شرفا ومنصبا وأبهرهم جلالة ورفعة ، وإن بحرك لحاو لكل جوهر، وإنك مجتمع كل عز ومفخر . فضحكت لقوله . ثم انتفض المجلس وخلت به وقالت : يابن فيلقوس ! إن قتـالك سرور ، وإنـ نعيمك بوس (١) . فعرفته بذلك أنها عرفته . فاصفر وجهه، وأرعب قلبه فأنكر ما ذكرته . فجاءت بصورته فلما رآها تحير وأظلم فى عينه النهار وقال : لو كان معى خنجر لقتلتك أو قتلت نفسى لصنيعى وتغريرى بروحى . فضحكت وقالت : لا تحتد أيها الشهريار ولا تغتر بنفسك . أين صحة دعواك فيما تزعم أنك عالم الأرض؟ وأى قيمة لعلمك وقـد حملك على أن قدّمت بنفسك بين أشداق الثعبان، وعرضتها لبائقة لا تبقى ولا تذر؟ ولكنى أعاف إراقة دماء الملوك . فكن آمنا على نفسك فانى لا أسميك مادمت هاهنـا إلا بيطقون، محافظـة على سرك . ولكن لا ينبـغى أن يقف ولدى طينوش على أنك محب للاسكندر أو ناصح له أو قريب منه . فانه رجل خفيف الرأس . وهو ختن قتيلك فور ملك الهند . وأخشى أن ينالك منه مكروه . وانصرف الآن مسرور القلب منشرح الصدر آمن النفس . فانصرف الاسـكندر .

ولمـا كان من الغد ركب الى الخدمة فدخل عليها فى مجلس من العاج منجد بألوان الجواهر ، وعندها ولداها طينوش وقيذَروش . ولمـا قعد فى مكانه سايلته وقالت له : اكشف لنـا عن سرك، وأخبرنا بما يريد منا الاسكندر . فقال : أيتها الملكة ! قد طال مقامى عنـدك . والذى أمرنى به الاسكندر أن أدعوك الى طاعتـه والتزام الخراج له ، وإن لم تفعلى ذلك رجعت وأتاك بجنوده التى لا قبل لك بها . فلما سمع ذلك طينوش استشاط والتهب كالنار المحرقة ، وقال : كأنك أيها اللئيم الجاهل لا تدرى عنـد من تتكلم . ولا أشك فى خفـة رأسك وامتلائه من العجب . أما تقـول

(١) الترجمة غير واضحة . وعبارة الشاه : سواء لديك الهيجاء والمأدبة ، والنعمى والبؤس :

بد وكفت كاى زادهٔ فيلقوس   همت بزم ورزمست همت نعم و بوس

(انظر مول ج ٥ ص ١٧٢) .

من صاحبك ، وبماذا يعرف بين الملوك ؟ ولولا روعة هذه الحضرة لقطعت رأسك كأترجة تقطف من شجرة . فصاحت عليه أمه وأمرت بإخراجه . وقالت : هل هو إلا رسول بلغ ما حمل؟ ومن سمع برسول قتل ؟ ثم لما خرج ابنها قالت : إن هذا صبي نزق، وأخاف أن يصيبك منه مكروه . وأنت أعقل الناس فأشر عليّ برأيك فيه . قال : فردّيه(١) الى خدمتك . فأمرت بردّه الى الحضرة . فلما عاد تملق له الرسول وفيّل رأى الاسكندر، وسفه عقله فى إنفاذه إلى تلك الحضرة بمثل تلك الرسالة . وأظهر بغضه له وكراهته لأمره . ثم قال له : إن أخذت بيد الاسكندر وأضعها فى يدك أعزل فردا ليس معه سلاح ولا عسكر فأى شئ يكون لى عندك ؟ فانخدع بما قال وسرّ به وقال : إن وفيت بذلك جعلتك على جميع عساكر الغرب أميرا واتخذتك دستورا . ثم قال له : وكيف تقدر على ذلك؟ فقال : تنتخب ألف فارس من شجعان أصحابك، وتأتى معى، ومعك مال كثير وتحف فاخرة . فأتقدّمك اليه وأعلمه بمجيئك وأحمله على أن يركب فى جماعة من فلاسفته الى استقبالك . فتخرج اليه من المكمن فتأخذه وترى فيه رأيك . فجعلت قيذافه تتعجب من حيله(٢) وتعض على شفتها وتبتسم . فتصافقوا على ذلك وخرج الاسكندر إلى منزله . ولما أصبح عاد إلى الخدمة فدخل عليها وخلا بها فحلف بالله وروح القدس، قال : وبدين المسيح والصليب الأكبر(أ) وسائر الأيمان المغلظة أنه بعد ذلك لا يقصد أرض الأندلس لا بنفسه ولا بعسكره ولا يغدر بولدها، وأن يعاملها بالوفاء ولا يسلك معها طريق الجفاء، وأن يكون لصديقها صديقا ولعدوها عدوا .

فلما ظهر للملكة صدقه استحضرت أكابر حضرتها وأركان دولتها فجلسوا على كراسى من الذهب وضعت لهم فى إيوانها . ثم أحضرت ابنيها وجميع أقاربها ثم فاوضتهم واستشارتهم فيما جاء به رسول الاسكندر، وذكرت لهم أن مصالحته أولى وأجدر، وكف عاديته بالمال أحرى وأحزم . فاستصوبوا رأيها واستحصفوا عقلها، ودعوا لها بحسن نظرها لهم . ثم إنها فتحت أبواب كنوزها، وأخرجت تاج أبيها، وكان مرصعا بجواهر لا يعرف قيمتها أحد . فقالت للاسكندر : إن هذا لا يصلح إلا لك . ولما رأيتك مستحقا لهذا التاج آثرتك به على ولدى . وأحضرت تختا فى سبعين قطعة بعضها يركب فى البعض عند نصبه ، وهو مرصع باللؤلؤ والياقوت والزبرجد يشتمل من كل جنس منها على أربعمائة قطعة وازنة . وكان حمل أربعين جملا . وأخرجت أربعمائة قطعة من أنياب الفيلة ، وأربعمائة عدد من جلود النمور البربرية ، وألف عدد من جلود الأوعال الملمّعة ، ومن أنواع الثياب ثمانمائة

(أ) هذا من أغلاط الفردوسى فى التاريخ ، كما تقدّم .

(١) طا : فقال رديه . (٢) طا : حيله .

تخت . وكان بعض التخوت منحوتا من خشب الشـيزى و بعضها منحوتا من العود الرطب الذى لو طبع بطابع لبان فيه أثره، وألف قطعة من السيوف الهندية، وألف جوشن ومغفر، مع مائة فرس بآلاتها، ومائتى جاموس برعاتها، ومائة كلب سلوقى يسبق السهم المرسل فى الصيد. ثم أمرت بتسليم ذلك كله الى بيطقون الرسول، وأمرته بالانصراف من الغد .

فلما طلع الصبح ركب الاسكندر وركب طينوش فى فرسانه، وساروا متوجهين نحو الاسكندر . وكانوا يحطون و يرحلون الى أن قربوا من المعسكر، وانتهوا الى غيضة كثيرة المـاء والشجر. فأنزل طينوش وقال : أنا أسـبقك الى المعسكر، وأدبر فى إنجاز ما سـبق به الوعد . وسار الى أن وصل الى مخيمه فتلقته الأمراء والملوك، واستبشروا بمقـدمه، وقد كانوا أيسوا منه حين أبطأ عليهم . فانتخب منهم ألف فارس شاكى السلاح و رجع الى تلك الغيضة، وأحدق بمن معه بها . فلما رأى طينوش ذلك ارتعد فزعا، وعض على يديه ندما . فقال : أيها الشهريار! إنك عاهدت أمى على غير ما أرى منك . فقال : لا تفزع فاست أنقض عهد أمك أبدا . وقد حلفت أن أضع يد الاسكندر فى يدك . وقد أبررت يمينى حين ضربت بيدى على يدك عنـد أمك، وقد خرجت عن عهـدة القسم فى ذلك اليوم . وأنا الاسـكندر والرسول معا . وعلمت الملكة بذلك ولم يخف عليها . ثم جلس تحت تلك الأشجار وأمر بترتيب المجلس . ومدّوا السماط وطعموا وشربوا . ثم خلع عليه خلعة خسروانية تليق به، وأعطى أصحابه عطايا كثيرة وخلع عليهم خلعا رائقة، وصرفه الى أمه . ١٣٦

ذكر تطواف الاسكندر فى أقطار العالم وما رأى فيها من العجائب

قال صاحب الكتاب : ثم إن الإسكندر سار فى عساكره الى أن وصل الى مدينة البراهمة § فلما علموا بوصوله خلصوا نجيا، واجتمع رأيهم على أن كتبوا اليه كتابا يقولون فيه : أيها الملك : ماذا تريد من مدينة سكانها عُباد الله ؟ فإن كنت تريد منهم المـال فما أنقص عقلك . وهم قوم ليس عندهم سوى الصبر والعلم . وذلك مما لا يسلبونه . ولو أقمت هاهنا لاحتجت أن تأكل الحشيش كما يأكلون .

§ فى الروايات اليونانية والسريانية أن الاسكندر لقى البراهمة بعـد حرب فور ولقى قيذافه بعـد البراهمـة . وكأن قصة الذهاب الى الكعبة التى أدخلها المسلمون غيرت نسق الحوادث، واقتضت أن يأتى الاسكندر من الهنـد الى بلاد العرب والمغرب ثم يعود الى الهند ليلقى البراهمة . على أن المسعودى يروى حديثا مثل هذا عن الاسكندر وأمة من قوم موسى بالمغرب .(1) =

(١) الاشراف ص ٨٤ — ٨٦

وكان الواصل بهـذا الكتاب الى الاسكندر رجلا حافيا حاسرا ملتحفا بإزار منسوج من الحشيش . فلما قرأ الكتاب ترك العسكر فى مكانه ، وركب فى جماعة من فلاسفته ، وصار اليهم الى مدينتهم . فاستقبلوه وأحضروه من قوتهم الذى كانوا يزجّون به وقتهم ، ودعوا له وأثنوا عليه . فرآهم قوما حفاة عراة قد ستروا عوراتهم بأُزُر من الحشيش ، ورأى فيهم عابدا قد اتّزر بجلد غزال . فخاطبهم الاسكندر فى أمر ملبوسهم فقال : من ولد عريانا فلا ينبغى له أن يكون حريصا على الملبوس على أنه اذا واراه التراب فهو على خوف من العذاب والبوس . فسأله الاسكندر عن أعظم الذنوب فقال : الحرص على الدنيا . وإن أردت أن تقف على حقيقة ذلك فاعتبر بنفسك . فانك مع احتوائك على جميع ممالك الأرض طالب اليها الزيادة غير قانع بعظيم ما أوتيت من الملك والسيادة . ثم قال لهم : ارفعوا إلىّ حوائجكم فلن أدخر عنكم شيئا ، وأسعفكم بمطالبكم عفوا . فقال له أحدهم : أيها الملك ! أغلق دوننا باب الشيب والموت . فقال له : كيف تسلم من الموت وهو لا محالة يهدم بناء عمرك وان كان من حديد؟ وكيف تنعم بالشباب ومشرعه لابد أن يكدّر برنق المشيب؟ فقال له البرهمى(١) : اذا كنت تعلم أنه لا مفرّ من الموت ولا سلامة من غصة الشيب فما بالك(٢) تطلب الاحتواء على العالم بجهدك ، وتعرض للسم القاتل نفسك ، وتتعب لغيرك ، وتجمع لمن يفرقه من بعدك ؟ والشيب بين يدى الموت نذير ، واذا طمعت فى الحياة بعده فليس لك عذير . ثم إن الاسكندر وهب لهم هبات كثيرة فما قبلوها ، واستعرضهم حوائجهم فما عرضوها . فانصرف عنهم .

وسار حتى وصل الى بحر عظيم فرأى عنده رجالا متنقبين كالنساء لا يعرف لسانهم عربى ولا فهلوى (أ) . وكان قوتهم من السمك وحيوان البحر . ثم إنه لمح وسط البحر جبلا أصفر

= وقد حدث ونسيكريتوس أن الاسكندر أرسله الى البراهمة ، وأنه لقى خمسة عشر منهم بين قائم وقاعد ومضطجع ، عراة فى الشمس ، وأنه حادث اثنين منهم(٣) الخ .

وقد ذكر بلوتارك المؤرخ أن حديث الاسكندر والبراهمة كان أثناء مسير الاسكندر فى نهر السند الى المحيط . وذكر محاورة الاسكندر إياهم . وهى محاورة تختلف فيها الروايات بعض الاختلاف(٤) .

(أ) فى الشاه : ليس لسانهم العربية ولا الفارسية القديمة ولا الفهلوية ولا التركية ولا الصينية .

زبانها نه تازى ونه خسروى   نه چينى نه تركى ونه پهلوى

(١) طا : البرهمن .   (٢) طا : فما بالك قد صرت تطلب الخ .   (٣) ، (٤) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦١ و ٦٧

كالشمس فأمر بالقاء سفينة فى المـاء ليركبها و يشاهد عجائب ذلك الجبـل . فمنعه من ذلك بعض(١) الفلاسفة وقال : لا تخاطر بنفسك وليركبها غيرك ممن يأتى بخبره . فاركب تلك السفينة ثلاثين شخصا من الروم وغيرهم . فلما قربت السفينة من الجبـل تحرك . واذا به حوت فالتقم السـفينة بمن فيها . وانساب فى البحر . فتعجب وقال : العلماء حفظة أرواح الملوك . فطوبى لمن عرف قدرهم واتبع أمرهم § .

فسار الاسكندر الى أرض قصباء كبيرة(٢) القصب كأنها أشجار الدُّلب عِظَما . وفيها غدير عظيم ماؤه زعاق كأنه سم ذعاف . فعبر منه .

وانتهى الى ساحل بحر آخر عظيم فصادف أرضا طيبة العرف كأنها تتأرج بأريج المسـك، وماء عذب المذاق فى حلاوة الشهد . فنزلوا واستراحوا(٣) فبيناهم فى منزلهم إذ خرجت من المـاء أفاع كثيرة، وطلعت من الأجمـة عقارب كالنار ملتهبة وأتتهم(٤) من جميع جوانبهم فحول من الخنازير ذوو أنيـاب كالحراب ، وضوارى سباع ما لأحد بها طاقة . فهلك من الأكابر والأمراء خلق كثير . فارتحـلوا وانحازوا عن ذلك المكان . وطرحوا النار فيما كان هناك من القصب حتى احترق . وقتلوا كثيرا من(٥) السـباع .

---

§ يظهر أن القوم المذكورين هنا هم أهل الساحل فى بلوخستان . وقد وصفهم المؤرّخ أريان بأنهم يشبهون الهند فى اللباس والسلاح، ويخالفونهم فى اللغة والعادات . وقد نقل المؤرّخ المذكور عن نرخوس قائد أسطول الاسكندر، ووافقه السياح فى عصرنا الحاضر، أن أهل الساحل المذكورين يعيشون على السمك ليس لهم طعام غيره بل يطعمونه دوابهم كذلك الخ . ويقول أريان أن بيوتهم من عظام الحيتان . وقد سماهم اليونان "آكلى السمك(٦)" .

وذلك يوافق ما يقال عن أهل مكران أن بلادهم سميت مكران لكثرة أكلهم السمك، وأن أصل الكلمة بالفارسية "ماهى خوران" أى "أكلة السمك" .

---

(١) كلمة «بعض» من طا . (٢) طا : عظيمة القصب . (٣) طا : فاستراحوا وأراحوا .
(٤) صل : فأتتهم . والتصحيح من طا . (٥) طا : من تلك السباع .
(٦) ورنرج ٦ ص ٦٩ وما بعدها .

فسار من ذلك المكان الى أرض الحبشة § فاجتمعت منهم آلاف مؤلفة من كل غرابيّ ترتج الأرض بنعيبه، ويمتلئ الجو بنعيقه. فقاتلوه برماح أسنتها من العظام فقتلوا كثيرا من أصحابه. فأمر عند ذلك رجاله بالجد فى قتالهم فتدججوا وصافّوهم فكانت الدبرة على الحبشة فأفناهم القتل.

ولما جن الليل سمعوا صوت الكركدن فتصدّى لهم. وهو حيوان أعظم من الفيل له قرن فى أم رأسه فى لون النيل. فأهلك خلقا من أصحابه. ثم رشقوه بالسهام فانهد كأنه جبل من حديد.

ثم لما أصبح رحل وسار حتى وصل الى أرض فيها خلق (ا) عراة كأنهم أشجار باسقة. فلما رأوا الاسكندر صاحوا واجتمعوا وقاتلوهم بالحجارة وأمطروها عليهم. فواقعهم أصحاب الاسكندر وقتلوهم حتى لم يبق منهم إلا قليل.

وسار حتى وصل الى مدينة كبيرة بين يديها جبل عظيم يكاد يمس السماء فاستقبله أهلها بالتحف والمبار والخدم فأحسن اليهم. ثم سايلهم عن الطريق فقالوا: أيها الملك: كان الطريق على هذا الجبل. وقد قطعه الآن ثعبان عظيم لا يتجاسر معه أحد على العبور فيه. وله علينا كل يوم وظيفة خمسة ثيران نلقيها اليه فيبتلعها وينكف بذلك عن أن يتقدم الى هذا الجانب. فأمر الاسكندر بخمسة ثيران فذبحت وسلخت جلودها وحشيت سما ونفطا. فأمر بإصعادها الى الجبل وإلقائها الى الثعبان. فابتلعها فلم يلبث (١) أن تقطعت أمعاؤه من السم. وصعد بخار السم والنفط الى دماغه فأخذ يضرب برأسه على الجبل حتى انفلق وتشقق. فقطعوه بالسيوف.

§ كان اليونان يتخيلون أن الهند هى بلاد الحبش الشرقية التى تمتد الى نهاية العالم، وأن أهلها، كأهل بلاد الحبش الغربية، قد اسودت وجوههم بوهج الشمس. وقد ذكر هيردوت بلاد الحبش الشرقية كذلك ولكنه ميزها من الهند. وذكر سترابو أن الاسكندر نفسه حينما رأى نهر السند توهم أنه النيل (٢). وقد عرّفت أسفار الاسكندر اليونان أن الهند غير الحبش. ولكن بقى فى الأساطير آثار الأوهام القديمة.

ومن أجل ذلك نرى الاسكندر فى قصة الشاهنامه يسير، بعد لقاء البراهمة، فى أرض تؤديه الى أرض الحبش، كما يرى القارئ.

(ا) اسمهم فى الشاهنامه نرم پاى أى ذوو الأقدام اللينة. وقد تقدم ذكر نرم پاى فى وقائع مازندران (فصل كيكاوس ص ١١٥ حاشية).

(١) طا: ينشب. (٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٨

وعبر الاسكندر بعساكره وسار حتى وصل الى جبل آخر عال فى السماء فأصعدوا فيه فرأوا على رأس الجبل تختا من الذهب منصوبا وعليه شيخ ميت مسجّى بديباج على رأسه تاج[1] مرصع بجواهر ١٣٧ تزهر للعيون . فلم يتجاسر أحد على القرب منه . وكان كل من يقدم اليه تأخذه الرعدة فى مكانه ويموت فى وقته . فلما صعد الاسكندر ذلك الجبل ورأى التخت سمع هاتفا يقول : أيها الملك ! قد جهدت زمانا طويلا وأفنيت من الملوك كثيرا . وقد دنا وقتك وحان حينك » . فعظم عليه ذلك واصفر لونه .

وسار قاصدا قصد مدينة هروم . وهى مدينة سكانها بنات أبكار لا يمكن أحدا من القرب من المدينة ، لم يخلق للواحدة منهن إلا ثدى واحد وهو الأيمن فحسب ، وهن فى الأيسر كالرجال . قال : فكتب الاسكندر اليهن كتابا يدعوهن الى الطاعة ، ويذكر أنه ماجاء لقصد قتالهن ولا لنهب بلادهن ، وأنه لم يرد سوى رؤية المدينة والاعتبار بأحوالها . ونفذ بالكتاب فيلسوفا وأمره بأن يلاطفهن فى الخطاب ويرجع اليه بالجواب . فصادف الرسول أهل المدينة نساء كلهن ليس فيها رجل . فاستقبلنه على الخيول فى آلات الحرب فقرأن الكتاب وقلن فى جوابه : إنك رجل كبير، وصيتك عال رفيع . فلا تفسدنه بأن يقال أنك قاتلت النساء وانهزمت منهن . فان ذلك يجر عليك عارا لا يزول أبدا . ولكن إن جئت للتطواف فى مدينتنا والنظر اليها والوقوف على أحوالها أكرمنا مقدمك وتلقينا بالجميل موردك . وختمن الكتاب وأنفذنه على يدى امرأة عاقلة فى ملابس الملوك ومعها عشر فوارس منهن . فلما أتت الاسكندر ووقف على ما صحبها من الجواب أكرمها وقال : مالى حاجة فى مدينتكن سوى النظر اليها . وإذا حصل ذلك عبرت وتجاوزت الى طرف آخر . فعادت وأعلمت صواحبها بما جرى . فاجتمعن واتفقن على إعداد تحف برسم الملك ، من التيجان المرصعة والجواهر النفيسة وغير ذلك مما يصلح أن يخدم به الملوك .

ثم رحل الاسكندر من منزله وسار فهاج عليهم بعد مرحلتين هواء شديد وتغيمت السماء وسقط عليهم ثلج أهلك خلقا من أصحاب الاسكندر . فسار فى ذلك الزمهرير مترلين . ثم شاهدوا دخانا مرتفعا فى السماء وسحابا أسود كأنه يمطر النار فحمى الهواء وعظم الحر حتى حميت الدروع على أكتاف الرجال فأحرقتها . فسار على ذلك فوصل الى مدينة فيها ناس سود الوجوه كالسَّبَج، هدل الشفاه ، تتوقد النار من أحداقهم وتخرج من أفواههم . فاستقبلوا الاسكندر وخدموه بفيلة عظيمة وتحف كثيرة وقالوا : إنا لم نر أحدا وصل الى هذه المدينة، ولم نر راكب فرس قط . فأقام الملك فيها شهرا .

(١) كلمة « تاج » من طا .

ثم سار قاصدا قصد مدينة النساء فعبر اليه البحر جلائل أهلها فى ألفين من فوارسهن مستقبلات له فقدّمن اليه برسم الهدية تيجانا مرصعة وجواهر نفيسة وثياب وَشْى . ثم ركب الاسكندر ووصل إلى المدينة فأكرمن مقدمه ونثرن عليه نثارات، وخدمنه بتحف ومبرات . ولما رأى المدينة وأهلها، ووقف على أحوالها خلع عليهن وأحسن اليهن، وارتحل .

وسار قاصدا قصد مغرب الشمس فوصل الى مدينة فيها ناس حمر الوجوه صفر الشعور فسايلهم الاسكندر عمن يعرف عجائبها . فقال له من أهل تلك المدينة شيخ طاعن فى السن : إن وراء مدينتنا عينا كبيرة فيها تغرب الشمس وتغيب . ووراء هذه العين ظلمات، وفيها من العجائب ما لا يحيط به الوصف . وقد قال بعض عبادنا : إن فيها عينا يقال لها عين الحياة من شرب منها يخلد ولا يموت . لأن مدد مائها من أنهار الفردوس . ومن اغتسل فيها تساقطت عنه ذنوبه (أ) . فقال له الاسكندر: كيف تسلك الدواب طريق هـذه الظلمة ؟ فقال : من أراد أن يسلك طريقها لا ينبغى أن يركب إلا مهرا . فأمر الاسكندر بجمع الخيل فاختار منها عشرة آلاف مهر رباع قوى . وسار فى عساكره حتى وصل الى مدينـة كبيرة فيها نعم كثيرة وبساتين وسيعة وقصور رفيعة فنزل فيهـا . وصار وحده الى مغرب الشمس فبقى ينتظر غروبها . فلما كان عند الغروب شاهد قرص الشمس وهى تغيب (١) فى تلك العين . فجعل يسـبح الله تعالى ويقدّسه . ثم انصرف الى معسكره فانتخب من أصحابه من عرفه بالعقل والصبر. وتزوّد لأربعين يوما، واختار من يصلح أن يتقدّم أمامهم ويسير بين أيديهم . فوقع الاختيار على الخضر (٢) فانه كان سيد الجماعة وصاحب الرأى فيما هم بصدده . ففوّض الاسكندر اليه أمره، وقال : أيهـا الرجل المتيقظ ! نبـهْ قلبك لهذا الأمر . فإنا إن عثرنا على ماء الحياة بقينا نعبد الله تعالى الى آخر الأبد . وإن معى خرزتين تتقدان كالشمس فى جنح الليل . فخذ إحداهما، ومر قدّام القوم، وتكون الأخرى معى . وأنا والعسكر نقتفى أثرك ونبصر ماذا قسم الله تبارك وتعالى لنا . فتقدّم الخضر، وسار الاسكندر فى أثره حتى سار فى الظلمات مرحلتين . ولما كان المنزل الثالث عرض لهم فى الظلمـات طريقان فسار الخضر فى إحدى الطريقين، ووصل الى عين الحياة فشرب منه واغتسل وفاز بالمطلوب وضل الاسكندر عنه فسلك الآخر (٣) فأفضى به الى الضوء، وخرج من الظلمة فرأى جبلا شاهقا فى السماء على رأسه أشجار من العود، وعلى كل شجرة طائر أخضر، فلما

(أ) قصة الظلمات وعين الحياة فى الشاه تخالف الروايات اليونانية فى كثير من التفصيل . والخضر لا يذكر فى القصة اليونانية التى تشبه فى بعض مواضعها قصة موسى والخضر شبها أدى الى ذكر الخضر فى الشاهنامه والروايات العربية .

(١) طا : وهو يغيب . (٢) طا : صلوات الله وسلامه عليه . (٣) طا : الطريق الآخر .

رأته الطيور نطقن باذن الله باللسان الرومى . فدنا من طائر وأصغى ليسمع كلامه فقال له : ماذا تريد أيها الثعبان من الدنيا الفانية ؟ وأنت لو بلغت السماء لم يكن لك بد من الموت . ثم قال للاسكندر: هل حدث الزنا وهل استعمل الآجرّ فى البناء؟ فقال نعم . فقال : وهل قرع سمعك صوت المزهر، وصياح السكران، ونغم الغناء ؟ فقال نعم . فنزل اليه الطائر عند ذلك وقال : أيما أكثر : العلم مع السداد أم الجهل مع الفساد ؟ فقال العالم بين الناس عزيز . فرجع الطائر الى مكانه وقال له : هل يسكن العباد فى بلادكم الجبال ؟ فقال : وهل لهم سكنى إلا فى الجبال ؟ ثم قال له : اصعد الى رأس هذا الجبل وحدك راجلا ليس معك أحد فأبصر ما هنالك، فصعد الاسكندر وحده فرأى إسرافيل عليه السلام (أ) . على رأس ذلك الجبل و بيده الصور، وقد نفخ شدقيه، وملأ من الدموع عينيه ينتظر متى يأتيه الأمر فينفخ قال : فلما نظر الى وجه الاسكندر صاح عليه وقال يا عبد الحرص! لا تجهدن هذا الجهد فسوف يأتيك الأمر بالمسير، و يقرع سمعك النداء بالرحيل. فقال الاسكندر: (١٣٨) لم يقسم لى غير الحركة والطواف فى أقطار الأرض . ثم نزل من الجبل حليف كآبة ورنين . وعاد القهقرى الى الظلمات . فلما توغلها هتف هاتف من الجبل الأسود الذى كان هنالك وقال : من يحمل من حجارة هذا المكان يندم ومن لا يحمل منها فهو أيضا يندم . فحمل منها بعضهم وأعرض عنها بعضهم . فلما خرجوا من تلك(١) الظلمات رأوا تلك الحجارة جواهر و يواقيت فندم من حمل حيث لم يستكثر، وندم من لم يحمل حيث لم يحمل .

قال : ثم إن الاسكندر أقام بعد خروجه من الظلمات مقدار أسبوع(٢) . ثم ارتحل متوجها نحو المشرق فسار حتى انتهى الى مدينة كبيرة فاستقبله أكابر أهلها فأكرمهم الاسكندر وأحسن اليهم . ثم سايلهم عن عجائب ما هنالك فأجهشوا اليه بالبكاء وقالوا : أيها الملك ! إن أمامنا أمرا عظيما لا بدّ لنا من عرضه على رأيك . ونحن منه فى عناء وتعب شديد . وذلك أن وراء هذا الجبل يأجوج ومأجوج. وهم يفسدون فى أرضنا و يعيثون فى بلادنا . وهم فى خلقهم بحيث لا تجاوز قامة أحدهم شبرا. ومع ذلك فقد ملئوا الأرض فسادا وشرا. ولهم وجوه كوجوه الإبل، وأنياب كأنياب الخنازير. ألسنتهم سود وأعينهم حمر . وعلى أبدانهم شعور فى لون النيل، ولهم آذان كآذان الفيلة . اذا نام أحدهم افترش إحدى أذنيه والتحف بالأخرى . لا يموت الأنثى منهم حتى تلد ألف مولود . وهم فى الكثرة بحيث لا يعرف عددهم إلا الله عز وجل. واذا كان فصل الربيع وجاش البحر وأرعد الجو

(أ) ذكر اسرافيل من زيادات الروايات العربية أيضا .

(١) طا : من الظلمات . (٢) طا : أسبوعين .

احتمل السحاب التنين من البحر فألقاه اليهـم . فيجتمعون اليه و يأكلون منه حتى تعبل أجسامهم وتسمن أبدانهـم . و يكون ذلك من السنة الى السنة . وفى سائر السنة يجترئون بنبات الأرض و بما يختطفونه من كل جانب، واذا كانت أيام الشتاء اعتراهم الضعف حتى يصـير صوت أحدهم فى رز صوت الحمـام . واذا أقبـل[1] أيام الربيع عادوا كالذئاب الضارية . فان أنعم الملك بالتدبير فى كفاية شرهم وكف معرتهم شكر سعيه بكل لسان، ودام ذكره الى آخر الزمان. فتعجب الاسكندر مما أوردوا واهتم لذلك . ثم غاص فى بحر الفكر فقال لهم : إنى أعاونكم منى بالأموال والكنوز فعاونونى بنفوسكم حتى أعمل دونهم سـدّا بقدرة الله الذى لا إله إلا هو سبحانه وتعـالى . فدعوا له وقالوا : إنا كلنا عبيدك فيما تأمر به . فجاء الاسكندر فى علماء فلاسفته وأصحاب رأيه فنظر الى الجبل فأمر باستدعاء الحدّادين والفعـلة، وأمر باحضار النحاس والرصاص والجص والحجارة والحطب . فجمعوا من كل واحد ما لا يحيط به الحصر . وحشر صناع الأقاليم فسدّ ما بين الجبلين بسدّين من قرار الأرض الى رأس الجبل . وجعلوا الأساس فى عرض مائة ذراع . فكانوا يصفون من زبر الحديد صفا فى مقدار ذراع، و يضعون عليه الفحم والنحاس ، و يجعلون الكبريت فوقه، ثم صفا آخر فوقه كذلك ثم آخر وآخر حتى انتهى الى رأس الجبـل وساوى ما بين الصفين[2] . ثم خلطوا النفط والدهن وأفرغوه على رأس الجميع ثم صبوا عليه الفحم ثم ألقوا فيه النار . واجتمع عليه مائة ألف حدّاد ينفخون فيه فارتفع الدخان فى السماء وتمكنت النار فيـه و بقيت كذلك تتقد زمانا حتى تراصّت الأجزاء وتهندم البناء . فتخلص العالم بالسدّ الاسكندرى من شر يأجوج ومأجوج وعاديتهم ولله الحمد . § قال : وطول هذا السدّ خمس خمسمائة ذراع فى عرض خمسمائة ذراع .

---

§ تصف كتب التاريخ والبلدان سـدودا بين بلاد الترك والبلاد المجاورة . منها سـدّ بين إيران وبلاد الخزر يصـل ما بين جبال القوقاس و بحر الخزر[3] . ومنها سـدّ فى جرجان بناه الساسانيون[4] . ومنها سـو ر بخارى الذى بناه "ملك من ملوك الصغد فى سالف الدهر مانعا لغارات أجناس الترك ودافعا لأذيتهم . وجدّد فى أيام المهدى ، وكان قد تهدّم، على يدى أبى العباس الطوسى أمير خراسان[5]".

وأكثر الكتب على أن سدّ الاسكندر أو سـدّ يأجوج ومأجوج هو السـدّ الذى بين جبال القوقاس و بحر الخزر . ولكنه لا يلائم ما وصف به سدّ يأجوج ومأجوج أنه بين جبلين . وأقرب ==

---

(١) طا : أقبلت .   (٢) أظنها محرفة عن الصدفين . كما فى القرآن .   (٣) أنظر البلدان ص ٢٨٨ و ٢٩١ ، ومروج الذهب ج ١ ص ١٦٤ ونزهة ٢٤٣ ، والبيرونى ص ٤١   (٤) البلدان ص ٣٠٤ ، فارس نامه ص ١٥٩
(٥) الإشراف ص ٦٥

ولما أحكم الاسكندر ذلك ارتحل من تلك المدينة وسار مسيرة شهر فوصل الى جبل من اللازورد، على رأسه بيت من الياقوت الأصفر، فيه قناديل معلقة من البلور، وفى وسطه عين ماء مالح فيه جوهر أحمر له أشعة تنبث أنوارها على الماء فيمتلئ البيت منه بالأضواء . وعند العين تحت من الذهب منصوب عليه شخص مسجّى مضطجع، رأسه كرأس خنزير، و بدنه كبدن إنسان، قد فرش تحته الكافور. وكان من قصد أخذ شىء من ذلك البيت تأخذه الرعدة و يموت فى مكانه. فسمع الاسكندر هاتفا من تلك العين يقول : أيها الرجل الحريص! لا تحرصنّ هذا الحرص كله فقد رأيت مالم يره أحد . فالواجب أن تصرف(١) عنانك فقد دنت أيامك، وشارف الانقضاء ملكك . ففزع الاسكندر وأسرع الانصراف الى معسكره .

ثم ارتحل وسار حتى خرج من البرية وانتهى الى مدينة آهلة ففرح حين سمع صوت الإنس واستأنس . فتلقاه أهل المدينة وأظهروا السرور بمقدمه، ونثروا عليه النثار الكثير، وقالوا : نحمد الله حين جعل عبورك علينا . فإنه لم يأت هذه المدينة عسكر قط، ولا سمع فيها اسم ولا ذكر لملك . فسايلهم عن عجائب مدينتهم فقال بعضهم : أيها الملك ! إن هاهنا عجبا لا يوجد فى العالم مثله . وذلك أن هاهنا شجرتين (أ) ذكرا وأنثى ينطق الذكر بالنهار والأنثى بالليل . فركب الاسكندر واستصحب ترجمانا منهم فى جماعة من أصحابه . فسأل الترجمان، وقال : متى تتكلم الشجرة ؟ فقال : اذا عبر تسع ساعات من النهار تكلم الذكر . واذا جن الليل تكلمت الأنثى . فقال له : واذا تجاوزنا هاتين(٢) الشجرتين فما الذى نراه بعدهما؟ قال إن الدنيا تنتهى عند ذلك، وما بعدهما(٣) يسمى طرف العالم. ولما قرب من الشجرتين رأى الأرض ملأى من جلود السباع فسأله عن ذلك فقال: إن لهاتين الشجرتين عبادا يعبدونهما واذا جاءوهما(٤) للعبادة فلا يأكلون إلا لحوم السباع . قال : فلما

= منه الى هذا الوصف أن يكون السد فى شعب دريَل فى جبال القوقاس . وهو الممر الوحيد فيها . وقد حصن منذ زمن بعيد . وعليه الآن قلعة روسية تحميه . وكان العرب يسمونه باب اللان. وهو نفنف بين جدارين من الصخر يرتفعان زهاء ستة آلاف قدم(٥) .

والصحيح أن السدّ الذى بين القوقاس وبحر الخزر هو سدّ كسرى أنوشروان .

(أ) فى الشاهنامه : شجرة ذات جذعين ذكر وأنثى . ولعل هذا سبب اضطراب نسخ الترجمة فى تثنية الضمير العائد الى الشجرتين وإفراده .

(١) طا : تصرف الآن عنانك . (٢) صل : ما بين . والتصحيح من طا. (٣) صل : وما بعدها . والتصحيح من طا. (٤) صل، طا : جاءوها . (٥) ورنر، ج ٦ ص ٧٩، ودائرة المعارف البريطانية (Darial)

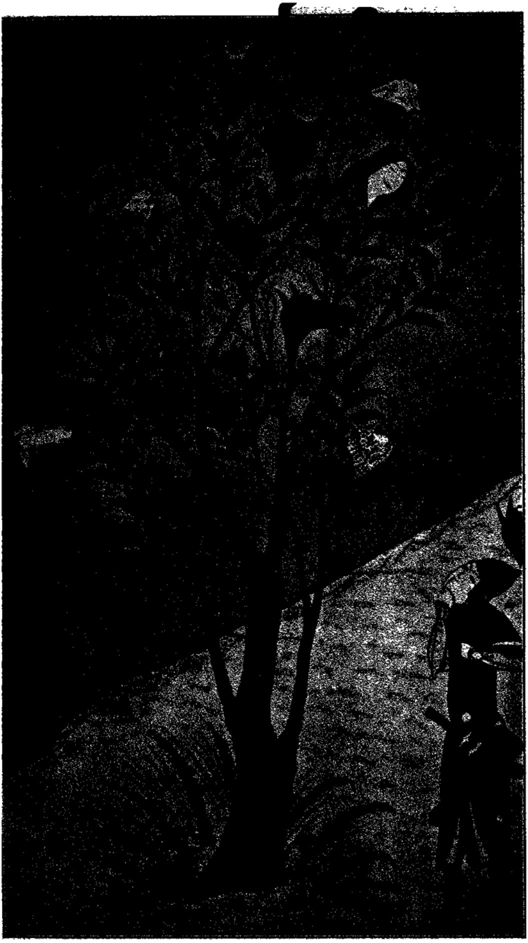

اسكندر والشـــجرة المتكلمـــة

[منقولة من كتاب النقش فى الاسلام (Painting In Islam) لسير توماس أرنولد ص ١١٦]

انتصف النهار سمع الاسكندر من إحدى الشجرتين صوتا أزعجه . فسأل الترجمان عما قالت فقال : إنها تقول : ما بال الاسكندر يجول فى أقطار الأرض وقد استوفى نصيبه من العيش، وعند استكمال أربع عشرة سنة من سلطانه يحين حين ارتحاله ؟ فبكى الاسكندر وامتلأ هما وحزنا، وبقى واجما لا يتكلم الى نصف الليل . فتكلمت الشجرة الأنثى . فسأله عما قالت فقال : إنها تقول : إنك تجول حول الأرض من حرصك، ولم يبق إلا قليل من عمرك . فلا تتعب نفسك ولا تضيق عليها أمرك. (١٣٩)
فقال له الاسكندر : سلها هل تكون أمى حاضرة عند رأسى اذا أتانى أمر ربى؟ فسألها عن ذلك. فقالت : شدّ رحالك وأقصر عن ظنك . فإنه لا تحضرك أمك ولا قرائبك(١) ولا نساء بلدك . ولا تموت إلا غريبا فى بلاد غيرك . فانصرف الاسكندر وقيذ القلب منخزل النفس نحو معسكره . فقدّم اليه أهل تلك المدينة جواشن ودرو عا وتحفا كثيرة فيها مائة بيضة من الذهب وزن كل بيضة ستون منا، وصورة كركدن من الذهب مرصعة بالجوهر . فقبل هداياهم وارتحل نحو الصين .

فلما قرب منها نزل فى عسكره واستحضر الكاتب فأمره أن يكتب(٢) الى بغبور كتابا مملوءا بالوعد والوعيد، وختمه . واستصحب بعض ثقاته وأصحاب رأيه، وركب منهم فى خمسة فرسان حتى أتى ملك الصين فى زىّ رسول . فلما وصل اليه أكرمه وأنزله فى موضع يليق به . ثم لما كان من غده أنفذ اليه مركوبا خاصا بآلات الذهب واستحضره . فحضر وأدّى الرسالة، ودعاه أن يبادر الى خدمة الاسكندر ويسارع الى حضرته . فإن لم يفعل ذلك فلينفذ اليه طرائف الصين من خيل وأسلحة وثياب وذهب وفضة ليصرفه بذلك عن أذاه . فضحك بغبور وسأله أن يصف له الاسكندر، وينعت صورته وشكله ، ويصف مكارمه وسيرته . فاندفع الرسول يورد ذلك ويسرده . ثم إنه استحضر الطعام والشراب ، ولما ثملوا صرف الرسول وقال : سنجيب غدا عن رسالة صاحبك . فانصرف الى منزله وهو بين الصاحى والسكران وبيده أترجة . ولما طلعت الشمس من غده ركب الى حضرة بغبور فسايله ولاطفه . ثم استحضر الكاتب وأجاب عن كتاب الاسكندر . وفتح أبواب خزائنه وأخرج خمسين تاجا مرصعاً بالجواهر وعشرة تخوت من العاج، وأوقر ألف جمل من الديباج والخز والحرير والكافور والمسك والعبير الى غير ذلك من الذهبيات والفضيات وجلود السنجاب والقاقم والسمّور. ثم اختار رجلا من أكابر الصين موصوفا بالعقل والرأى، ونفذه بكل ذلك فى صحبة الرسول . فلما انتهى الى ساحل البحر بادر الملاح فحمله فى مركب وعبر به الى المعسكر . فلما أحس أصحابه بوصوله استقبلوه . ولما رأوه ترجلوا وسجدوا بين يديه . فعلم رسول بغبور أنه هو الاسكندر

---

(١) طا : قراباتك . (٢) طا : فأمره فكتبه .

نفسه فنزل وسجد له . ثم لما أصبح الاسكندر جلس بجلسه من تحت السلطنة فخلع على رسول بغبور وأعطاه عطايا كثيرة وصرفه الى صاحبه . ثم أقام الاسكندر فى ذلك الموضع شهرا من الزمان .

فلما برد الهواء ارتحل وسار حتى وصل الى مدينة جغوان ورحل منها قاصدا قصد السند . فركب ملكهم وكان يسمى بنداه فى رجاله السود، و برز(١) الى قتاله فى أمثال الأسود . فجرت ملحمة أفنت السودان عن آخرهم وأتى الأسر والنهب على نسائهم وذراريهم . ثم سار الاسكندر الى نيم روز ، وصار منها الى اليمن (أ) . فاستقبله صاحب اليمن بالهدايا الجليلة والتحف الكثيرة . فأكرمه الاسكندر وأحسن اليه .

ثم ارتحل من اليمن قاصدا قصد بابل فوصل فى طريقه الى جبل عظيم فأتعبهم العبور فيه . فلما قطعوه وأسهلوا أفضوا الى بحر عظيم فعثر بعض أصحابه فى ساحله على رجل متسربل البدن بالشعر، له أذنان كآذان الفيلة . فاجتروه الى خدمة الاسكندر . فقال له الاسكندر : ما اسمك ومن أنت ؟ فقال : أيها الملك إن أبى وأمى سميانى بستركوش (ب) يعنى لحافى الأذن . فقال له : ما هذا الذى نرى فى وسط البحر؟ فقال مدينة طيبة، وفيها خلق طعامهم من السمك وأبنيتهم من عظام السمك . فان أمر الملك عبرت اليهم وأخبرتهم بمقدمه وحملت منهم جماعة الى خدمته . فأذن له الملك فى ذلك فعبر اليهم(٢) فى ساعة وانصرف ومعه ثمانون شخصا من عقلاء تلك المدينة فى ملابس الخز والحرير، بعضهم شبان و بعضهم شيوخ، مع كل شيخ منهم جام مملوء من الدر ومع كل شاب تاج من الذهب . فحضروا بين يدى الملك فخدموه وسايلهم عن أمور أجابوه عنها . وأقاموا فى منزله على البحر الى طلوع الفجر من الغد . فارتحل متوجها نحو بابل وقد علم أن أجله قد قرب .

وكان يخاف من الكيانيين على بلاد الروم بعد موته فعزم ألا يبقى منهم أحدا . فكتب كتابا الى الحكيم أرسطاليس(٣) ، وذكر فيه حاله وما هم به . ثم استقدم جميع أكابر الكيانية من أوطانهم وأمرهم بالمبادرة الى حضرته . فوصل كتاب أرسطاليس وهو يقول فيه : قد آن لك أن ترتدع عن الشر. فاستسلم لأمر الله عز وجل، وفوض اليه أمورك، ولا تزرع فى ملكك غير الحسنى . وما أشرت اليه فلا تجزع منه ولا تهتم له . فإنا لم نولد إلا للموت، وما استصحب أحد فارق الدنيا مالا ولا ملكا .

(أ) يحدث التاريخ أن الاسكندر بعد حرب فور لقى عداء من ابن أخى فور، وقد ساءه صلح الاسكندر وعمه . وكذلك يعرف التاريخ أن بعض جند الاسكندر رجعوا من الهند بطريق نيم روز .

(ب) هذه كلمة فارسية : بستر الفراش، وكوش الأذن .

(١) طا : برزوا . (٢) صل : اليه . والتصحيح من طا . (٣) طا : أرسطاطاليس .

وإياك أن تمس أحدا من الكيانية فإنه لا يحسن غرس العداوة فى القلوب . فاتق الله ولا تسفك دماء الأكابر . فإنه يثمر اللعن الى يوم القيامة، ولا يورث غير الحسرة والندامة . والرأى أن تستحضر أكابر بيت الملك، وتملّك كل واحد منهم بلدا أو إقليما، ولا تجعل لبعضهم على بعض حكما ولا يدا، ولا تسمينّ منهم للسلطنة أحدا حتى تشغلهم بحربهم عن بلاد الروم . فلما قرأ الإسكندر كتاب الحكيم استحضر الأكابر الكيانية وأجلسهم فى مراتبهم فى خدمته ثم فرّق عليهم الممالك ، وأمرهم أن يكتب كل واحد منهم كتاب عهد يعاهد فيه على ألا يطلب الزيادة على ما فى يده، ولا يتعرّض لمملكة غيره، ويجترى بما فى حكمه وتحت يده، فاستتب منهم ذلك فسموا ملوك الطوائف .

ذكر وفاة الإسكندر

قال صاحب الكتاب : ثم إنه وصل الى بابل فاتفق أنه ولد فى تلك الليلة مولود له رأس كرأس الأسد، وحافر كحافر الدواب، وذنب كذنب الثور، لا يشبه الإنس إلا[1] فى صدره وكتفه . فلما وضعته أمه مات فى الحال . فحملوه الى حضرة الملك فتطير منه واستحضر المنجمين وسألهم عن طالع ذلك المولود وما تدل عليه أحكام النجوم فى ولادته . فأظلمت الدنيا فى عيونهم لما فهموه ، وكتموا الاسكندر ما علموه . فأوعدهم وهدّدهم فقال له بعض المنجمين : أيها الملك ! إنك ولدت على طالع الأسد . فاذ قد رأيت رأس المولود الميت مثل رأس الأسد فقد دل على زوال ملكك وانتهاء عمرك . واتفقت كلمة سائر المنجمين على ذلك . فاغتم الاسكندر ثم قال : إنه لا بد من الموت، ولست أهتم لذلك . ثم مرض فى يومه ذلك وهو ببابل فاستحضر كاتبه وكتب الى أمه كتابا يعزيها فيه عن نفسه، ويوصى اليها ويأمرها بالصبر والرضاء بما قدّر له من قصر العمر، والتسليم لقضاء الله النافذ فى الخلق . وقال: إنى قد أمرت أكابر الروم، اذا انصرفوا من هذه البلاد، بالتمسك بطاعتك والانقياد لأمرك . وأما أكابر ايران الذين كان يخاف على بلاد الروم من معرتهم فقد ملكت كل واحد منهم إقليما من الأقاليم حتى يمنعه الشغل بما فى يده عن بلاد الروم . واذا مت فادفنونى فى تراب مصر، وفرّقوا من خزائنى مائة ألف دينار فى هذه السنة على المشتغلين بأنفسهم من عباد الله . وروشنك — يعنى زوجته — إن ولدت ابنا فهو ملك الروم لا غير . وإن ولدت بنتا فلتزوّج من ابن فيلقوس ، واتخذيه ولدا ، وجدّدى به ذكر الاسكندر أبدا . وأما ابنة كيد ملك الهند فردّوها، إن أرادت، إلى أبيها مع خزائنها التى جاءت معها، فى عماريتها، ومع تاجها وتختها . وأنا قد استسلمت للموت عن رأس العجز بعد

(١) كلمة "إلا" من طا .

أن فرغت من أشغالى كلها . وقد أمرت أن يعمل لى تابوت من الذهب ، ويملأ من العسل ثم أضجع فيه مكفنا فى الديباج والحرير . وعند الانتهاء الى ذلك ينتهى الكلام . ثم احفظى وصيتى، ولا تخالفى موعظتى ، ولا تمسكى من الأموال التى جمعتها من الهند والصين وسائر الأقاليم أكثر من القوت، وفرقى الباقى على المحتاجين . ثم حاجتى اليك ألا تجزعى علىّ ولا تؤذى نفسك ، واشفعى الى الله عز وجل وأغيثينى بدعائك فانه لا يأخذ بيدى غير ذلك» ثم ختم الكتاب ونفذه الى الروم على يدى بعض المسرعين .

قال : ولما علم العسكر بمرض الاسكندر تسارعوا الى خدمة تخته واجتمعوا على بابه وضجوا من وراء حجابه . فأمر الاسكندر بإخراج تخته من إيوانه الى الفضاء فلما رأوه على مابه من الضعف أجهشوا اليه بالنحيب والبكاء . فقال لهم الاسكندر : استشعروا الخوف، وتسربلوا لباس الحياء، ولا تعدلوا عن المحجة البيضاء، واحفظوا وصيتى، ولا تخلعوا ربقة طاعتى . فلما فرغ من كلامه خرجت روحه فوقع العويل والنحيب فى العسكر، وقام الصراخ عليه . فأحرقوا داره التى كانت مستقره ، وحذفوا من دوابه ألف فرس . ثم جاءوا بتابوت من الذهب مملوء من العسل ، وغسله سكوبا بالماورد ، وغمره بالكافور ، وكفنه فى ثوب ديباج مذهب ، ووضعه فى وسط العسل من الرأس الى القدم ، وأطبقوا عليه التابوت . فلما رفعوه من ذلك المكان اختلفت الفرس والروم فقالت الفرس : لا يدفن الاسكندر إلا حيث مات . وقالت الروم : لا يدفن إلا حيث ولد . فقال شيخ من فارس : إن هاهنا موضعا يقال له جرم (أ)، وهناك جبل من سأله عن شيء أجابه عنه بإذن الله(١)، فاسألوا الجبل حتى يحكم بينكم . فتوجهوا نحو الجبل فسألوه فأجاب وقال : مالكم تحبسون تابوت الملك؟ إن تراب الاسكندر فى أرض الاسكندرية التى بناها فى حياته . فبادروا عند ذلك الى حمله وحملوه الى الاسكندرية . فلما وصلوا اليها خرج الخلائق واجتمعوا على تابوته حتى لو حسبهم المهندس لوجدهم يزيدون على مائة ألف . فجاء الحكيم أرسطاليس(٢) ووضع يده على تابوته وقال : أين رأيك وعقلك أيها الملك حتى صار مسكنك هذا المكان الضيق ؟ وكيف أفضيت بنضارة الشباب الى مضاجعة التراب ؟ وقال آخر : أيها الملك ! ما زلت تدفن الذهب حتى دفنت فيه ووقعت فى خطب لا سبيل الى تلافيه . واجتمع(٣) علماء الروم فخاطبه كل واحد منهم بحكمة، وأبنه بموعظة .

(أ) هو فى الشاه : خرم . وفى الروايات اليونانية أنهم سألوا الآله زفس البابلى فأوحى بالذهاب الى منفس . فلما بلغوها حسن لهم الكاهن الأعظم أن يدفنوه فى الاسكندرية .

(١) طا : باذن الله عزّ وجل . (٢) طا : أرسطاطاليس . (٣) طا : اجتمعت .

ثم جاءت أمه ووضعت وجهها على تابوته وهى تبكى وتنتحب وتقول : ما أبعدك منى مع قربك ! وما أعظم خطبك على صحبك! ثم جاءت زوجته روشَنَك بنت دارا، وطفقت تبكى وتندبه وتنتحب وتنوح عليه (ا) . ثم دفنوه ولم تكن أيامه إلا كبرق ومض، وطرف غمض .

وهـذا آخر الخبر عن قصـة الاسكندر . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين[1] وصحبـه .

[شكاة (ب) الفردوسى من الشيخوخة والدهر :

أيا فلكا معجبا عاليا — غدوت على كبرى زاريا
حدبت على وعمرى قشيب — وأنحيت بالذل يوم المشيب
ويذوى على الدهر كل نضير — وكالشوك يصبح مس الحرير
حنى الدهر سرو الرياض السوى — وأطفأ ذاك السراج البهى
وقد كنت كالأم لى مكرما — وهأنذا منك أبكى دما
وما إن وفيت ولم تحلم — فويلاه من صرفك المظلم
فليتك لم ترعَنى ناشئا — وليتك لم تنقلب شانئا
اذا حُم تركى هذا الظلام — أبث شكاتى رب الأنام
سأشكو الى الله هذا العذاب — برأسى مما جنيتَ التراب
رأى الدهر غمّى يوم الكبر — فاضعف لى إثمه واكفهر

* * *

فردّ الجواب الى الفلك : — كفى أيها الشيخ . ما أجهلك!
لماذا تردّ الى الأمور ؟ — أهذى الشكاة مقال البصير ؟
ومن لى بأوج تبوّأته ؟ — لك العقل بالعلم ربيته

(ا) انظر فى مروج الذهب الثلاثين قولا التى قيلت عند موت الاسكندر، ووصف قبر الاسكندر كما رآه المسعودى .

(ب) حذف المترجم هذه القطعة فترجمتها لِما تُبين عن سن الفردوسى وحاله حينما نظم تاريخ الاسكندر .

(١) طا : على سيدنا محمد وآله أجمعين .

طعام ونوم وعيش رغد وحكمك بين الهوى والرشد
ومالى يدان بهذا الخطر ولا الشمس تدرى ولا ذا القمر
فسل عن سبيلك رب السبيل ورب الدجى والضحى والأصيل.
أجل! واحد ظاهر لا ينام ولا بدء فى فعله أو ختام
له ما يشاء اذا قال : كن . ومنكر هذا غوىّ أفن
و إنى فى الخلق بعض العبيد أوجيه وجهى كيف يريد
وما إن أطعت سوى حتمه ولا أصرف الوجه عن حكمه
الى الله سر وعليه اتكل وسل راضيا خير من قد سئل.
فما غيره قد أدار الفلك وأذكى مصابيحه فى الحَلَك.
ومنه السلام على المرسل وأصحابه السادة الكمل]

القسم الثالث

ملوك الطوائف

§ ذكر ملوك الطوائف

قال الفتح بن على مترجم الكتاب : وحين أنهى الفردوسى أخبار الاسكندر، وانتهى إلى هذه الترجمة أورد فى مقدمتها أبياتا نظمها فى وصف حاله ، وتخلص منها إلى مدح السلطان السعيد أبى القاسم محمود رضى الله عنه، وذكر خلاله الحميدة وسيره المرضية، وأطال فى ذلك نفسه. فاقتديت به وجريت على الطريقة المسلوكة فى إقامة فرائض العبودية ومراسم الخدمة لمن طرزت باسمه فى كتابى هذا أسامى سلاطين الأرض، وجعلته عنوانا لصحائف[1] مآثر ملوك الشرق والغرب، مولانا السلطان الملك المعظم، ملك ملوك العرب والعجم، أبى الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر ابن أيوب، الذى هو فى عهده الاسكندر الثانى، ومفيض الفضل على القاصى والدانى — لا زال ممتعا بالملك والشباب ، آخذا بأعضاد ذوى العلوم والآداب ، رافعا أعلام الملة الزاهرة ، ناصرا رايات الشريعة الطاهرة، محييا آثار الملوك السالفة بفضله غامرا أذكارهم بإحسانه وعدله .

عقاد ألوية الجلال معظم — من جيشه التأييد والتمكين
هو فى دمشق على مبوأ عزه — و بصيت هيبته تجيش الصين

§ القسم الثالث ملوك الطوائف

تنازع خلفاء الاسكندر وتحاربوا على الملك، وتقلبت بهم الغِيَر حتى استولى سليوكس على بابل سنة ٣١٢ ق م . وتوطد سلطانه فى آسيا الغربية ثم امتد سلطانه إلى نهر سيحون ونهر السند . واستمرت دولة السلوقيين قوية زهاء قرنين ثم اضمحلت بعد أنطيوكس السابع .

ولكن سلطان السلوقيين لم يمتد على إيران طويلا فان دولة نشأت فى القسم الشمالى الغربى من إيران سنة ٢٤٨ ق م. واتخذت حاضرتها حوالى دامغان فى قومس . ونازعت السلوقيين السيطرة على إيران وغيرها وكانت الحرب سجالا بينهما : يمتد سلطان هذه الدولة أحيانا حتى يعم ميديا وفارس وبابل، وينحسر أحيانا حتى لا يتجاوز مهدها . حتى دارت الدائرة على السلوقيين فعجزوا أن ينازعوا هذه الدولة سلطانها .

فلما ظهرت روما فى آسيا تصدت لها هذه الدولة فتنازعها السلطان على ما بين النهرين وغيره حتى انتهى الجلاد الطويل بهزيمة الرومان عند نصيبين أمام أرطبانوس (أردوان) آخر ملوك هذه الدولة سنة ٢١٧ م .

=

(١) طا : بصحائف .

فأثبت هاهنا كلمة خدمت بها مقامه الأعلى فى مقتبل استسعادى بتقبيل عتبته الرفيعة وسدّته المنيعة ، ليقف الناظرون فى هذا الكتاب على فضائله الزاهرة التى هى درارى سماء السناء ، ودرر دأماء المجد والعلاء . وأوّل الكلمة :

طغى فى التصابى مغرم القلب هائمه فأقصر واشيه وأخفق لائمه
لدبغ هوى قد أسلمته رقاته له عائدات من هموم تلازمه (١٤١)
سبى قلبه خشف من الإنس عاقد غرير الصبى ما حل عنه تمائمه
حليف جمال يفضح البدر وجهه وتضحك عن زهر النجوم مباسمه
كغصن من الريحان أغيد ناعم سقاه فأرواه من الغيث ساجمه
هتفت به والليل قد شق سجفه (١) ورق إلى أن نم بالسر كاتمه :
أيا ثمل الأعطاف مالك صاحيا ؟ ألم ترسوق العيش قامت مواسمه ؟
أضاء نهار من محياك شامس فما بال ذاك الطرف ينعس نائمه ؟
فقم نصطبح واجل الزجاج قد اكتست أساور من ذوب النضار معاصمه
تحيط بأفلاذ الحريق ضلوعه ويسعر مهما شج بالماء جاحمه

= هذه الدولة التى حاربت السلوقيين ثم الرومان وبقى سلطانها خمسا وسبعين وأربعمائة سنة (٢٤٩ ق م — ٢٢٦ م) هى التى يسميها الأوربيون دولة پرثيا (٢) ويسمون الأسرة التى قامت بها أسرة الأرساسيين (٣) ، ويسميها مؤرخو العرب والفرس دولة الأشكانيين (أو الأشغانيين أو الأشقانيين) ، ويسمون أول ملوكها أشك وينسبونه ، كدأب الفرس فى وصل الأسر الحديثة بالقديمة ، إلى كيقُباد أو كيكاوُس . وتختلف الروايات فى عدد ملوكهم ومدّة حكمهم بين أحد عشر وعشرين ملكا ، وبين ٢٦٦ و٥٢٣ سنة . وقد ذكر البيرونى روايات مختلفة فى عددهم وسنيهم ثم انتهى به التحقيق إلى أن أصح الروايات ما فى كتاب الشابورقان أن ما بين الاسكندر إلى أردشير ٥٣٧ سنة . وذلك قريب جدا من الحقيقة . وقد بين العلامة المسعودى سبب هذا الاختلاف فى مدة دولة الأشكانيين فيما يأتى :

"وبين الفرس وغيرهم من الأمم فى تاريخ الاسكندر تفاوت عظيم . وقد أغفل ذلك كثير من الناس . وهو سرّ ديانى وملوكى من أسرار الفرس لا يكاد يعرفه إلا الموابذة والهرابذة وغيرهم من =

(١) طا : شف . (٢) Parthia. (٣) Arsacids.

رحيقا كميت اللون يركض فى حشا خليع عذار لم ترضه شكائمه
لدى كل مخضر الذلاذل ناضر يفتق أكمام الشقيق نسائمه
يفوح أريج المسك فيه كأنما يشنت فى كف النهاب لطائمه
بأرجائه يشدو الهزار مغردا فيرقص أعطاف الغصون زمازمه
يرجع ألحان الغريض سحيرة يشق عن الورد الجنى كمائمه
كمداح مولانا المعظم كلما أظلت عليهم من نداه غمائمه
ثمال سلاطين البسيطة من غدت ترفع بنيان المعالى عزائمه
إذا أظهروا غر الفعال لمفخر يكون له أفراده وتوائمه
له حكم ذى القرنين فى بسط علمه وبحر نوال فيه يغرق حاتمه
خزائن مال فرقتها يمينه وكنز علوم ضمهن حيازمه
ومرقى علو حلق الوهم طائرا اليه نخانته هناك قوادمه
برأفته طاب الزمان فقد غدت تحاصر آرام الصريم ضراغمه

= ذوى التحصيل منهم والدراية، على ما شاهدناه بأرض فارس وكرمان وغيرهما من أرض الأعاجم. وليس يوجد فى شىء من الكتب المؤلفة لأخبار الفرس وغيرها من كتب السير والتواريخ : وهو أن زرادشت بن بورشب بن اسبيان ذكر فى الأبستا ، وهو الكتاب المنزل عليه عندهم ، أن ملكهم يضطرب بعد ثلثمائة سنة ، ويبقى دينهم . فاذا كان على رأس ألف سنة ذهب الدين والملك جميعا . وكان بين زرادشت والاسكندر نحو من ثلثمائة سنة . لأن زرادشت ظهر فى ملك كيبشتاسب بن كيلهراسب — على ما قدمنا من خبره فيما سلف من هذا الكتاب — وأردشير ابن بابك حاز الملك وجمع الممالك بعد الاسكندر بخمسمائة سنة وبضع عشرة سنة . فنظر فاذا الذى بقى إلى تمام الألف سنة نحو من مائتى سنة . فأراد أن يمد الملك مائتى سنة أخرى . لأنه خشى إن تمت مائتا سنة بعده أن يترك الناس نصرة الملك والذب عنه ثقة بخبر نبيهم فى زواله . فنقص من الخمسمائة سنة والبضع عشرة سنة التى بينه وبين الاسكندر نحوا من نصفها . وذكر من ملوك الطوائف من ملك هذه السنين، وأسقط من عداهم . وأشاع فى المملكة أن ظهوره واستيلاءه على ملوك الطوائف وقتله أردوان أعظمهم شأنا وأكبرهم جنودا إنما كان فى سنة مائتين وستين بعد الاسكندر . فأوقع التاريخ بذلك الخ . =

وتربض فى حجر السراحين شاؤه — وتفرخ فى وكر العقاب حمائمه
اذا هاج يوم الروع تلق ضبارما — براثنه أسيافه ولها ذمه
يطوف به للنصر كل مشيع — تناذره وسط العرين ضياغمه
على كل نهد يسبق اللحظ راكضا — كبرق سريع الخطو يحسر شائمه
فلو وطئت أجفان وسنان لم تكد — تنبهه يوم الرهان قوائمه
جحافل قد سدّوا السكاك بعثير — تلبد حتى باض فيه قشاعمه
هم أشرعوا الأرماح فى ثغر العدى — كما زحفت فى بطن واد أراقمه
فيامن به الأيمان قر أساسه — ويا من به الاسلام طالت دعائمه!
ويا من حوى ملك المغارب مذعنا — له كل من فى الشرق حتى قماقمه!
اذا صمدت صوبا طلائع خيلكم — فلا شىء منها دون أمرك عاصمه
لقد جاءك الفتح الغريب مبشرا — بفتح قريب تستفيض مغانمه

= ويقول مؤرخو العرب والفرس أن الأشكانيين كانوا أعظم ملوك الطوائف الذين نبغوا فى بلاد الفرس بعد الاسكندر، وأن هؤلاء كانوا يقرون بزعامتهم، وأن ملوك الطوائف كانوا زهاء تسعين[(1)]. وفى كارنامك أنهم كانوا أربعين ومائتين.

وكانت إيران إذ ذاك قسمين: أحدهما خاضع للأشكانيين بغير واسطة. وفيه أربع عشرة ولاية. والثانى فى سلطان ملوك يقرون بزعامة الأشكانيين. وبعضهم يسيطر على ملوك أصغر منه أيضاً[(2)].

والأشكانيون كانوا، فيما يظن، تورانيين، وكانوا يتأثرون الحضارة اليونانية. ولم يكن لهم سلطان نافذ يعم بلاد الفرس كلها. وكأنه من أجل هذا لم تعن بهم القصص الفارسية عنايتها بالأسر الفارسية. بل سلبتهم بعض وقائعهم وأسمائهم لتحلى بها وقائع البيشداديين والكيانيين؛ فقارن وكودرز وكيو وبيژن الذين تقدّم ذكرهم ليسوا إلا من أمراء الأشكانيين.

ويقول الفردوسى بعد ذكر بعض ملوكهم: "كان قصيرا أصلهم وفرعهم فلم يحدّث أهل التجارب بتاريخهم. ولم أسمع عنهم إلا الاسم ولا رأيتهم فى كتاب الملوك". =

(١) انظر الآثار الباقية ص ١١٣ وما بعدها، والطبرى ج ٢ ص ١١ وما بعدها، وفارس نامه ص ١٦، والتنبيه والاشراف ص ٩٨، وحمزة الأصفهانى ص ٣٠، والأخبار الطوال ص ٤٠ وما بعدها، والغرر للثعالبى ص ٤٥٦

(٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ١٩٨.

فنادى على أطواد عزك معلنا / على رغم من يحشو حشاه سخائمه:
ألا إن عيسى وارث الأرض كلها / تقام له بالعدل فيها معالمه
سيخطب فى أقصى خراسان باسمه / وتنشر فى تلك البلاد مراسمه
فقولوا لبغبور وراى وقيصر: / حذاركم فالسيل قد جاء هاجمه
وقد أصحر الليث الغضنفر كاشرا / فإن عنّ خشف فهو لا بدّ حاطمه
فبلغت ما نرجوه فيك من العلى / وشانيك تشتم التراب مراغمه

ومنها (١) :

لك الحمد عن عبد غمرت رجاءه / بأمواج جود لا تزال تلاطمه
اذا قام فى نادى معاليك منشدا / وكفك تهمى بالأيادى براجمه
فأين ابن حمدان وأين نواله ؟ / وأين الذى قد قال : "أشجاه طاسمه"
كما أعجز الأملاك من عهد آدم / الى عهدك الميمون ملك تلائمه
كذلك أعيا كل من هز مقولا / بديع قريض عبدك اليوم ناظمه

= ثم فصل الأشكانيين فى الشاهنامه ٧٦٠ بيت، منها ٤١ فى مدح السلطان محمود . وفيها العناوين الآتية :

(١) مقال فى مدح السلطان محمود . (٢) بدء قصة الأشكانيين . (٣) رؤيا بابك فى أمر ساسان . (٤) ولادة أردشير بابكان . (٥) مجىء أردشير إلى قصر أردوان . (٦) رؤية كلنار أردشير وموت بابك . (٧) هرب أردشير وكُلنار . (٨) علم أردوان بأمر كلنار وأردشير . (٩) أردشير يجمع جيشا . (١٠) محاربة أردشير بهمن وانتصاره . (١١) حرب أردشير وأردوان وقتل أردوان . (١٢) حرب أردشير والكرد . (١٣) قصة دودة هفتواد . (١٤) حرب أدرشير وهفتواد، وانهزام أردشير . (١٥) نهب مهرك ابن نوشزاد دار أردشير . (١٦) قتل أردشير دودة هفتواد . (١٧) قتل أردشير هفتواد .

(١) كو : تزيد هنا هذه الأبيات :

يقولون عاطيت الدواء فلا يكن / بك الداء حتى قيل ذلك حاسمه
نعم يصمد الصمصام فى الضرب برهة / فيصقل منه باتر الحد صارمه
ترعرع غصن المجد لما شربته / فها هو منه مورق العود ناعمه
سقيت به ماء الحياة ولم تزل / تشاطر خضرا عمره وتقاسمه

وبعد تحرير هذه الكلمة(١) المقدّمة وتقريرها اقتداء بالفردوسى رحمه الله § عاد بنا الحديث الى ترجمة الكتاب . قال : قد سبق ما اختاره الاسكندر من تفريق الملك والممالك على جماعة متفرقة، وقصده بذلك صيانة حوزة الروم عن معرة الملوك الذين ملكوا بعده على هذه الصفة . وهم الذين سموا ملوك الطوائف ، وهم الاشغانيون . وكانت مدة ملكهم مائتى سنة . وكانت الأدوار تتصرم وكأنه ليس فى العالم ملك . وكان المقدّم أشك (أ) بن أشك . وهو من نسل كيقباذ .

وذكر غير صاحب الكتاب، وهو الطبرى ، أن أشك هذا من ولد دارا الأكبر . وكان مولده ومنشؤه بالرى . ملك من الموصل الى الرى الى أصبهان . وسائر ملوك الطوائف يعظمونه لنسبه وشرفه فيهم . فعرفوا فضله وبدأوا باسمه فى مكاتباتهم ، وسموه ملكا من غير أن يكون اليه تولية أحد منهم أو عزله .

قال صاحب الكتاب : ويليه سابور ثم جوذرز، ثم بيزن، ثم أورمُزد، ثم خُسرَو، ثم أردوان، وكان ذا عقل ورأى، ثم بهرام ، وكان يسمى أردوان الكبير ، وكان اليه ملك شيراز وأصبهان .

---

§ يفتتح الفردوسى تاريخ ملوك الطوائف بقصيدة فى مدح السلطان محمود الغزنوى يصفه فيها بأنه ملك إيران وزابلستان ، وما بين قنوج الى كابل . ثم يمدح القائد الأمير أبا نصر ويسميه أبا المظفر . وأظن أنه أخو السلطان . ثم يذكر أن السلطان أسقط خراج سنة عن أهل الدين والصلاح فى ١٤ شوّال . ثم يقول :

"أنظر هذا الكتاب(٢) فسيبق أبدا لواء على رءوس العقلاء . وسيكون نسلا كيومرثيا(٣) ينطق الألسنة بالثناء . كذلك قال أنوشيروان بن قباد : الملك اذا أعرض عن العدل سوّد الفلك منشوره، ولم تدعه النجوم من بعد ملكا . وما الجور إلا كتاب العزل للملوك . بما يكسر القلوب البريئة . أدام الله هذه الأسرة فى فضلها وعدلها وعلمها . إن الدنيا لا تبقى لانسان، وإنما يخلد الخير على الزمان . أين فريدون والضحاك وجم ، وعظماء العرب وملوك العجم؟ وأين أكابر بنى ساسان ، وعظماء بنى بهرام وبنى سامان ؟ لقد هوى بالضحاك ظلمه الى الدرك الأسفل ، وذهب فريدون بالثناء، ومات ولكن اسمه الخالد فى الأحياء . سمع الناس منشور الملك العادل — أبقاه الله منعما على سرير الملك — فهرعوا الى البرية يجأرون بالدعاء متجاوزا أعنان السماء الخ .

(أ) أشك معناه : الطاهر أو الحكم . وهو عند المؤرخين الأوربيين : (Arsaces) .

(١) طا : تحرير هذه المقدّمة . (٢) يعنى منشور إسقاط الخراج . (٣) أظنه يريد أنه كأفعال كيومرث .

وبابك جدّ أردشير كان باصطخر فى عهده . قال : ولقصر أيامهم لم تنقل أحوالهم ولم يذكر إلا أسماؤهم . (٤٢)

وذكر الطبرى أيضا أنه ملك العراق وما بين الشام ومصر، بعد الاسكندر، تسعون ملكا تملكوا على تسعين طائفة، كلهم يعظم من يملك المدائن . وهم الاشغانيون . ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك أردشير .

ذكر الساسانية ومبدأ أمر أردشير (ا)

قال صاحب الكتاب : لما قتل دارا بن دارا (١) كان له ولد عاقل يسمى ساسان . فلما رأى ما حل بأبيه هرب الى بلاد الهند . ومات بها وخلف ولدا سمى باسم ساسان . وتسمى بهذا الاسم مَن وُلد منهم . فلما كان الولد الرابع، وسمى أيضا ساسان، أقبل الى اصطخر، وكان المتملك بها بابك، فعرض نفسه على بعض الرعاة ليستخدمه فى الرعى فاسترعاه . ولما عرف بحسن الأثر فيما عاناه من ذلك ترقى حتى صار رأس الرعاة الموسومين بخدمة بابك . فاتفق أن بابك رآه(ب) ذات ليلة فى المنام على فيل هائج وبيده سيف مهند، وكلّ (٢) من رآه يسجد له ويخدمه . فتعجب بابك مما رأى منه . فلما كانت الليلة الثانية رآه وكأن بعض من يعبد النار أتاه بثلاث نيران من نيرانهم المشهورة (ج)، وأوقدوها (٣) بين يديه بالعود الرطب . فاهتم بابك فلما أصبح أحضر العلماء والموابذة، وقص عليهم رؤياه . فقالوا : أيها الملك ! من رأيت له هذا المنام يملك ايران، وإن لم يملك هو فسيملك ولده . فسرّى عنه . ثم استقدم ساسان فجاء من الصحراء فى عبائه وقد ضربه الثلج والصقيع . فخلا به واستخبره عن حاله ونسبه . فقال : إن أعطيت الراعى الأمان، وحلفت ألا تناله بسوء أفضى اليك بسره وأطلعك على حاله . فأعطاه الأمان وحلف له . فقال : أنا ابن ساسان حافد الملك بهمن بن إسفنديار بن كُشتاسب . وأعلمه بالحال . فبكى بابك وأحضر له دستا من الثياب البهلوانية، ومركوبا من المراكب الخسروانية، ونفذه الى الحمام . فطرح العباء ولبس تلك الملابس الفاخرة . وأخلى له قصرا وأخدمه الغلمان والخدم . ثم زوّجه ابنته

(ا) هذا العنوان ليس فى نسخ الشاه نامه، والذى فيها : رؤية بابك ساسان فى المنام، وتزويجه ابنته .

(ب) فى كرنامك أن بابك رأى أول ما رأى — أن الشمس تضىء العالم من رأس ساسان .

(ج) النيران الثلاث فى الشاه : آزَرگشَسب وخرّاد ومهر . وفى كارنامك : فروبا، وهى نار الموابذة، وكُشاسب وهى نار الجند، ومهر برزين، وهى نار الزراعة .

(١) كو : داراب . — (٢) صل : كل . وزيادة الواو من طا، كو . (٣) طا : وأوقدها .

فولدت ابنا فسماه أردشير . وهو الذى يقال له(١) أردشير بابكان . فترعرع الصبى وكبر وتعلم الفروسية والآداب الملوكية حتى صار واحد زمانه وأجل أقرانه . فتناهى خبره الى أردوان فكتب اليه وقال : بلغنا أن ولدك أردشير فارس ذو شجاعة ، ومتكلم صاحب فصاحة . فاذا قرأت(٢) الكتاب فأرسله الينا حتى نجذب بضبعه ، وننوه بذكره ، ويكون عندنا بمنزلة الولد . فلما وصل الكتاب الى بابك نفذ أردشير الى الرى الى خدمة أردوان ، وأصحبه رسولا مع جملة من الهدايا والتحف . فلما(٣) وصل الى أردوان أكرمه وأجلسه عند تخته . ثم أخذ يربيه تربية الولد ولا يكاد يصبر عنه . فاتفق يوما مع أردوان فى الصيد، ومع أردوان بنوه الأربعة . فركضوا خلف حمار وحش، وركض أردشير . ولما قرب منه رماه بنشابة مرت فيه الى فُوقها . فحضر أردوان فرأى النشابة فأعجبته الرمية . فسأل عن راميها فقال أردشير : أنا صاحبها . وزعم ابن أردوان أنى صاحبها . فقال له أردشير : إن هذه الصحراء ملأى من اليعافير . فارم آخر إن كنت صادقا . فغضب أردوان حين رفع صوته على صوت ولده . وصرفه عن مكانه ذلك، وفوّض اليه سالارية الاصطبل والخيل . فرجع الشاب منكسر القلب ولازم خدمة خيل الملك . وكتب الى جدّه كتابا يعلمه فيه بحاله . فلما وصل الكتاب الى بابك اهتم فكتب اليه يعيره ويعنفه ويسفه عقله حين راكض ولد الملك وجاراه فى الصيد . ونفذ اليه قدرا من الذهب ليستعين به فى نفقته . فاتخذ دارا عند اصطبل(٤) الملك ولازم بيته . ولم يكن له شغل غير الأكل والشرب . وكان هذا البيت تحت قصر الملك أردوان . وكان له فى القصر جارية تسمى الجلنار . وكانت خازنته ودستوره . فأشرفت يوما على أردشير فعشقته . ولما أمست أخذت حبلا وعقدت فيه عقدا وربطته فى بعض شرفات القصر ونزلت منه الى منزل أردشير فصادفته وهو فى غمار النوم ممتلئا من الأسف والهم، فرفعت رأسه ووضعته فى حجرها . فلما استيقظ ضمته الى صدرها وألصقت خده بخدّها . ثم شغف كل واحد منهما بصاحبه . وجعلت تختلف هكذا الى أردشير .

ثم اتفق موت بابك باصطخر . وامتدّت أطماع الأكابر الى ملك فارس . فعين أردوان لذلك ولده الأكبر، ونفذه اليها . فلما بلغ ذلك أردشير أظلمت الدنيا فى عينه ، وعزم على أن يهرب من عند أردوان . فاتفق أن الملك أحضر جميع من كان عنده من المنجمين ونفذهم الى قصر الجلنار لينظروا فى طالع الملك، ويفتشوا عن أسرار الفلك فى ملكه وفيمن يتولى بعده(٥) . فقعدوا ثلاثة أيام يطالعون الزيجات ويبحثون عن قضايا النجوم . ولما كان اليوم الرابع حضروا عند أردوان وقالوا :

(١) كلمة "له" من طا ، كو . (٢) طا : هذا الكتاب (٣) طا : فلما دخل على .
(٤) طا : عند خيل الملك ، (٥) طا : من بعده .

إنه سينتزع خاطر الملك فى هذا القرب ، ويهرب صغير من كبير، ويكون الهارب من المنتمين الى عرق كريم فيصير ملك الأرض وصاحب التاج والتخت . فعظم ذلك على أردوان وامتلأ همًا وحزنا . ولما كان الليل نزلت الجارية الى أردشير وأخبرته بما سمعت من قول المنجمين . فصمم عند ذلك عزمه على الفرار، وعرض ذلك على الجارية فوافقته عليه . فرجعت وأخذت من خزانة الملك ما احتاجت اليه من الجواهر النفيسة، وأخذت قدرا من الذهب . ولما كانت الليلة الثانية نزلت الى أردشير فأسرج فرسين أشهب وأدهم فركب هو أحدهما وركبت الجارية الآخر . فطار بهما الركض .

ولما أصبح أردوان ووقف على الحال توقد مثل النار من(1) فعل الجلنار . وأحضر الوزير والمدبر والمشير وفاوضهم فى أمر أردشير . فركب فى جماعة من فرسانه وأطلق من عنانه، وطار فى أثره مسرعا حتى انتهى الى مدينة . فاستقبله أهلها فسايلهم عن الهاربين فقيل له : قد عبر علينا وقت ١٤٣
المغرب فارسان(2): أحدهما على فرس أدهم، والآخر على فرس أشهب . وفى أثر أحد الفارسين أيّل يجرى كالريح المرسلة (أ) . فقال له الوزير عند ذلك : الرأى أن تثنى عنانك فتستعد لقتال أردشير . فانه قد فاتك والسعادة تجرى فى أثره . فرجع أردوان وكتب الى ولده الذى أرسله الى اصطخر، وكان يسمى بهمن، وأعلمه بالحال، وأمره بالتيقظ وألا يطلع أحدا على ذلك الأمر . وأما أردشير فانه مر حتى انتهى الى ساحل البحر فأمن عند ذلك من الطلب . وبث الزواريق الى أطراف فارس، فانضوى اليه كل من كان من أصحاب جدّه بابك حتى كثف سواده وكثر جنده وهو عند ذلك البحر . فقال له بعض الموابذة : إن كنت تريد الملك فالرأى أن تستولى على ممالك فارس ثم تقصد الرى وتقاتل أردوان . فانه أعظم ملوك الطوائف قدرا ، وأعلاهم أمرا، وأكثرهم جنودا وكنوزا . فاذا قهرته وملكت خزائنه لم يبق أحد يقاومك فى جميع الممالك . فاستصوب أردشير رأى الموبذ، وركب فى أصحابه وصار نحو اصطخر . فلما علم بهمن بن أردوان بإقباله ركب فى عساكره، وتأهب لقتاله . وكان فى جملته بهلوان كبير يسمى بيابك(3) وهو صاحب مدينة جهرم، وله سبع بنين، وكان صاحب شوكة وقوة . فانحاز الى أردشير وانضم الى جملته بجميع أصحابه وعساكره . فأكرمه أردشير وقبله أتم قبول غير أنه توهم أنه أنما(4) انحاز اليه لاحتيال واغتيال فأوجس منه خيفة فى نفسه . فكان يحترز منه

(أ) فى الشاه : بجناحه بجناح العنقاء، وذنبه كذنب الطاووس . وكالحصان القوى فى رأسه وأذنه وحافره، لونه أحمر، يعدو كالريح العاصف .

(1) طا : من صنيع . (2) كو : فارسان يغذان السير . (3) هو فى الشاه : تباك .
(4) صل : لما . والتصحيح من طا، كو .

ولا يسترسل اليه . فأحس البهلوان المحنك بمـا هجس فى ضمير أردشير فأخذ كتاب الزند، ودخل عليه وحلف له أنه لم يضمر له سـوءا، ولم يبطن له مكروها، وأنه لم يحمله على قصده إلا خلوص الطوية ومحض المحبة . فلما علم منه ذلك استنام اليه، وعوّل فى جميع أموره عليه، واتخذه أبا شفيقا وناصحا أمينا . فسار فى جموعه حتى قرب من بهمن فالتقوا ودارت بينهم رحى الحرب، وجرت وقعة عظيمة انكشفت عن هزيمة بهمن . فهرب فى خف من عدده، ونجا بجُرَيعـة الذقن . فصار أردشير الى اصطخر، وملكها وملك بملكها فارس . فاجتمع اليه أهل تلك الممالك فدلوه على خبايا بهمن وذخائره فاستولى عليها وفرقها على عساكره .

ولمـا انتهى الخـبر بذلك الى أردوان ضاقت عليه الأرض بمـا رحبت . فحشد الجموع وجنـد الجنود وسار من الرى قاصدا قصد اصطخر . فتلقاه أردشـير، واتصلت الحرب بينهما أربعين يوما متوالية . ثم تبدت مبادى الدبرة على أصحاب أردوان، وعصفت فى وجوههم ريح كادت منها الجبال تمور مورا، فأصبح ماء أردوان غورا . واستأمن جميع أصحابه الى أردشير . وحُمل أردوان اليه أسيرا فأمر به فوسط بالسيف فى ذلك المعترك . وأسر من بنيه اثنين، وفرّ آخران الى بلاد الهند . فاستعلى أمر أردشير، وحصل من عساكر أردوان على نعم وافرة وأثقال كثيرة ، ففرقها على جيوشه . وأتاه بياك وقال له : الرأى أن تتزوج بابنـة أردوان حتى تدلك على كنوزه ودفائنـه، ويكون ذلك سببا لكمال السلطنة لك . فاستصوب رأيه وسار الى الرى وتزوج بها، وأقام فى إيوانها شهرين . ثم انصرف الى اصطخر فبنى بها مدينة تسمى أردشير خرّه، وأجرى اليها الأودية والأنهار، وعمر حوالى المدينـة رستاقا أجرى اليها الأنهار أيضا . وأنشأ بها بيوت نار، ووكل بها الهرابذة والموابذة .

ثم إنه عزم على قتال الأكراد (أ) ، وكانوا يعيشون فى أطراف البلاد، فاجتمع منهم عساكر عظيمة[(١)] بحيث كان بازاء كل فارس فارسى ثلثون منهم . فالتقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة، وكثر القتل فى أصحاب أردشير . فعلم أنه لا يطيق مقاومتهم فاتخذ الليل جملا وانهزم . فرأى فى ظلمة الليل نارا من بعيد فقصدها . فلما أتاها صادف جماعة من الرعاة وقد نال منه العطش . فاستسقاهم فأتوه بماء وحليب ونزل عندهم . فلما أصبح سألهم عن الطريق فدلوه على ضياع وقرى متصلة على أربعة فراسخ من مكانه ذلك . فجاء اليها ونزل فيها ونفذ جماعة الى مدينته المسماة أردشير خرّه . فأقبل اليه العساكر

(أ) يظهر أن الحرب كانت مع الميد لا الكرد، ففى كارنامك أردشير أن اسم ملك الكرد "ماديك" . ومعنى هذه الكلمة "ميد" وهذا يوافق روايات الفرس التى تجعل حاضرة أردوان فى ميديا . (و رنـ ج ٦ ص ٢٠٣) .

(١) طا : كثيرة .

ففرق الجواسيس ليأتوه بخبر حلل الأكراد ومنازلهم . فجاءته الأخبار بأنهم نازلون فى بيوتهم وأنهم مسترسلون غير متحفظين ولا محتفلين بأردشير . وبلغه أنهم يزعمون أنها دولة عرضت فأعرضت ، وأيام قضت بالسعادة ثم انقضت . فانتهز أردشير الفرصة، واهتبل غرتهم، وسرّ بما أتاه عنهم ، وانتخب من أصحابه ثلاثين ألف فارس وسار اليهم فكبسهم ووطئهم وطأة قهر، فانقسموا قسمين ما بين قتل وأسر، واستباح جميع حللهم . فخلص العالم من عبثهم، وسلم الناس من عاديتهم، وأمنت الجواد والطرق، وتردّدت السابلة والرفق، وصارت كما قال أبو الطيب :

تُذم على اللصوص لكل تجر ... وتضمن للصوارم كل جان

اذا طلبت ودائعُهم ثقات ... دفعن الى المحانى والرعان

فباتت فوقهن بلا صحاب ... تصيح بمن يمرّ : ألا ترانى؟

ثم إنه انصرف إلى اصطخر فأمر أصحابه بالإراحة والاستراحة، والتزوّد من الراحة ليوم شدّة وعناء، والاستظهار لما سوف يعرض من يوم كريهة ولقاء .

ذكر الخبر عن دودة هفتواذ §

قال صاحب الكتاب : كان فى بلاد فارس مدينة تسمى نُكاران (أ) على ساحل البحر . وكانت كثيرة الخلق ضيقة الساحة . من عادة بنات أهلها أنهن يوافين باب المدينة كل صبيحة ، فاذا اجتمعن توجهن نحو سفح جبل هناك قريب، ومعهن مغازلهن . فيقبلن على الغزل ثم ينصرفن بالعشى إلى مساكنهن . وكان فى هذه المدينة رجل يسمى هفتواذ . وإنما سمى بذلك لأنه كان له سبعة ١٤٤

§ يرى مول أن هذه القصة ذكرى مبهمة من جلب دود القز إلى إيران، وازدهار صناعة الحرير والثراء الذى تيسر للناس منها (١) . ويرى درمستتر ونُلدكه أنها شعبة من أساطير التنين عند الأمم الهندية — الأوربية . ويروى درمستتر قصة اسكندناڤية تشبه هذه القصة بعض الشبه :

أعطى الكونت هرُدر ابنته الجميلة تورا (٢) ثعبانا وجده فى بيضة نسر . وأعجبت تورا بالثعبان فاتخذت له مهادا من الذهب فى صندوق . ويكبر الثعبان فيكبر الذهب معه حتى يضيق به الصندوق ومسكن الصبية . وشرس الثعبان فلم يجرؤ على الدنو منه أحد إلا الرجل الذى كان يطعمه . وكان طعامه ثورا كاملا كل يوم . =

(أ) هى فى نسخة ورنر : بكاران . وفى الطبرى : نوجران .

(١) مول (Mohl) حـ ٥ ص ١٧ . (٢) (ThoraH ‘ Herrandr) .

بنين . وكانت له بنت تخرج كل يوم مع البنات إلى الجبل المذكور . فحضرت المكان يوما فسقطت من بعض الأشجار التى كانت هناك فى حجرها تفـاحة . فعضتها فوجدت فى وسطها دودة فأخذتها ووضعتها فى وعاء[1] برسم المغزل من الحلنج، وقالت : سأغزل اليوم على سعادة هذه الدودة . فغزلت شيئا كثيرا من القطن فوق المعهود منها، وغلبت أترابها. ولم يزل ذلك دأبها حتى استغنت بكثرة غزلها. وكانت تطعم الدودة كل يوم قطعة تفاح . فقالت لها أمها يوما : كان الجن معك حتى تهيأ لك هذا الغزل الكثير. فأخبرتها بحال الدودة، وعلم بذلك أبوها أيضا . فتيمنوا بالدودة وجعلوا يعتنون بأمرها ويربونها حتى كبرت وضاق عليها وعاء المغزل . فعملوا لهـا صندوقا ووضعوها فيـه . وظهرت آثار بركتها على حال هفتواذ وأولاده فكانوا يزدادون كل يوم ثروة ونماء وترفعا واعتلاء حتى استظهر بكثير[2] غمر ومال دثر . فطمع أمير تلك المدينـة فى ذات يده واغتصابه كل أمواله . فاجتمع أهل المدينة مع هفتواذ، وخرجوا على الأمير وتصـدّوا لقتاله . فوقعت بينهم وقعة عظيمة أفضت إلى قتل الأمير . واستبد هفتواذ بذخائره وأمواله . وخرج من تلك المدينة، وبنى على رأس بعض جبالها قلعة حصينة وتحوّل اليها بخيله ورجله وأهله وولده ودودته . وحصن القلعة حتى عمل لهـا سورا من حديد . ثم إن الصندوق ضاق على الدودة فحفروا لهـا فى الصخر حوضا فى القلعة، ووضعوها فيه، ووكلوا بها خدما ومستحفظين . وكانوا يطعمونها كل يوم قدرا من الأرز، ويغذونها بالشهد واللبن حتى أتت

= وعد الكونت أن يعطى ابنته والذهب من يقتل التنين . فانتدب لهذا غلام فى الخامسة عشرة اسمه ركنر، وقتله وتزوج تورا[3] .

وفى الطبرى[4] أن أردشـير حارب ملكا اسمه بلاش فى كرمان فأسره واسـتولى على مدينته . وأنه «كان فى سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنبود كان يعظم ويعبد فسار اليه أردشـير فقتله وقطعه بسيفه نصفين وقتل من كان حوله، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزا مجموعة فيها» . فإن فرضنا أن أحد الملوك الذين حاربهم أردشير فى هذه النواحى كان يربى دود القز ويصنع الحرير فليس بعيدا أن يكون لأسطورتنا هـذه منشأ من الحقيقة . ويرى نُلدكه أن استواد (ذكر هـذا الاسم فى بعض النسخ مكان أبتنبود) تحريف اسم فهلوى هو أصل "هفتواد" الذى فى الشاهنامه .

ثم فى كارنامك "هفتان بُخت" بدل "هفتواد". وقد يحرف الثانى عن الأوّل فى الخط الفهلوى. فتفسير الفردوسى "هفتواد" بسبعة أولاد ليس بعيدا من الصواب . لأن «هفتان بخت» يحتما .

(١) كو، طا : فى وعاء كان معها برسم . (٢) صل : بمال غمر . والتصحيح من طا . وفى كو : بكثير غمر.
(٣) ورنر (Warner) حـ ٦ ص ٢٠٣ (٤) طبرى حـ ٢ ص ٥٧

عليها خمس سنين فصارت من الكبر والضخامة كالفيل . واستفاض خبرها بين الناس فسميت تلك الناحية كرمان (١) (ا) .

قال : واجتمع لهفتواذ جيش عظيم حتى كان بنوه السبعة يركبون فى عشرة آلاف فارس . وكانوا مظفرين على جميع من ينهض لقتالهم من الملوك . فلما وقف أردشير على حال هفتواذ، وأنه لا يفكر فى بيت كيقباذ نفذ اليه بعض الإصبهبذين فى عسكر عظيم كثيف. فكسرهم هفتواذ كسرا، وأوسعهم قتلا وأسرا . فعاد من سلم من الوقعة الى أردشير فأعلمه بما جرى على أصحابه . فالتهب غيظا وسار فى عساكره قاصدا قصد هفتواذ . فلما دنا بعضهم من بعض كادت الأرض تمور من كثرة العساكر فقامت الحرب بينهم على ساق، وجرت بينهم وقعة عظيمة . ولما أمسى أردشير تأخر ونزل . ثم إن هفتواذ أخذ عليه الطرق من جميع جوانبه، وضاق على عسكره الطعام حتى جهدوا . و بلغ أردشير أن صاحب جهرم المسمى مِهرك (ب) هجم على مدينته المستحدثة التى تسمى أردشيرخُرّه فنهبها واستولى على ذخائره وخزائنه بها . فضاق أردشير بذلك ذرعا، واستحضر أصحابه وشاورهم فى حاله، وفاوضهم فيما دهاه من مهرك . ثم أمر بمد السماط فوضع بين يدى أردشير حمل مشوىّ . فلما اشتغل الحاضرون بالأكل جاءت نشابة حتى وقعت فى الحَمَل الذى بين يدى أردشير . فاستعظموا ذلك وكفوا أيديهم عن الطعام . فقام بعضهم ونزع النشابة من الحمل فوجدوا عليها كتابة فهلوية فقرئت فاذا فيها ذكر أن النشابة رمى بها من القلعة، ولو أراد راميها أن يصيب بها أردشير لتيسر له . وفى الكتابة : اعلم أيها الملك العالم ! أن ثبات هذه القلعة من سعادة الدودة . ولا ينبغى لشهريار مثلك أن يكون من قتلاها . قال : وكان ما بين القلعة ومنزل أردشير مسافة فرسخين . ففرح أردشير (٢) وحمد الله تعالى وشكر مرسل تلك النشابة . فارتحل راجعا الى فارس فأتبعه عسكر هفتواذ، وقتلوا من أصحابه خلقا كثيرا، وتفرق الباقون آخذين نحو بلادهم . ووقع أردشير فى جماعة من خواصه الى قرية فصادف رجلين من أهل تلك القرية فقال لهما : فى أى طريق أخذ أردشير؟ وكيف عبر؟ وقصد بذلك التعمية عليهما . واسترشدهما عن الطريق فأرشداه اليه، ودعواه الى ضيافتهما . فنزل أردشير ودخل الى منزلهما فقدما اليه طعاما، وطفقا يحدثانه و يلاطفانه ويهونان عليه أمر هفتواذ، وأنه سوف يخمد جمره وتركد ريحه . فعلق كلامهما بقلبه واستحسنه فأخبرهما بنفسه . فوثبا وقبلا الأرض بين يديه . فخاضوا فى حديث هفتواذ واستيلائه على ذلك الطرف واستظهاره بالعدد والعُدد، فقالا:

(ا) كِرم بالفارسية : الدودة . والجمع كرمان .

(ب) هو فى كرنامك : مترك . وفى الطبرى أنه كان ابرساس، من أردشيرخرّة .

(١) كوة وطا : كرمان من أجل تلك الدودة . (٢) طا : ففرح أردشير بالسلامة وحمد .

أيها الملك ! إن الدودة التى استعلى بها أمر هفتواذ شيطان لا يقاومه أحد، ولا يمكن الظفر بها إلا بالحيلة. فليفكر الملك فى ذلك . فركب الملك من تلك الضيعة وتوجه نحو أردشير خُرّه، واستصحب الرجلين .

فلما وصل اليها جمع عسكره، وأطلق أرزاقهم، وركب وسار نحو مدينة جهرم قاصدا قصد مِهرك الغادر . فلم يقدر على الثبات بين يديه فهرب . فنزل أردشير فى جهرم وأرسل وراءه الطلبة حتى ظفر به فقتله وقتل جميع من كان ينتسب اليه من أولاده وأقاربه، ولم يهرب منهم سوى بنت له، فإنها نجت ولم يظفر بها .

ثم إنه سار من ذلك المكان فى اثنى عشر ألف فارس حتى نزل على منزل من قلعة هفتواذ . وسلم العسكر الى بعض أمرائه وأوصاه بحفظهم وبأن يبث الطلائع ويفرّق الجواسيس. وقال: إنى أريد أن أحتال حيلة لقتل هذه الدودة اقتداء بجدّى إسفنديار فى قتل أرجاسب — على ما سبق — فاذا أخبرك الديدبان بأنه شاهد بالنهار من القلعة دخانا وبالليل نارا فانهض فى العسكر حتى تنتهى الى باب القلعة . ثم استحضر دواب وأوقرها بالثياب والجواهر والذهب والفضة، وحمل قدرا كبيرة من الحديد مع جملة من الرصاص والنحاس، واستصحب طائفة من ثقاته وفيهم الفلاحان اللذان أضافاه . ولبسوا ملابس الصوف، وتوجهوا نحو القلعة فى زى التجار . فصعد اليها بأحماله ورجاله . وتيسر له النزول عند حرس الدودة ومستحفظيها . وقال : إنى تاجر خراسانى قد أتيت بجملة من القماش والذهب والفضة والجوهر لأبيع وأبتاع فى مدينتكم هذه على سعادة الدودة . ثم قال لهم : إنى أريد أن أفتح البيع والشرى بضيافتكم. فكونوا أضيافى ثلاثة أيام. ففعل ذلك وأضافهم . وقال لهم : دعونى أتبرك بخدمة الدودة وإطعامها. قال: فأطعمهم يوما وسقاهم حتى سكروا وغمرهم السكر أجمعين. فنصب قدر الحديد وأذاب فيها ما كان معه من الرصاص والنحاس، وقدّمها الى حوض الدودة على مثل عادتهم فى تقديم قدر الأرز اذا أرادوا إطعامها . ففغرت فاها فأفرغ ما فى القدر فى حلقها فانشق حلقومها، وسمع منه صوت عظيم ارتج منه الجبل. وبادر الى السكارى فى أصحابه بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم. (١٤٥)

وكان الديدبان قد شاهد ارتفاع الدخان بالنهار حين أوقد نار الضيافة فأخبر سالار عسكره فركب وسار بهم الى القلعة (١) . فوافق وصولهم اليها طلوع الصبح . فلما علم هفتواذ بمجىء العسكر بادر الى باب القلعة فرأى أردشير عليه كأسد هصور فأحس بالشر . ونزل أردشير وانضم الى أصحابه، وتناوشوا الحرب ساعة فأسروا هفتواذ وولده الأكبر سابور . فأمر بهما فصلبا ورشقا بالسهام . واستولى على القلعة وذخائرها ودفائنها فاصطفى البعض لنفسه وفرّق الباقى على عساكره . ثم سلم ذلك الاقليم الى الفلاحين المذكورين، وعاد الى بلاد فارس. ثم ارتحل وسار منها الى شهر زور ومنها الى مدينة طيسفون وقعد مقعد السلطنة .

---

(١) لم يذكر الأمارة الثانية وهى رؤية النار ليلا، كما تقدّم فى قصة إسفنديار .

القسم الرابع

الساسانيون

§ ٢١ — ذكر نوبة أردشير بابكان، وكانت مدّة ملكه اثنتين وأربعين سنة (أ)

وهو الذى يقال له أردشير بن بابك . وهو أردشير بن ساسان . وبابك جدّه لأمه — كما سبق .

قال : فجاء أردشير بن ساسان إلى بغداد(ب) . واعتصب بالتاج وجلس على تخت العاج محييا معالم الملوك الماضين، وسادا مسد آبائه الأولين ، كأنه كُشتاسب روعة وبهاء ورفعة وسناء . وتلقب بشاهنشاه .

ومما جرى له أن بهمن بن أردوان الذى هرب عند مقتل أبيه[(١)] دس إلى أخته (ج) التى كانت تحت أردشير قطعة سم على يد بعض ثقاته وأمره أن يقول لها : لا تشفقى على عدوّك وقاتل أبيك، ولا تقطعى حنوّك على أخيك[(٢)] ، وإذا أمكنتك الفرصة فى زوجك فانتهزيها وأطعميه من هذه المُهلاهل . فلما أتاها الرسول برسالة أخيها تحرّقت عليه وعلى سائر إخوتها الذين قسمتهم يد الأسر

§ القسم الرابع — الساسانيون

٢٢٦ — ٦٥٢ م

هذا القسم من الشاهنامه يعدّ تاريخا وإن ضمن كثيرا من الأساطير . فكل الملوك المذكورين فيه يعرفهم التاريخ على النسق الذى فى الكتاب، ويعرف كثيرا من مآثرهم وأخبارهم المسطورة فيه . ولكن فى الكتاب أساطير ينكرها التاريخ، وفيه أغلاط فى سنى الملوك، وفى نسبة الوقائع إلى أصحابها .

وتاريخ الساسانيين معروف، وفى الكتب العربية كثير من أنبائهم وأقوالهم وآدابهم ورسائلهم وأساطيرهم . فلست أجد هنا حاجة إلى البيان الذى لم أجد منه بدا فى الفصول السابقة .

وحسبى أن أقول هنا : إنها دولة دامت أربعة قرون، وامتدّ سلطانها على إيران وما صاقبها، وساجلت الروم الحرب نزاعا على الجزيرة وسورية عصورا متطاولة ، وإن لها أثرا فى الحضارة لا ينكر ولا سيما وصلها حضارة المشرق القصى بحضارة الساميين والأوربيين ، وإنها جمعت الفرس تحت سلطان واحد بعد أن فرّقتهم الحادثات أكثر من خمسمائة عام — منذ غلب الاسكندر المقدونى =

(أ) الصواب أن حكم أردشير كان من ٢٢٦ إلى ٢٤١ م . ويروى الطبرى أنه حكم ١٤ سنة أو ١٤ سنة وعشرة أشهر .

(ب) كان فى العصر البابلى مدينة فى العراق تعرف بهذا الاسم . وقد عرف أيام الفتح الاسلامى اسم سوق ببغداد قرب المدينة الحالية . والمدينة المقصودة هنا بهرسير (به أردشير) وهى سلوقيا القديمة (Seleucia) .

(ج) اسمها فى كرنامك : زجانك .

(١) كو : أبيه إلى الهند . (٢) طا : عن أخيك .

والنهب . فأخذت السم الذى أتاها به الرسول . فاتفق أن أردشير ركب يوما إلى الصيد، وعاد وقت الظهر وقد نال منه العطش والحر. فأخذت جاما من الياقوت الأصفر، وجعلت فيه سويقا وسكرا، ودست فيه شيئا من ذلك السم، وناولته الملك . فلما تناوله وقع من يده وانكسر وتبدّد ما فيه . فانزعجت المرأة من ذلك وارتعدت . فنظر الملك فى وجهها فاتهمها وساء ظنه ، واستحضر أربع دجاجات فأرسلها على ذلك السويق . فلما تناولن منه متن للوقت والساعة . فتعجب الملك من تلك الحالة، وجعل يقول : من ربى الكاشح حتى يسكر من النعمة والترف لم ير منه غير الهلاك والتلف . فاستحضر وزيره (١) وقال له : ما جزاء هذه الغدّارة ؟ فقال : أن يقطع رأسها حتى يعتبر بها غيرها . فأمره أن يرميها فى بئر ويطمها عليها . فأقبل الموبذ بها ليمضى فيها أمر الملك . فلما خرج بها قالت له : إنى مشتملة على حمل من الملك . وإن أكن مستحقة للقتل فما جرم هذا الجنين ؟ فأمهلنى حتى ألد ثم امتثل ما أمرت به . فعاد الموبذ إلى الملك وأخبره بذلك . فقال له : لا تسمع كلامها وافرغ منها سريعا . فعظم ذلك على الموبذ وقال فى نفسه : إن الملك ليس له ولد، وإنه وإن طال عمره فمصيره إلى الموت، ومهما لم يكن له ابن انتقل ملكه إلى عدوه . فالأولى أن أستعمل الرفق فى أمر هذه المرأة وأستأنى بها حتى تضع حملها ثم أمتثل فيها أمر الملك . فإن ذلك أمر لا يفوتنى . ولأن

= على ديارهم حتى استقل أردشير بأعباء الملك، وإنها بعثت دين زردُشت وجمعت بين الملك والدين جمعا له أثر بيّن فى تاريخها، فكان أردشير يرفع قواعد الدولة والدين معا، ودعاته يدعون له باسم الدين والسياسة . ولا تزال رسالة تنسَر إلى ملك طبرستان ناطقة بهذا [(١)] .

ويرى القارئ أن الفردوسى يوجز الكلام فى هذا القسم إذ كان ينظم ما يجد ، ولم تفسح له الأساطير مجال القصص هنا إفساحها فى الأقسام السالفة .

ويمتاز عهد أردشير بما كتب عنه فى كتاب فهلوى يعرف باسم كرنامك أردشير پاپكان، أى كتاب أعمال أردشير بن بابك . وقد ذكره المسعودى فى مروج الذهب باسم الكرنامج [(٢)] . ويظهر أنه كتب فى القرن السابع الميلادى . وفيه أربعة أقسام :

(١) قصة نشوء أردشير. (٢) وقصة أردشير والكرد. (٣) وقصة الدودة. (٤) وقصتان عن سابور . وهى تخالف الشاهنامه فى تفصيل بعض الحوادث . =

(١) اسمه فى الطبرى ابرسام (ج ٢ ص ٥٧) .

(١) انظر تاريخ طبرستان لابن إسفنديار ، والإشراف ص ١٠٠ (٢) ج ١ ص ١٥٤

أتبع العقل خير من أن أتبع الجهل . فحملها الى بيتـه وأخلى لهـا موضعا . وأمر زوجته بخدمتها والقيام بأمرها و إخفاء سرها . ثم إنه تدبر وقال فى نفسه : إن هذا الأمر يطلق فىّ ألسنة الأعداء، و يوقفنى فى مواقف التهـم . والأولى أن أتحرز من ذلك . فانفرد وجب نفسه مستأصـلا أنثييه وصاحبيهما، ونثر عليهـا الملح، و وضعها فى حقة وختمها وكتب عليها تاريخ يومه . ثم كوى موضع الجب . فضعف واصفر لونه . وأراد الدخول على الملك فأمر فحمل فى مهـد ، وأقبل حتى دخل على الملك . فلمـا رآه ورأى ما به من الضعف سأله عن حاله . فقال: إنى لمـا أمضيت ما أمرنى به الملك هالنى ذلك وغمرتنى الرقة فضعفت ، وحال لونى . ثم قال : وهذه الحقة وديعتى . فليأمر الملك الخازن بحفظها . فسلمها اليه .

قال : ثم[1] هذه المرأة وضعت ابنا كأنه ملك قاعد على تخته . فأخفاه عن الناس و رباه حتى شب وترعرع وأتت عليه سبع سـنين . فاتفق أنه دخل ذات يوم على الملك فصـادفه واجما مهموما . فقال : أيهـا الملك ! ما هـذا الهم ؟ وهذا أوان نشـاطك وسرورك حين ملكت الأقاليم و بلغت من الملك غاية السؤل . فقال : أيها الناصح ! إن ملك العـالم قد استقام لى، وقد أتى علىّ من العمر إحدى وخمسون سنة، واشتعل رأسى شيبا وصار مسك عارضى كافورا ، وليس لى ابن يخلفنى و يرثنى الملك . فأنا أتأسف على الملك وأخاف انتقاله بعدى إلى العدو، وألا يبقى معى غير الحسرة والتعب . فانتهز الوزير فرصة الكلام وقال : إن وجدت الأمان على روحى أرحت الملك من هذا الهم . فقال : أى شيء يكون أنفع من رأى الحكماء ؟ فأعرب عما فى ضميرك ولا تخف . فقـال : إن لى

= ثم قصة أردشـير فى الشاهنامه ٦٦٠ بيتا فيها العناوين الآتيـة : وما بين الأقواس محذوف من الترجمـــة :

(١) جلوس أردشير على العرش . (٢) واقعة أردشير و بنت أردوان . (٣) مولد سابور ابن أردشـير . (٤) لعب أردشير بالكرة ومعرفة أباه إياه . (٥) أردشير يسأل كيدًا الهندى عن طالعه . (٦) تزوج سابور بنت مِهرك ـــ مولد أورمزد بن سابور من بنت مهرك . (٧) تدبير أردشـير المملكة . [(٨) نصح الملك أرشير عظماء إيران . (٩) إيصاء أردشـير الناس . (١٠) ثناء خرّاد على أردشير] . (١١) خلع أردشير المملكة على سابور .

وفى نسخة تبريز وترجمة ورنر فصل آخر فى حمد الخالق، والثناء على السلطان محمود .

(١) كو ، طا : ثم إن هذه .

عنـد الخازن أمانة . فأشر إليه بإحضارها . فأحضر الحقة . فسأل الملكُ عما فيها فقال : إن الذى فيها مادة حياتى . و إنى لمـا أمرتنى بقتل ابنـة أردوان أطعت الله وخالفت أمرك لمكان حملها . لجبيت نفسى حتى لا يسوء ظن العدو بى، ولا أقع فى بحر الريبة والتهمة . وقد رزقك الله أيها الملك ! ابنـا، وهو الآن ابن سبع سنين، سميته سابور . وأمه بعد باقية تربيه (أ) . فتعجب الملك من ذلك وقال : أيها النـاصح الشفيق ! تحملت عناء عظيما . وستجد ثمرته . فأخرج هذا الصبى إلى الميـدان ما بين مائة غلام يساوونه فى القدّ والسن والزى، ومرهم باللعب بالكرة والصولجان حتى أخرج أنا إلى الميدان وأنظر هل أعرف ولدى من بين هؤلاء الصبيان. ففعل الوزير ذلك . ولمـا دخل أردشير الميـدان ورأى الصبيان يتلاعبون عرف ولده سابور ، وتنفس الصعداء، وأشار إليـه بيده وقال
(١٤٦) للوزير : هذا ولدى . ثم أمر بعض غلمانه أن يتوسط الصبيان ويلعب معهم ثم يسلب منهم الكرة ويرميها الى(١) ما بين يدى الملك . ففعل الغـلام ذلك ، فلما حصلت الكرة فى موكبه(٢) لم يتجاسر أحـد من الصبيان على التقدّم لأخذها سوى سابور . فانه هجم ولم يحجم، وتقـدّم غير مفكر، وأخذ الكرة من بين يدى أردشير وعاد بها إلى أترابه . فتهلل وجه أردشير حتى كأنه عاد إلى عوده ماء الشباب . فبادره الفرسان فأخذوه من الأرض وجاءوا به إلى أردشير . فاعتنقه وضمه إلى صدره، وقبل ما بين عينيه، وعاد به إلى إيوانه . ثم أمر فنثروا عليه من الدر والياقوت ما غمر الصبى وعلاه حتى غطى وجهه . وعمل مثل ذلك مع الوزير ، وأكرمه إكراما عظيما حتى بلغ به إلى أن أمر أن ينقش اسمه على إحدى صفحتى الدينار والدرهم واسم الملك على الصفحة الأخرى (ب) . وعفا عن ابنة أردوان وأمر بردّها إلى مكانها . ثم سلم سابور إلى المعلمين فعلموه الآداب الشاهنشاهية والمراسم السلطانية. ثم أمر ببناء مدينة على اسم ولده سابور . وهى التى تسمى جند يسابور .

قال : فكبر سابور وكان لا يفارق خدمة أردشير ساعة، وصار له وزيرا ودستورا ومدبرا ومشيرا. وكان هو وأبوه لا يستريحان ساعة من مقاتلة الأعداء والركض إلى أطراف البـلاد فى حسم مادتهم ودفع عاديتهم . وكان كلما دفع عدوّا من جانب ظهر له عدوّ من جانب آخر . فقال أردشير ذات يوم لوزيره : إنى أسأل الله تعالى أن يملكنى الأقاليم ويطهر ساحة الأرض ممن ينـازعنى فى الملك حتى أتفرّغ لعبادته تعالى وتقدّس . فقال له الوزير : أرسل إلى كيد صاحب الهند فانه رجل عالم

(أ) أنظر قصة أم سابور فى الأخبار الطوال والطبرى وغيرهما وهى فى كارنامك تخالف ماهما فى بعض التفصيل .

(ب) التاريخ لا يؤيد هذا . وعلى بعض سكة أردشير صورة بابك وعلى بعضها صورة سابور .

(١) صل : الى بين . والتصحيح من طا .   (٢) طا : فى موكب الملك .

يخبر عن الأحوال الكائنة، وسله متى تحصل لك هذه السعادة . فكتب إليه وسأله عن ذلك فأجاب وقال : إذا حصل امتزاج بين نسل الملك ونسل مِهرَك بن نوش زاذ استراح الملك حينئذ واطمأن فى مستقر الملك ، فينقص تعبه وعناؤه وتنمو كنوزه وأمواله ، ولا يحتاج إلى تجهيز جيش، ويفرغ لكل لهو وعيش . فعظم ذلك على أردشير وقال : لا كان يوم أحتاج فيه إلى مواصلة العدو . ونفذ عند ذلك إلى جهرم فى طلب ابنة مهرك التى هربت . فلم يقدر عليها ، والتجأت إلى بعض الضياع واختفت .

ذكر قصة سابور بن أردشير مع ابنة مِهرَك بن نوش زاذ المذكورة

قال : ثم بعد مدّة من الزمان اتفق أن ركب أردشير إلى الصيد ، ومعه ولده سابور . فصاروا إلى متصيدهم فأجروا خيولهم فى طلب الصيد وتفرّقوا فى الصحراء . فوقعت عين سابور على ضيعة كثيرة الماء والشجر ، وكان عطشان فيممها . ولما انتهى اليها رأى بستانا عند منزل رئيس الضيعة فدخله يطلب الماء . فرأى جارية كالقمر ليلة البدر تستقى من بئر هناك . فلما رأت وجه ابن الملك جاءته لتستقى له ماء باردا . فمنعها فانصرفت وجلست على حافة نهر هناك . فأمر سابور بعض غلمانه أن ينزع له ذنوبا فوجدها غربا فلم يقدر . فجاءت الجارية ونزعت له ذنوبا أو ذنوبين . فتعجب سابور من قوتها وبهت من حسنها (١) فسألها عن أصلها فقالت : إن أعطيتنى الأمان أعلمتك بذلك . فأعطاها الأمان فأخبرته بأنها ابنة مهرك (١) طلبة الملك أردشير . وذكرت أنها من خوفها منه وقعت الى تلك الضيعة . فآمنها سابور ، وخطبها الى زعيم الضيعة فزوجها منه . ثم إن الجارية حملت من سابور فوضعت ابنا كأنه إسفنديار قدّا وشكلا فسماه أورمُزد . فشب ونما ولما بلغ سبع سنين صار كأنه ليس له نظير فى العالم . وكانوا يكتمونه ولا يخلونه أن يخرج من البيت . فاتفق أن أردشير خرج الى الصيد ذات يوم ومعه ولده سابور . فانسل الصبى وخرج الى الميدان وأخذ يلعب بالكرة مع الصبيان . فاتفق أن أردشير انصرف من طريقه لحاجة فدخل الميدان ، والصبيان غائصون فى غمرة اللعب ، فوقعت الكرة إلى قريب منه فلم يتجاسر الصبيان على التقدّم لأخذها سوى أورمزد . فانه تقدّم واستلب الكرة من بين يدى جده غير محتفل بخيله ورجله ، وصاح فى أثر الكرة . فتعجب الملك وسأل عن اسم الصبى . فسكتوا من حيث لم يكن فيهم أحد يعرفه فأمر بأن يحمل إليه فسأله عن أبيه فقال بصوت رفيع : أنا ابن ولدك سابور بالنسب الصحيح ، من بنت مهرك . فتعجب أردشير

---

(١) فى تاريخ حمزة أن اسمها كردزاد (الكردية) انظر ص ٣٥

(١) طا، كو : لحسنها .

وضحك، واستحضر سابور فسايله وضحك إليه . فاعترف بأنه ولده، وأخبره بقصته مع أمه . فاستبشر الملك وامتلأ سرورا . وعاد به إلى إيوانه وأمر فنثروا عليه الجوهر حتى انغمر الصبي فيه . ثم تناول الملك بيـده واستخرجه من وسط النثار . وفرّق أموالا كثيرة على الفقراء ، وزين إيوان بيت النار بالديباج وألوان الثياب . وجلس مع أركان دولته وخواص حضرته فى مجلس الأنس وقال: إن العاقل لا ينبغى له أن يعـدل عن قول عالم الهند . فإنه أخبر أنه لا يستقر تحت سلطتنا، ولا تستمر سعادة أيامنا، ولا تنتظم أحوال ملكنا ولا تلتئم مصالح دولتنا إلا حين يختلط نسبنا بنسب مهرك . وقد صح الآن ذلك . فإنه منذ ثمـان سنين، من حيث ولد أورمزد، لم يدر علينا الفلك إلا بمـا نريد . وقد استتب لنا ملك الأقاليم السبعة، وأدركنا قصارى البغية ونهاية المنية .

ذكر نبذ من سير أردشير

حكى أن أردشير جد واجتهد، فأسس مبانى العدل ومهد، ورفع قواعد السياسة وشيد . قال : فاسمع(١) الآن ما نورد من سـيره ومستحسن تدبيره ونتاج رأيه وعقله : فمن ذلك أنه أحب أن تتكاثر جنوده وتتضاعف جيوشه فنفذ إلى أطراف بلاده وأقطار ممالكه ، وألزم كل من رزق ابنا أن يعلمه آداب الفروسية ومراسمها . حتى اذا استكمل أسباب ذلك وأحكمها واسـتوفى أقسامها واستوعبها صار إلى باب الملك فكتب العارض فى جريدة الجيش اسمه و يعطيه من المعيشـة رسمه، فاذا عرض حرب أو حدث خطب سار تحت راية بهلوان الجيش. ووكل على كل ألف منهم موبذا خبيرا بالأمور عارفا بأحوال الجمهور، وجعله عليهم كالرقيب يخبره بما يرى من غنائهم، و يطلعه على شجاعهم وجبانهم. فيأمر الملك حينئذ بإكرام الشجاع و إثباته فى ديوان الجيش، وبإسقاط الجبان وتعريضه لمـا يتأتى منه من الحرف والأشغال . و لم يزل ذلك دأبه حتى جمع جنودا كاد يغص بهم فضاء الأرض ولا يسعهم نطاق العدّ والحصر . ومن سيرته أنه كان لايستخدم فى ديوانه جاهلا ولا يستعمل فيه إلا من كان عالمـا. وكان ذا عناية بمن يكون حسن الخط فصيح القلم بارعا فى البلاغة. فمن كان حظه من الأدب والفضـل أوفر كان بنيل أفضاله أحرى وأجدر . وكان يعظم الكتبة و يكرمهم و يقول : إنهم خزنة سرى، وأنسباء روحى . وكان إذا أنفذ منهم واحدا الى طرف من أطراف المملكة أوصاه وقال: لا تبع جواهر الرجال بأعراض الأموال، ولا يكن لك مطلوب سوى الصلاح والسداد، وتجنب عن مظان الحرص والفساد، ولا تستصحب من أولادك وأقاربك أحدا، وحسبك بمن نضم اليك عونا وملتحدا، واجعل عليك للفقراء كل شهر راتبا لا تخل به . ومن يحسدك فاحرمه معروفك ولا تعتن بأمره . (١٤٧)

(١) طا، كو : فاستمع الآن الى .

ومن سـيرته أنه كان اذا حضر بابه متظلم أو ذو حاجة من طـرف من الأطراف بادره بجماعة من ثقاته قد رتبهم لذلك فسايلوه عن ولاة ناحيته وعمالهـا، واستخبروه عن حالهم فى العدل والظلم . فمن وقف من حاله على كسر جبر، ومن عثر منه من أولئك على خلل غيّر .

ومن سيرته أنه كان اذا أراد أن ينفذ عسكرا الى عدوّ يختار رجلا عاقلا كاتبا عالمـا حافظا لأسرار المُلك فيرسـله الى ذلك العدوّ برسالة تشتمل على إعذار و إنذار حتى لا يأتيه على غرة . فإن أجاب المرسل إليه وسمع وأطاع ولم يؤثر الاقتحام على الشر ولا مباشرة الحرب أكرمه بخلعه ومبارّه، وأعطاه المنشور على ممالكه ودياره . و إن كان غير ذلك أعطى عسكره الأرزاق وأطلق لهم العطايا والصلات وجهزهم اليه تحت راية بهلوان عاقل موصوف بالسكون والتؤدة راغب فى حسن الأحدوثة، ونفّذ معه كاتبا معروفا ذا غنى وغناء وسـنا وسناء ، يكون ضابطا للجيش حافظا لهم من النزق والطيش ، كافا إياهم عن الظلم والغشم . ثم يأمر مناديا فيركب ظهر فيل وينادى فى العسكر بصوت جهير و يقول : يا وجوه العسكر ! لا تحاملوا على أحد ، وأحسـنوا الى الرعيـة ، ولا تمدّوا أيديكم الى ما فى أيدى غيركم . واعلموا أن كل من أحجم منكم فى القتال عن عدوه لا يرى الخير من بعد ؛ فاما أن يلقى فى القيد والحبس و إما أن ينقـل الى الناووس والرمس . ثم يوصى مقدّم الجيش و يقول : لا تكن فى أمرك متوانيـا ولا نزقا و لا بادئا بالقتـال . واذا عبيت الصفوف فلا تجعـل الفيلة إلا أمام الكل . وفرّق الطلائع الى أربعـة أميال . واذا قامت الحرب فطف بنفسك على العسكر ، وصغّر أمر العـدوّ فى أعينهم ، وقوّ قلوبهـم وعدهم بمواطفنا ومبارّنا ، ومنّهم بأعطيتنا وصـلاتنا . واحفظ قلب العسكر عنـد اللقاء واثبت مكانك . وإياك أن يخرج منهم أحد و إن كثر العسكر وكثف الجمع . واجهد أن تحمل ميمنتك على ميسرة العدوّ فيفرغوا وسعهم و يبذلوا جهدهم ، ثم تحمل ميسرتك على ميمنتهم بقلوب متحدة وقوى متعاضـدة ، ولا يزايل قلب العسكر مكانه و يكون شـبه البنيان المرصوص لا يتحرك منهم أحد إلا أن يتحرك قلب العدوّ . فحينئذ تزحف بقلبك اليهم . واذا رزقت الظفر وانهزم العدوّ فلا تسفك الدماء . ومن استأمنك منهم فأعطه الأمان . واذا ولاك العـدوّ ظهره فلا تمكن عسكرك من النهب والغارة . ولا تأمن أن يخرج العدوّ عليـك من المكمن . ثم اجمع، بعد أن تأمن العـدوّ ، المغانم واقسمها على من باشر الحرب بنفســه ، وعرض للهلاك مهجته . ثم من حصـل فى يدك أسيرا فجهزهم الىّ حتى أبتنى لهم مدينة وأسكنهم إياها . واحفظ هـذه الوصية ، ولا تعدل عن مقتضاها حتى تسلم وتغنم .

ومن سيرته الموصوفة سيرته فى ترتيب الرسل الواردة عليــه من الأطراف : فكان الرسـول اذا وصل الى طرف بلاده رتبت له الأنزال منزلا منزلا الى أن يصل الى الحضرة، بعـد تقدّم إنهاء أمره

اليها قبل . و يأمر باستقباله و يجلس على تخت الفيروزج فى إيوانه ، و يصطف الملوك والرؤساء على رأسه سماطين، فى الملابس المنسوجة بالذهب . فاذا وصل الى الباب أمر بإدخاله عليه . فاذا حضر أجلسه عند تحته فسايله عن سره وجهــره وخيره وشره . ثم يحضره فى مجلس أنسه ، و يخرج به الى متصيده، وهو راكب فى العدد الدهم من عسكره . ثم يجاوب عما صحبه من الرسالة، و يأمر أن يخلع عليه، ويتقدم الى الرسول دار(١) بحمل ذلك اليه وصرفه .

ومن ســيرته أنه فرق جماعة من الموابذة فى أقطار المملكة وأمرهم بأن يبحثوا عن أحوال الرعيــة فى السر . فاذا عثروا منهم على غنيّ قوم غاضت جمة ماله ، وصاحب ثروة تغير وجه حاله أنهوا ذلك الى الملك لجبر كسره ولمّ شعثه بحيث لا يرتفع ستر الحشمة عن وجهه ، ولا يطلع أحد من أهــل بلده على سره . فلم يبق فى دولته ذو خلة إلا من طوى حاله فى تضاعيف الكتمان ورضى لنفسه بالحرمان .

ومن سيرته أنه كان يفرق ثقاته فى أقطار ممالكه حتى إن رأوا ضيعة متشعثة أمر بإسقاط خراجها والنظر فى حال أهلها ، و إن رأوا دهقانا يتقاعد حاله عن الإنفــاق على عمــارة ضياعه عاونه بالمــال والدواب ليرتاش وينتعش . ومن سيرته أنه كان يحضر الميدان صبيحة كل يوم فترفع اليه قصص المظالم فينتصر من المظلوم للظالم .

قال صاحب الكتاب مخاطبا لمحمود أو غيره : فالآن أيها الشهريار ! إن كنت تريد انتظام أحوالك فانسج على هذا المنوال، ولا تؤثر غير راحة الرعية لتكون مشكورا عند البارى والبرية .

(١٤٤٨) قال : ثم إن أردشير مرض بعد أن أتت عليه ثمان وسبعون سنة. فاستحضر ولده سابور وعهد اليه§ وأوصاه وصية قال فى آخرها: و إنى ملكت اثنتين وأربعين سنة، و بنيت ست مدائن كالجنان

§ عهد أردشير الى سابور طويل نظمه الفردوسى فى ســتة عشر ومائة بيت . وقد بالغ المترجم فى اختصاره كما حذف قبل هــذا فصلا يتضمن نصح أردشير أهل إيران وثناء رجل اسمه خراد على أردشير . وأريد أن أعرض على القارئ ما عهد به أردشير الى ابنه فى أمر الدين والدولة ليرى . كما قلت فى مقدمة هذا الفصل، أن أردشير رفع قواعد ملك إيران ودين زردشت معا . يقول أردشير:

”لا يقوم الدين بغير سرير الملك ، ولا يقوم الملك بغير الدين ، و إن العاقل يرى أحدهما محوكا فى الآخر؛ لا الدين فى غنى عن الملك، ولا الملك محمود بدونه . كلاهمــا حارس الآخر كأنهما مقيمان فى سرادق واحد . لا يستغنى هذا عن ذاك ولا ذاك عن هذا ، فهما شريكان صالحان . إن رجل الدين اذا أسعده العقل والرأى يظفر بالدنيا والآخرة جميعا . الملك حارس الدين فلا تدع الدين والملك إلا أخوين . ومن اجترأ على ملك عادل فلا تسمه ذادين، ومن يحقد عليه فلا تعده تقيا .

(١) الرسول دار : القائم بأمر الرسل .

المزخرفة . وهأنا أرتحـل الى الناووس ثم إما الى نعيم و إما الى بوس . فعليك بالعدل بين الرعيـة ، والإحسان الى الخليقة . ثم مضى الى سبيله . والمدائن إحداها أردشير خرّة ، وهى جور . والثانية أورمزد أردشير، وهى سوق الأهواز . والثالثـة رام أردشير . ومدينتان عنـد ميسان والفرات . والسادسة مدينة أخرى وهى على غربى المدائن على ما قال غير صاحب الكتاب (١) .

٢٢ — ذكر نوبة سابور بن أردشير . وكانت مدّة ملكه ثلاثين سنة (ب)

وهو الذى تسميه العرب سابور الجنود (ج) . قال : ثم اعتصب سابور بتاج السلطنة، واجتمع اليه عظماء المملكة فوعد الناس خيرا ، والتزم لهم أن يتقيل أباه فى الاحسان الى الرعية والترفرف عليهم بجناح العاطفة والرأفة، وألا يتوخى فيهم إلا ما يتضمن مصالحهم وألا يأخذ من الدهاقين أكثر من الثلث، ولا يغلق على متظلم باب العـدل . فقام أكابر الحاضرين ودعوا له وأثنوا عليه، ونثروا عليه الجواهر، وانفض المجلس .

ثم سارت الأخبار فى أطراف الأقاليم بموت أردشير وقعود سابور فى مكانه من الملك . فأطاع بعض واستعصى بعض. وأنهى الخبر بأن أهل قيذافه عصوا وامتنعوا من أداء الخراج فسار فى عساكره الى أن نزل على التونية فخرج عسكر عظيم من قيذافه وانضم اليهم عساكر التونية . وكان بهلوان الكل رجل يسـمى برانوس . وهو فارس بطل وجيه عنـد قياصرة الروم . فلقى سابور و جرت بينهم على باب(١) المدينة وقعة عظيمة أسر فيها برانوس مع ألف وستمائة نفس، وقتل منهم ثلاثون ألفا . فأرسل قيصر عند ذلك الى سابور ، وتضرع اليـه وطلب الصلح، والتزم الخراج على أن ينصرف عن باب التونية . فأجابه سابور الى ذلك . فنفذ اليـه ملء عشرة من جلود البقر ذهبا من الدنانير القيصرية وألف وصيف ووصيفة وأنواعا كثيرة من الثياب . فارتحل سابور وعاد وراءه حتى وصل الى الأهواز فأمر ببناء مدينة تسمى سابور كرد، وأنفق فى بنائها أموالا كثيرة حتى فرغ منها . ثم بنى مدينة أخرى وأسكنها أسارى الروم، وهى على رأس الطريق المسلوك من بلاد الخوز . و بنى بفارس مدينة أخرى كبيرة. و بنى قُهُنْدُز نيسابور . وكان برانوس أسيرا يحمله معه وهو مع ذلك يصغى الى كلامه و يشاوره.

---

(١) فى نسخة تبريز وترجمـة و رنر هنا فصل فى حمـد الله ومدح محمود الغزنوى . وليس فيه ما يفيـد المؤرخ إلا قوله عن السلطان : شاب فى العمر وشيخ فى الحكمة .

(ب) ملك من ٢٤١ — ٢٧٢ م . وقصـته فى الشاه ٨٨ بيتا .

(ج) هذه الجملة من عند المترجم .

(١) طا ، كو : على باب التونية .

قال : وكان بتستر واد كثير المـاء عميق جدا فقال لبرانوس : إن كنت مهندسا فاعقد قنطرة فى طول ألف ذراع على هذا المـاء . واذا فرغت فارجع الى بلادك . فاشتغل برانوس بذلك طلبا للخلاص ، بعد أن حكمه الملك فى خزائنـه لينفق على العمارة ما يريد . فجدّ برانوس واجتهـد وجمع الصناع من جميع البلاد وأحضر لها المهندسين ففرغ من بنائها . وعاد الملك من وجهه وعبر على تلك القنطرة مع جنوده وأطلق برانوس فعاد الى بلاده § .

قال مترجم الكتاب : ومما أغفل الفردوسى رحمه الله من وقائع سابور قلْعة الحضْر(١) . وهى مدينة كانت بحيال تكريت، ما بين دجلة والفرات . وكان ملكها رجل من العرب يسمى الضيزن بن معاوية . وكان قد ملك أرض الجزيرة وبلغ ملكه الشام ، واجتمع عليه من قضاعة وبنى العبيـد وغيرهم من قبائل العـرب ما لا يحصى . وإنه تطرف بعض السواد فى غيبة غابها سابور بن أردشـير . فلما عاد وأعلم بما أقدم عليه صاحب الحضر شخص اليه وحاصره فى حصنه ونزل عليه أربع سنين وهو لا يقدر عليـه . ثم إن بنتا للضيزن يقال لهـا النضيرة عركت فأخرجت الى الربض . وكانت من أجمل نساء زمانها . وكذلك كان يفعل بالنساء اذا حضن . وكان سابور من أجمل الرجال صورة . فرآها ورأته

---

§ سابور بن أردشير أو سابور الأول حارب الرومان مرتين : الأولى انتهت سنة ٢٤٤ م بعد أن هُزم سابور وعبرت جيوش الروم الفرات، وقاربت المدائن . والثانية كانت بعد أربع عشرة سنة من الأولى وفيهـا أسر سابورُ الأمبراطور ڤلريان (Valerian) فبقى فى الأسر حتى مات . وقـد خلدت الواقعـة فى صورة يظهر فيهـا سابور فارسا والامبراطور جاث أمامه . وهى فى النقوش التى تعـرف فى إيران اليوم باسم نقش رستم(٢) .

ويسمى الأمبراطور فى الشاهنامه برانوس، ويجعل قائدا مقربا عند القياصرة .

ويسمى فى الأخبار الطوال أليريا نوس ويوصف بأنه خليفة صاحب الروم(٣)، والطبرى يقـول عن سابور : « وأنه حاصر ملكا كان بالروم يقال له أليرنانوس بمدينة أنطاكية فأسره » .

وأما تكليف سابور أسيره ببناء قنطرة ، كما فى الشاهنامه وغيرها، فليس بعيـدا أن يكون سابور سخر أسارى الروم فى بناء قنطرة تسـتر التى لا تزال قائمة ويسمى بعض السدود والقناطر قرب تسـتر باسم قيصر، وفى هذا ذكرى بناء الروم قنطرة هناك(٤) .

---

(١) طا، كو : فتح قلعة . (٢) سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٠٠ (٣) الأخبار الطوال ص ٤٧

(٤) انظر فى وصف القنطرة سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٠٤ ، ودائرة المعارف البريطانية (Shushter) .

فعشقها وعشقته فأرسلت اليه وقالت : ما تجعل لى إن دللتك على ما تهدم به سور هذه المدينة وتقتل أبى ؟ قال : لك حكمك وأرفعك على نسائى وأخصك دونهن بنفسى . قالت : عليك بحمامة ورقاء[1] فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فيتداعى . وكان ذلك طلسما[2] لا يهدمها إلا هو . ففعل ذلك وتأهب لهم فتداعت المدينة ففتحها عنوة وقتل الضيزن وأباد بنى العبيد وأفنى قضاعة حتى لم يبق منهم باق . وفى ذلك يقول شاعرهم :

ألم يحزنك والأنباء تنمى بما لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن و بنى أبيه وأحلاس الكتائب من يزيد
أتاهم بالفيول مجللات و بالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسى الحضر صخرا كأن ثقاله زبر الحديد

قال: فخرب سابور الحضر، واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر . فلم تزل ليلتها تتضوّر من خشونة فُرُشها، وكانت من حرير محشو بقز . فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هى ورقة آس ملتصقة بعكنة من عكنها قد أثرفيها . قال : وكان ينظر الى مخها من لين بشرتها . فقال لها سابور: بأى شىء كان يغذوك أبوك ؟ قالت : بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفو الخمر . فقال : وأبيك! لأنا أحدث عهدا بمعرفتك، وأوتر لك من أبيك الذى غذاك بما تذكرين . فأمر رجلا فركب فرسا جموحا فضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا . فلذلك قال الشاعر وهو عدى ابن زيد :

أقفر الحضر من نضيرة فالمر باع منها فجانب الثرثار (أ)

قال الفردوسى : فبقى سابور مستقرا على سرير الملك موطئا للرعية أكناف العدل والأمن حتى أتت عليه من ملكه ثلاثون سنة فطلعت عليه طلائع المنية فاستحضر ولده أورمزد ، وهو هرمز . (١٤٩)
فعهد اليه وأوصاه بأن يعدل[3] الى الرعية وألا يرفع صوته فوق كل ذى صوت خافض، ولا يسلك غير طريق العدل، ولا يحرص على جمع الكنوز واقتناء الأموال، وأن يكون متيقظا فى جميع الأمور . ثم قضى نحبه وسلك سبيل الذاهبين ، وورد موارد الأولين . وصلى الله على[4] محمد وآله الطاهرين أجمعين .

(أ) أنظر القصة مفصلة فى الطبرى ، وقد ذكرت فى الأخبار الطوال منسوبة الى سابور ذى الأكتاف الآتى ذكره . وانظر فصل سابور ذى الأكتاف .

(١) طا : بحمامة مطوقة ورقاء . (٢) طا ، كو : طلسمها . (٣) طا ، كو : بأن يحسن .
(٤) طا ، كو : سيدنا محمد .

٢٣ — ذكر ملك هرمز بن سابور بن أردشير . ولم يملك سوى سنة وأربعة أشهر(أ)

وكان يلقب بالجرىء . ولم يحصل له روعة الملك لقصر مدّته . ولما جلس فى مقام السلطنة مهد قواعد المعدلة ، وبسط ظل الرأفة على الرعية حتى اتفق الذئب والشاة فى المورد . ومما يؤثر من كلامه ماقال : إن ثبات أسرّة السلاطين لا يحصل إلا بأصحاب العقل والرأى والدين ، وإن العقل ماء والعلم أرض لا ينبغى لأحدهما أن يفارق الآخر ، وقوله : إذا ذكرت الملوك عند العاقل فلا ينبغى إلا أن يكون كلامه بمعيار العقل موزونا فإن ما يقوله لا يبقى مكتونا ؛ فإن نطق فى حقهم فلينطق بالحسن وإن أسمع فيهم قبيحا فليزم(١) سمعه بالصمم . فان قلب الملك يرى سره ويسمع رزه .

قال : ولما دنت وفاته استحضر ولده، وكان يسمى بهرام ، وعهد إليه وأوصاه وقال : أيها الولد الطاهر المستعلى على الخلق بالرجولية والعلم ! أصغ الى المتظلمين ، واصفح عن المسيئين ، وإياك والحقد والكذب . ومن يكن نماما أو جاهلا أو محتالا فلا يجدن له عندك مجالا . واعلم أن قلة الحياء وكثرة الكلام يسوّدان وجه صاحبهما بين الأنام . واتخذ العقل سيدا والغضب عبدا ، ولا تحتد على المتقين . وتجنب الحرص فانه يورث الجبن والغيظ . وآثر الحلم والسداد، وتجنب الالتواء والفساد . وإياك وما يورث قبيح الأحدوثة . وإياك والعجلة فانها تورث الندامة . وعليك بالرفق فهو مادة الاستقامة . ولا تكن نزقا حديدا ولا متوانيا بليدا وليكن عقلك بين هاتين الحالتين وسيطا . ولا تقربن طالبا للثالب والمعايب ولا تطمع فى صداقة العدو الموارب . قال : ثم قضى نحبه فقعد بهرام فى مجلس العزاء أربعين يوما ثم قعد بعد ذلك مقعد أبيه من السلطنة .

٢٤ — ثم ملك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكانت مدّة ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر

§ كان رجلا ذا حلم وتؤدة فاستبشر الناس بولايته . وأحسن السيرة فيهم واتبع فى ملكه وسياسة الناس آثار آبائه . ولم تطل مدّته . ولما قربت وفاته أحضر ولده ، وكان يسمى بهرام أيضا ، فأقعده عند تخته فعهد اليه وأوصاه ومضى لسبيله .

---

§ بهرام الأوّل (٢٧٢ — ٢٧٥ م) كان ابن سابور لا ابن هرمزد كما هنا . وهو الذى قتل مانى؛ يقول الطبرى ، ويوافقه حمزة الأصفهانى : « فأمر بقتله وسلخ جلده ، وحشوه تبنا وتعليقه على باب من أبواب مدينة جنديسابور ، يدعى باب المانى . وقتل أصحابه ومن دخل فى ملته » .

وقصته فى الشاه ٤٨ بيتا .

(أ) ملك (٢٧٢ — ٢٧٣ م) . وقصته فى الشاه ٩١ بيتا . (١) طا : فليرم .

٢٥ — ثم ملك بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير تسع عشرة سنة (١)

قال : فجلس فى مأتم أبيه أربعين يوما وحضرته أكابر المملكة وجلسوا معه على التراب يبكون ويضجون . ثم أتاه الموبذ ليجلسه على تخت السلطنة فما انشرح صدره لذلك . ولم يزل به حتى أجاب بعد تسعة أيام فاستوى على تخته وعقد التاج على رأسه ، وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ودعا له الحاضرون بمثل ما كانوا يدعون لآبائه فردّ عليهم مردّا حسنا . ولم ينقل صاحب الكتاب شيئا من أخباره أيضا . قال : ومات بعد استكماله تسع عشرة سنة وخلفه ولده ، وكان يسمى بهرام بهراميان .

٢٦ — ثم ملك بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير وكان ملكه أربعة أشهر §

ولما جلس على تخت الملك وعقد التاج على رأسه أتته الموابذة ونثروا الجواهر على رأسه ولقبوه كرمان شاه(ب)، واجتمع اليه أكابر المملكة ودعوا له بالبركة وطول العمر . فردّ عليهم أحسن ردّ، ووعدهم من نفسه بكل خير . ثم أنه لما علم أن وقته قرب عهد الى نرسى — وهو أخو بهرام الثالث (ج) على ماقال غير صاحب الكتاب فانه لم يكن له ولد — وأوصاه . فصرم الأجل حبله ولحق بمن مضى قبله .

---

§ فى المسعودى والبيرونى (جدول أبى الفرج) أنه ملك أربع سنين وأربعة أشهر . وفى الطبرى أربع سنين . ويظن نُلدكه أنه ملك أربعة أشهر فى دار ملكه ، وملك زمنا آخر فى بعض الأصقاع، ولعل هذا كان من أجل محاربة نرسى الخارج عليه .

ويعرف من التاريخ أنه بعد قليل من ولاية بهرام الثالث ثار النزاع على الملك بين هرمزد ونرسى . ويظهر أنهما من أبناء سابور الأول (Sykes) ج ١ ص ٤٠٩) . ثم قصته فى الشاه ١٧ بيتا .

---

(١) ملك (٢٧٦ — ٢٩٣ م) وقصته فى الشاه ٣٥ بيتا . أنظر قصة هذا الملك ووزيره والبوم ، فى مروج الذهب .

(ب) فى البيرونى وحمزة الأصفهانى أن لقبه سكان شاه ، أى ملك سجستان ، وأن الملقب كرمان شاه هو بهرام بن شابور الآتى ذكره .

(ج) فى الشاه : أنه ابنه .

٢٧ — ثم ملك نرسى (ا) بن هرمز بن سابور بن أردشير وكانت مدّة ملكه تسع سنين

قال : ولما فرغ من مأتم بهرام تسنم سرير(١) الملك وعقد التاج على رأسه فدخلت عليه العظماء والأشراف ونثروا عليه الجواهر ودعوا له وأثنوا عليه فوعدهم الخير . وسار فيهم مدة ملكه بأحسن سيرة وأعدل طريقة . ثم لما حان حينه عهد إلى ولده هرمز، وولاه الملك وأوصاه ثم سلك سبيل الغابرين ولحق بآبائه الأولين .

٢٨ — ثم ملك هرمز بن نرسى بن هرمز (ب) بن سابور بن أردشير وكان ملكه تسع سنين أيضا (ج)

قال: ثم إنه جلس على تخته وعقد التاج على رأسه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نصح الحاضرين ووعظهم ووعدهم بكل خير .

وكان النـاس، على ما قال غير صاحب الكتاب (د)، قد وجلوا منه إذ قد أحسوا منه بفظاظة وشدّة من قبل . فلما ملك أعلمهم أنه قد علم خوفهم مما كانوا يرون من شكاسة طبعه وشراسة خلقه، وذكر أنه قد أبدل تلك الغلظة والفظاظة رقة ورأفة . فساسهم بأرفق سياسة وسار فيهم بأحسن سيرة وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ما بين الرعية .

قال: فهلك ولم يكن له ولد . فجلس أشراف المملكة فى عزائه أربعين يوما . ثم وجدوا فى جواريه جارية حبلى فعقدوا التاج على رأسها . فلما أتت عليها أربعون يوما وضعت ابنا كالشمس الزاهرة . (١٥٠)
فسماه الموبذ سابور فاستبشر الناس وفرحوا بمولده .

(ا، ب) فى الشاه : نرسى بهرام أى نرسى بن بهرام . وكذلك فى المسعودى والطبرى وحمزة والبيرونى . ويجعله الطبرى أخا بهرام الثالث . وقد ملك (٢٩٣ — ٣٠٢ م) . وقصته فى الشاه ٢٦ بيتا .

(ج) ملك (٣٠٢ — ٣٠٩ م) . فالصواب ما فى البيرونى والطبرى والمسعودى : أن ملكه كان سبع سنين وخمسة أشهر ثم قصته فى الشاه ٢٥ بيتا .

(د) انظر الطبرى .

(١) طا : تخت الملك .

٢٩ — ذكر نوبة سابور بن هرمز بن نرسى، وهو سابور ذو الأكتاف، وكانت مدة ملكه ثمانين سنة §

قال : ولما أتى على سابور أربعون يوما من ولادته نصبوا له تختا فى إيوانه وجاءوا به ملفوفا فى حريرة، ووضعوه على التخت، وعقدوا عليه التاج لحيوه بتحية الملوك ودعوا له ونثروا عليه الجواهر، كما جرت عادتهم عند قعود الملوك مقاعد السلطنة . وكان فى أركان دولته موبذ يقال له شهرويه (١) . فتولى التدبير، وتقلد التقديم والتأخير، وقام بسياسة الملك فملأ كنوزه وكثر جنوده حتى نشأ الصبى . فلما بلغ خمس سنين كان ذات يوم جالسا فى مكانه من مدينة طيسفون فسمع صياحا وشغبا ولغطا كبيرا . فسأل عن ذلك فأخبر بأن ذلك من عبور الناس على جسر دجلة وازدحامهم فى الرواح والمجىء . فاقبل على موابذته وقال : ليعقد على دجلة جسر آخر ليكون أحدهما معبرا لمن أقبل والآخر معبرا لمن أدبر حتى لا يتزاحموا ولا يتأذى أجنادنا ورعايانا . فتعجب الموابذة من قوله واستدلوا به على نجابته وذكائه . فعقدوا جسرا آخر كما أمر . ثم إنه تعلم آداب الملوك وترعرع ولم يزل يزداد روعة واستعدادا للسلطنة . قال : وآثر المقام باصطخر لأنه كان مستقر أسرة السلاطين فتحول اليها (٢) .

---

§ شابور ذو الأكتاف من أعظم الملوك الساسانيين، حكم (٣٠٩ — ٣٧٩ م) . ولقبه بالفارسية، كما فى تاريخ حمزة والبيرونى، « هويه سُنبا » أى ثاقب الكتف .

وقصته فى الشاهنامه ٦٧٩ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) ملك شابور ذى الأكتاف، ٧٢ سنة . (٢) أسر طائر العربى بنت نرسى وذهاب شابور لحربه . (٣) مالكة بنت طائر تعشق شابور . (٤) مالكة تسلم قلعة طائر الى شابور، ويقتل طائر . (٥) ذهاب شابور الى بلاد الروم، ووضع قيصر إياه فى جلد حمار، وخيطه عليه . (٦) تخليص الجارية شابور، من جلد الحمار . (٧) فرار شابور من الروم، وبلوغه ايران . (٨) لقاء الايرانيين شابور، وجمعه الجيش . (٩) تبييت شابور الروم، وأسر قيصر . (١٠) قيادة شابور الجيش الى بلاد الروم ومحاربته أخا قيصر . (١١) الروم يجلسون برانوس على السرير، فيكتب الى شابور . (١٢) ذهاب برانوس الى شابور ومعاهدته . (١٣) ظهور مانى وادعاؤه النبوة . (١٤) شابور يولى أخاه أردشير العهد .

---

(١) فى نسخة مول (Mohl) مهرويه . (٢) كذا فى نسخ الترجمة . والصواب : لأنها كانت .

§ ثم خرج ملك من العرب من آل غسان فى عساكر كثيرة فشن الغارات على أطراف ممالك فارس، وأخذ مدينة طيسفون ونهب ما كان فيها من الذخائر والخزائن، وسبى منها عمة لسابور، وتسرى بها، ورزق منها بنتا من صفتها وجمالها كيت وكيت، وسماها مالكة. ثم إن سابور لما أتى عليه ثلاثون سنة من ملكه وعمره تشمر للركض الى بلاد العرب. فاختار اثنى عشر[1] ألف فارس من أعيان أبطاله، وأمرهم بأن يتجردوا ويركبوا النُجُب والهُجُن، ويجنبوا الخيل. فركض بهم إلى الملك الغسانى فقتل منهم مقتلة عظيمة حتى ثل عروشهم ونهب أموالهم وسبى نساءهم وقتل رجالهم. وهرب الغسانى إلى قلعة باليمن وتحصن بها فتبعه سابور وحاصره فيها شهرا. فاتفق أن ابنة الملك التى هى من عمة سابور رأته فعشقته فراسلته وراسلها، واحتالت وسقت الحرس تلك الليلة الخمر حتى ثملوا، ونفذت إلى سابور وأشارت عليه بالهجوم عليهم. فهجم سابور عليهم وقتلهم وأخذ القلعة ونهبها، وأسر الغسانى وقتله، وأمر بوضع السيف فى العرب فقتلوا منهم خلقا كثيرا. ثم قال: من وجدتموه منهم فاقطعوا يديه وانزعوا كتفيه. ففعلوا ذلك فلقبته العرب من أجل ذلك "ذا الأكتاف".

ثم إنه عطف عنانه وعاد إلى بلاد فارس، واستقر على سريره. فاتفق أنه تفكر ذات ليلة فى عاقبة أمره ومآل ملكه فاستحضر بعض المنجمين، وأمره أن ينظر فى طالعه ويخبره بما يؤول اليه

---

§ كثيرا ما يلبس الرواة سابور الأول بسابور الثانى ذى الأكتاف. كلاهما كان ملكا عظيما، وكان الثانى أطول ملكا، وأشد بأسا فنسب اليه بعض وقائع سابور الأول. وقصة الغسانى التى يذكرها الفردوسى هنا إحدى الوقائع المحرفة عن موضعها. فهى قصة الحضر التى يذكرها الطبرى والمسعودى فى عهد سابور بن أردشير. وكأن الروايات لبست قصة الحضر وقصة أذينة ملك تدمر — إحداهما بالأخرى وصاغتهما قصة واحدة، وزاد الفردوسى أن جعل الحصن الذى حاصره سابور فى اليمن. ولم أجد فى الكتب الأخرى أن سابور جاوز اليمامة الى الجنوب.

فأما الحضر فمدينة كانت فى الجزيرة تبعد عن دجلة الى الغرب أربعين ميلا وعن الموصل الى الجنوب كذلك ومن بغداد الى الشمال مائتى ميل. ويظهر من أطلالها أنها كانت مدينة حصينة يحيط بها سور قوى يتلوه فى الداخل خندق عميق ثم سور آخر عليه أبراج. وفى وسط المدينة بناء يحميه سور ذو أبراج كان قلعة فيها قصر ومعبد. ويقول الهمذانى أنها كانت مبنية بالحجارة المهندمة — بيوتها وسقوفها وأبوابها. وكان فيها ستون برجا كبارا، وبين البرج والآخر تسعة أبراج صغار. =

---

(١) صل، طا: اثنا عشر.

على ما تقتضيه أحكام النجوم . فنظر[1] له وقال : أيها الملك ! إن أمامك أمرا صعبا لا أستطيع أن أذكره لك . فقال : أيها العالم ! فهل شيء يدفع ذلك عني ؟ وكيف الطريق إلى صرف هذا النحس عن طالعي ؟ فقال المنجم : إن الكائن لامحالة كائن . فقال سابور : إنا بالله نستعين فهو الحافظ من كل سوء، والمجير من كل مكروه . ثم إنه بعد سنين عدة دعته نفسه إلى دخول بلاد الروم ومشاهدتها ومعاينة أحوال قيصر . فخلا ببعض أمرائه وأطلعه على سره، وجعله بهلوان جيشه . ثم استحضر جمالا وأوقرها بالذهب والجوهر والثياب وسائرالأمتعة والأقمشة، وخرج بها فى زى التجار إلى بلاد الروم . فلما وصل إلى مدينة قيصر حضر بابه . فسأله حاجب الباب عن حاله فقال : أنا رجل تاجر من بلاد فارس . ومعى أحمال من الخز والبز . وحضرت باب الملك أريد الوصول اليه . فإن معى جواهر لا تصلح إلا له ، وأرجو أن يقبلها منى، وحينئذ أتصرف وأبيع وأبتاع بسعادته . فدخل الحاجب وأنهى حاله إلى الملك . فرفع دونه الحجاب فدخل وخدم . فنظر اليه قيصر وأعجبه[2] شكله وبهاؤه فأكرمه . وأمر بإحضار الطعام والشراب[3] . قال : وكان فى خدمة قيصر رجل من أرض إيران فنظر إلى سابور فعرفه . فساز قيصر وقال : إن هذا التاجر هو سابور ملك فارس . فتعجب قيصر مما قاله فوكل به جماعة من أصحابه، وأمرهم بحفظه . واستمروا على حالهم حتى تمل

= ويقول ياقوت : «فأما فى هذا الزمان فلم يبق من الحضر إلا رسم السور وآثار تدل على عظمه وجلاله[4]» وقد حاصر الحضر تراجان وسفروس من ملوك الرومان فلم ينالا منه . ثم استولى عليه أردشير بن بابك أو ابنه سابور .

وأما واقعة أذينه ملك تدمر (Odenathus) فإنه أغار على جيش سابور الأول قافلا من حرب الامبراطور فلريان الذى أسره سابور ، فأصاب من الغنائم كثيرا وأوقع بالفرس وأسر بعض زوجات الملك ، ثم استولى على العراق حتى حاصر المدائن وعظم شأنه، ولقبه الرومان «أغسطس» . فيظهر أن الغسانى الذى تصفه الشاهنامه وتذكر أنه أسر عمة سابور وأخذ المدائن هو أذينة . وفى معجم ياقوت أن الأسيرة التى أخذها الضيزن أخت سابور الأول واسمها ماه .

وقد نبه ياقوت إلى غلط بعض الناس فى هذه الواقعة فقال، بعد ذكر ما تقدم : «وإنما ذكرت هذا لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف[5]» .

---

(١) صل : فنظروا . والتصحيح من طا . (٢) كو : فأعجبه . (٣) طا ، كو : والشراب، وأخذ فى الأكل والشرب .

(٤) وزر، ج ٦ ص ٣٢٢ ، والبلدان للهمذانى ص ١٢٩ ، وياقوت : «الحضر» . (٥) انظر القصة وما قيل فيها من شعر فى مروج الذهب والطبرى فى الكلام عن سابور الأول ، ومعجم البلدان : «الحضر» .

سابور فقام ليتصرف إلى منزله . فعدلوا به إلى بعض حجر [1] قيصر فشدّوا يديه، وجعلوه فى جوف جلد حمار، وأودعوه بيتا مظلما فى تلك الدار، وأغلقوا بابه عليه، وسلموا مفتاحه إلى صاحبة الدار [2] . فأمرها الملك بأن تعطيه كل يوم من الخبز [3] ما يسدّ رمقه حتى يعرف قدر التاج والتخت إن عاش، وليعتبر به من بعده فلا يطمع فى ملك الروم . فأغلقت امرأة قيصر باب ذلك البيت وسلمت مفتاحه إلى جارية لها كانت خازنتها، وكانت كالدستور بين يديها، ذات عقل ورأى، وكان أبوها من الإيرانيين، فأمرتها بحفظه والقيام عليه وعلى قوته . قال : ولما حصل سابور فى أسر قيصر جمع عساكره وسار إلى بلاد الفرس فاستولى عليها وقتل رجالها وسبى نساءها، وأكره من نجا من أهلها من القتل على الدخول فى دين النصرانية . فشدّوا الزنانير ودخلوا فيها ولم يبق على الملة الفهلوية سوى من كان يخفيها . وأقام مستوليا على تلك الممالك سنين عدّة، وسابور مقيم فى حبسه على حاله . فاتفق أنه حصل بينه وبين الجارية الموكلة به توالف وتوافق فالتمس منها أن تدبر فى خلاصه، وسألها أن تأتيه كل يوم بقدح حليب [4] ليصبه على مخارز تلك الجلدة فلعلها تلين فيتمكن من فتقها والخروج منها . فلبثت أسبوعين تأتيه كل يوم بقدح لبن حار فيفعل به ذلك فلانت وتهيأ له الخروج منه [5] . ثم سأل الجارية عن طريق الخلاص فقالت له : إن للنصارى غدا عيدا يخرجون فيه إلى الصحراء ولا يبقى فى المدينة منهم أحد . وأنا أدبر أمرك إن شاء الله . قال : فخرج الناس إلى عيدهم، وخرجت صاحبة الحجرة فى نسائها وجواريها وخدمها، على عادتهم فى الأعياد . ولم يبق فى الدار إلا هذه الجارية (١٥١) الموكلة بحفظه . فمضت إلى الاصطبل وأخرجت فرسين، وجاءت بعدّة وسلاح . ولما جن الليل أخرج [6] سابور من محبسه فخرج خروج القدح قدح ابن مقبل، وركب مع الجارية فى ليل لستر الدجنّة مسبل . وأغذ السير طردا وركضا . فأحس بالحال شخصان من الحرس فأتبعاه حتى لحقاه . فأخذا بعنانه فتناول سابور رأس أحدهما بيمينه ورأس الآخر بيساره، واقتلعهما من مغرز رقابهما، واستمر فى طريقه . فلم يزالا يركضان ليلا ونهارا حتى انتهيا إلى إحدى مدن خوزستان (ا) فوقفا على باب بستان وقد بلغ منهما الجهد كل مبلغ وأعيت دوابهما . فقرع باب البستان فجاء الباغبان (ب)

(ا) يعجب القارئ من أن ينتهى سابور إلى خوزستان فى فراره، ولا يعرج على بلد أقرب منه . وفى مروج الذهب أنه كان أسيرا مع الجيش الرومى، وأنه فر قرب جنديسابور .

(ب) الباغبان البستانى، مركب من باغ أى الحديقة وبان أى القائم على الشىء .

(١) طا، كو : حجر نساء قيصر . (٢) كو : الحجرة . (٣) طا : من الخبز والماء .

(٤) طا، كو : قدح لبن حليب . (٥) كو : منها . (٦) كو : أخرجت .

فرأى فارسين مدججين قد لوحهما السفر، وسفع وجوههما النصب. ففتح لهما الباب واستبشر بهما وتهلل فى وجوههما فقال لسابور : من أين جئت ؟ وهل عندك من سابور ملك فارس خبر ؟ فقال : أنا رجل من أرض إيران موجع القلب من قيصر . وقد هربت منه متوجها إلى هذه المدينة . وأنا الليلة ضيفك . فأكرمه الباغبان وأنزله وأحضره ما عنده من الطعام . ثم أخذ يقطينة كانت عنده وخرج يطلب له الشراب فأبطأ . فرأى سابور صبيا فى البستان فقال له : أين أبوك ؟ فقال : خرج يطلب لك شيئا إن وجده سربه (١) وتناولته أنت وهو معا، وإن لم يأت به تناولت أنا وأمى وأبى معك جميعا . فتعجب سابور من كلام الصبى ولم يفهم معناه . فجاء الباغبان بيقطينته، وصب منها فى الجام شرابا، وقدمه إلى سابور . فقال له : يبدأ بالشراب من جاء به . فقال الباغبان : من كان أبهى منظرا فهو الشارب أولا ، وينبغى أن تكون المقدم لبهائك وأبهتك . فضحك سابور فتناول القدح فشربه ورده إليه . ثم سأله عن معنى كلام الصبى . فقال له أيها الضيف (٢) المبارك : اعلم أن لى خابية من الشراب مثل الذهب المذاب قد خبأتها تحت التراب، ونذرت أن لا أفض ختامها ولا أحط لثامها إلا إذا رأيت وجه الملك سابور طالعا فى كوساته (أ) الراعدة وبوقاته الناعقة . فخرجت لأطلب من جيرانى من الشراب ما يكفينى ويكفيك عازما على أنه إن لم يتيسر ذلك أخرجت من السر (٣) المكتوم، وفضضت عن الرحيق المختوم . ولا يحملنى على ذلك إلا بهاؤك ولطفك وفتوتك . فقال سابور : فض الختام، وأقر ذلك المدام عنى السلام، وأحضرها على يمينك فانا سنكفر عن يمينك . فشربا ما حضر ثم سعى نحو سره المكنون فكشف قناعه، ونبش رمسه، وأطلع شمسه . فصار بيته بالطرب واللهو آهلا . ولما دارت الكؤوس وطابت النفوس أقبل سابور على الباغبان وقال : هات ما عندك من أخبار إيران . فأخبره الباغبان بما جرى على أهلها من القتل والأسر والنهب، وقال : إن أكثر من بقى منهم ترك الملة الفهلوية وأطفأ نارها، ودخل فى دين النصرانية وشد زنارها . وقد رأوا مطر العذاب سكوبا فتمسكوا بدين المطران واعتصموا بملة سكوبا . § فقال له : ففى أى مطار طار

---

§ فى هذه القصة لبس وقائع شتى فى أزمنة مختلفة . فأما ذهاب سابور إلى الروم فى زى تاجر فخرافة لها شبه من أسطورة كُشتاسب فى بلاد الروم التى ذكرت آنفا (٤) ولعل فرار هُرمزد أخى سابور إلى بلاد الروم أو أسر أحد أبناء سابور فى معركة سِنجار وتعذيب الروم إياه حتى الموت، أو أسر أذينة =

(أ) كوسات : جمع كوس . وهو الطبل العظيم .

(١) كو : شربته . (٢) صل : قال له الضيف . والتصحيح من طا . (٣) كو : الشراب المكتوم .

(٤) أنظر ص ٣١١

سابور بن هُرمز ؟ وإلى أى مصير صار ؟ فبكى بالأربعة السجام على الإبريق والجام ، وقال : إنه غاب فلم نسمع له خبرا ، ولم نره عينا ولا أثرا . ثم إن سابور أعلمه بنفسه فكاد يطير سرورا وقام وسجد له ، وقال : الآن برقسمى . وحمد الله تعالى وأثنى عليه . ثم قال: وهل تدرى أين منزل موبذ الموبذان ؟ فقال نعم . فطلب منه طينة وطبع عليها خاتمه ، وأعطاه إياها ، وقال له : اذهب بها الى موبذ الموبذان . فحمل الباغبان ذلك إلى داره . فلما رأى الختم عليه علم أنه علامة سابور فتعجب وسأله عنه . فقال : إنه ضيفى ، وهو نازل فى بستانى مع جارية كالشمس البازغة . فسأله عن حليته وشكله وقدّه وقالبه فسرد عليه الباغبان ذلك كما هو . فعلم الموبذ بخلاصه . فكتب فى الحال كتابا إلى بهلوان عساكر سابور (وكان قد هرب مع نسائه ورجاله إلى مرو)(١) وأمره بالمبادرة إلى إيران فى جميع من عنده من العسكر . فلما وصل كتابه إليه أقبل إلى فارس . فلما وصل إلى المكان الذى فيه سابور ظهر لهم . وكان قد فرّق الجواسيس يتعرّف حال قيصر وعسكره فأتوه وأعلموه بانه نازل على ظهر طَيسفون ، وأنه مكب على الصيد والطرد واللهو واللعب ، ما له ربيئة بالنهار ولا طليعة بالليل ، وأن عساكره متفرّقة فى أقطار الممالك مقبلين على أشغالهم وأعمالهم . فانتخب ثلاثة آلاف فارس من المراوزة وغيرهم ، وركض بهم الى مخيم قيصر فهجم على معسكره ليلا فلم يحسوا

= ملك تدمر بعض زوجات سابور الأوّل — لعل واحدة من هذه الحادثات حرفت إلى أسر سابور فى بلاد الروم وقد ذهب إليها فى زى تاجر .

وأما سير قيصر إلى بلاد الفرس وقتل الرجال وسبى النساء وإكراه الناس على النصرانية فهو ذكرى ما فعله جوليان امبراطور الروم إذ أغار على العراق حتى اجتاز دجلة قرب المدائن وهزم الجيش الفارس، وتعقبه إلى أبواب المدينة . ثم سار الى الشمال فأتبعه سابور وحاربه مرة بعد مرة حتى طعن جوليان فى موقعة قرب سامرا فمات (١٦ يونيه سنة ٣٦٣ م) ، فانتخب الجند جوفيان للملك . فراسله سابور للصلح فاصطلحا على أن ترد للفرس الولايات التى أخذها الروم من نرسى، وعلى ردّ سنجار ونصيبين التى حاولها سابور ثلاث مرات فلم ينل منها والتى كانت موئل الروم فى هذه الأرجاء .

ويؤيد هذا رواية الطبرى فقد سمى الملك الرومانى لليانوس ، وذلك قريب من جوليان، وقال أنه احتوى على مدينة طيسبون، وأنه كان جالساذات يوم فى حجرته فأصابه سهم غرب فى فؤاده، وأن الروم ملكوا عليهم يوسانوس ،وكان قائدا فى الروم،وأن سابور فاوض الروم فى الصلح فصالحوا =

(١) ما بين القوسين من طا ، كو .

إلا[1] برواعد الطبول وصواعق السيوف محيطة بهم . فلم يزل السيف يعمل فيهم حتى طلع الفجر . وأخذوا قيصر أسيرا مع جماعة من عظماء الروم وأشرافهم، وسلسلوهم وقيدوهم . ولما متع النهار قعد سابور واستحضر كاتبه فكتب كتب البشائر مخبرة بظهوره وعوده الى سلطانه، وأن الله تعالى قد ردّ به حق الملك الى نصابه ، وملكه نواصى أعدائه ، وبلغه أقاصى آماله ، وجعل قيصر فى يده أسيرا ، ويسر له من الأمر ما كان عسيرا . وقال لهم : ألا من وجدتموه من الروم فى بلادكم فاقتلوهم ولا تبقوا عليهم، وبادروا الى الحضرة، واستأنفوا مراسم الخدمة . وطير الكتب على أيدى النجابين الى أقطار الممالك وأطراف المشارق والمغارب .

ولما فرغ من ذلك دخل الى مدينة طيسفون فاستقر على تخت السلطنة ، واعتصب بتاجها . واستحضر الباغبان وخلع عليه على رءوس الأشهاد (ا) ، وأزال الخراج عن ضيعته، وجعله أعظم أهل ناحيته . ثم نفذ الكاتب الى السجن وكتب أسماء المأسورين ، وكان عدد أكابرهم المذكورين ألفا ومائة وعشرة أنفس ، كلهم من أقارب قيصر وأركان دولته وأعيان مملكته . ثم أمر بإحضار

= على رد نصيبين الخ[2] . فهذا قريب مما يعرفه التاريخ، وبه يمكن رد قصة الشاهنامه إلى الحادثات التاريخية . وأبين من هذا رواية فارس نامه أن لليانوس هذا تولى بعدقسطنطين وأبطل النصرانية وأخرب الكنائس[3]، ويعرف التاريخ أن الذى فعل هذا هو جوليان . ويزيد المسألة وضوحا قول حمزة الأصفهانى : «وأما يوليانس ابن أخى قسطنطين فانه فارق النصرانية وعاود الأصنام، وغزا العراق فى ملك شابور بن أردشير فقتل بالعراق . وملك شابور على الروم رجلا من البطارقة نصرانيا يقال له يونيانس فردّ الروم إلى أرضهم»[4] . ولا ريب أن يوليانس هو جوليان ويسميه البيرونى "يوليانوس الكافر" . ولكن حمزة خلط هنا بين سابور الأول وسابور الثانى .

وأما أسر الأمبراطور فى هذه القصة فهو غلط وذكرى محرّفة من أسر الأمبراطور ڤلريان أيام سابور الأول . على أن الطبرى وفارس نامه لا يذكران أسر قيصر بل يقولان أنه أصيب بسهم . والتاريخ ينبئ أن جوليان طعن فى معركة سامرّا . على أن الروم غزوا العراق أيام سابور الأول حتى قاربوا المدائن أيضا ثم ارتدوا حينما سمعوا بمقتل الامبراطور فى بلادهم . ولكن قصة الشاهنامه هى قصة جوليان وسابور الثانى .

(ا) لم يذكر المترجم ما فعل سابور بالجارية التى أطلقته . وفى الشاه : أنه أحسن جزاءها وسماها "دل افروز فرخ پاى" أى ضياء القلب مباركة القدم .

(١) لفظ «إلا» من طا . (٢) الطبرى، ج ٢ ص ٦٩ (٣) فارس نامه ص ٧٠ (٤) حمزة ص ٥١

قيصر فبادره الحرس وجاءوا به . فلما وقعت عينه على وجه الملك بكى وأهوى بوجهه الى الأرض . فقال له سابور : يامادة الشر و ياعدو الله ، الذى يثبت الولد لمن لا شريك له وليس لملكه بداية ولا نهاية ! إن كنت من القياصرة فأين ذهب عقلك ورأيك حين حضرتُ فى زى تاجر بين يديك غير جالب اليك شرا فقابلت حق وفادتى عليك بإخفار الذمار ، وأدرجتنى فى جلد الحمار . فسوف تذوق و بال أمرك ، وتصلى بما أوقدت من جمرك . فقال : أيها الملك ! من الذى يقدر على مخالفة القدر المقدور، و ينجو من القضاء المحتوم؟ والآن إن قابلت الإساءة بالحسنى حصلت ذكرا لا ينسى، وأدركت ما تريد وتهوى . و إنك اذا آمنتنى(١) واستبقيتنى سلمت اليك مقاليد كنوزى ، وأصبحت لك عبدا لا أخالف لك أمرا . فاقترح سابور عليه أن يرد جميع أسارى إيران ، و جميع ما أخذ منها من مال وغيره، وأن يعمر البلاد التى خربها و يغرس الأشجار التى قلعها، وأن يسلم اليه عن عوض كل رجل قتل من الإيرانيين عشرة من رجال الروم . ثم أمر به فشقت أذناه وثقب أنفه وخزم بخزام وقيد بقيدين ثقيلين وأودع الحبس . ١٥٢

ثم إنه أمر كتاب الجيوش بجمع العساكر و إطلاق أرزاقهم . ثم سار فيهم قاصدا قصد بلاد الروم كالنار المحرقة لا يبقى ولا يذر . فلما بلغ الروم أظلمت الدنيا فى عيونهم إذ لم يجدوا من يقوم بأمورهم . فاجتمعوا على أخ لقيصر أصغر منه يسمى يانس فملكوه عليهم فخرج بالصليب الكبير، والعدد الكثير مستعدا للقاء سابور. فلما التقوا جرت بينهم وقعة عظيمة فغلبت الروم وأصبح يانس من الظفر يائسا، وصار غرس سعادته يابسا، وانهزم بمن معه . فتبعهم سابور ووضع فيهم السيف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم غنائم لا يأتى عليها العدّ والحصر. فلما رأت الروم ما ابتلوا به من شر سابور اجتمعوا على برانوس وقالوا : إنه رجل عاقل قد جرب الأمور ومارس الدهور، وجعلوه قيصر فتولى أمورهم وتقلد تدبيرهم . وعلم أنه لا يقدر على مقاومة سابور فكتب اليه كتاب ذى عجز وضراعة يذكر فيه أنهم مطيعون قائمون بتلافى خلل بلاد إيران وجبره. وشحنوا الكتاب بأنواع من الاستعتاب والاستعطاف. فلما وصل الكتاب الى سابور أثر فيه وخفض منه ، وأجاب عنه وقال : إن كنت تسلك سبيل العقل فأقبل الى الخدمة مع أساقفة الروم وفلاسفتها. وقد أمنتكم فكونوا آمنين . فلما وقف برانوس على جواب سابور أوقر ستين جملا من الجواهر والثياب، واستصحب ثلاثين ألف دينار برسم النثار ، وركب فى مائة نفس من الأساقفة والفلاسفة، وحضروا باب سابور كاشفين ومتنصلين عن ذنوبهم . فأحسن اليهم سابور وأكرمهم . ثم شكا اليهم سوء صنيع قيصر فى ممالك إيران وما خرب منها وأفسد . وقال : إنى أريد منكم الآن عوضا عن ذلك . فقال له برانوس : ما الذى تلتمس ؟

(١) طا : فانك إن آمنتنى .

قال : أن تلتزموا كل سنة ثلاثة آلاف ألف دينار، وأن تفرجوا[1] عن مدينة نصيبين عوضا عما خربه قيصر . فالتزم برانوس ذلك . فتعاهدوا وتعاقدوا وانصرف سابور الى بلاد فارس . ثم إن أهل نصيبين لم يرضوا بسلطان سابور فنفذ اليها عسكرا عظيما ، وأخذها عنوة فقتل من أهلها خلق عظيم ، وأسر مثلهم[2] . فكتبوا حينئذ الى سابور وبذلوا له السمع والطاعة وسألوه أن تنصرف عنهم العسكر ففعل . وانضمت نصيبين إلى ممالك فارس .

وقد قال غير الفردوسى : إن أهل نصيبين لما بلغهم أن مدينتهم صارت إلى سابور كرهوه لمخالفته لدينهم فجلوا عنها وتحوّلوا إلى مدن الروم . فحشد اليها سابور اثنى عشر ألف أهل بيت من أهل إصبهان واصطخرو سائر كور ممالكه ، ونفذهم اليها وأسكنهم إياها . قال : وبقى قيصر فى أسر سابور حتى مات فى الحبس . فأمر فحمل تابوته إلى بلاد الروم .

ثم إن سابور بنى بأرض الخوز مدينة سماها خرّم آباد ، وأسكنها الأسارى . وبنى فيما يلى الشام مدينة أخرى وسماها فيروز سابور . وذكر غير صاحب الكتاب أنها الأنبار، وأنه سماها برزخ سابور . وبنى بالأهواز مدينة أخرى وأسكنها أسارى الروم خاصة وهى التى سمتها العرب السوس . وهى مدينة الى جانب الحصن الذى فيه تابوت فيه جثة دانيال النبى صلعم . وهو الذى بنى بأرض خراسان مدينة وسماها نيسابور .

§ ثم إنه بعد خمسين سنة من ملكه ظهر مانى المصور من أرض الصين ، وادعى النبوّة . فجاء الى سابور واستعان به فى إظهار دينه . وكان رجلا عذب الكلام حلو البيان يخلب القلوب ويسحر العيون . فساء ظن سابور[3] وأحضر الموابذة وقال : انظروا فى أمر هذا المصوّر[4] . فإنى قد وقعت من شأنه فى شك . فناظروه وباحثوه فانقطع المصوّر المزوّر، وظهر للملك أنه من حلية الصدق عاطل،

---

§ هذا خلط آخر بين تاريخ سابور الأول وسابور الثانى . مانى ولد حوالى سنة ٢١٥ م . وبدأ تعليمه أوّل ولاية سابور بن أردشير فنفاه سابور . ثم أذن له هرمزد فى العود الى ايران ثم قتله بهرام بن هرمز .

انظر الطبرى ومروج الذهب فى الكلام عن بهرام بن هرمز، وفارس نامه فى تاريخ سابور الأول . وانظر تفصيل الكلام عن مانى فى الآثار الباقية ص ٢٠٧

---

(١) طا : تفرجوا لى . (٢) طا : فقتل من أهلها خلق وأسر خلق . (٣) طا : ظن سابور به .
(٤) طا : المصوّر المزوّد .

وأن كلامه زور و باطل . فأمر به فسلخ جلده وحشي تبنا وصلب على باب المدينة[(١)] . فأصبح للبطاين قاطبة عبرة صامتة ناطقة .

واتسقت أمور ممالك سابور ، ولم يبق له عدو فى جميع الأطراف . وكانت أحواله مستمرة على وفق المرام متسقة فى سلك النظام[(٢)] الى أن شارف سبعين سنة ، وحان وقت رحيله . فاستحضر أخاه المسمى أردشير، وكان أصغر منه، وكان لسابور ولد صغير يسمى سابور أيضا . ودعا بموبذ الموبذان فقال لأخيه : إنى أسلم اليك تاج[(٣)] السلطنة على أن تعاهدنى على أن[(٤)] تسلمه الى ولدى عند بلوغه مبلغ الرجال، وتكون له دستورا ومدبرا ومشيرا . فعاهده أردشير على ذلك بمحضر من العلماء والأكابر ، وأبرموا العهود والمواثيق . ثم قضى سابور نحبه وصار الأمر الى أخيه أردشير .

٣٠ — ذكر نوبة أردشير أخى سابور ذى الأكتاف ، الملقب بالمحسن . وكانت مدّة ولايته عشر سنين (ا)

قال : ولما جلس أردشير على تخت الملك واعتصب بتاج السلطنة استحضر أكابر الايرانيين ونصحهم ووعظهم ثم قال : إن سابور قد سلم الىّ الملك لأقوم بتدبيره وأنهض بأعباء أموره الى أن يترعرع ولده سابور و يصلح لأن يتقلد أمر التاج والتخت فأفوضه عند ذلك اليه ، وأقرر حقه من ذلك عليه . فأنا اليوم كالنائب بين يديه . ثم إنه سار فيهم بأحسن سيرة وأعدل طريقة . وأسقط عنهم الخراج وقال : لا آخذ منكم شيئا و إنما أقوم بسياسة أموركم تبرعا . فسموه أردشير نيكوكار ، ومعناه ذو الأفعال الحسنة الرضية . ثم إنه بعد عشر سنين من ملكه سلم التاج والتخت الى ابن أخيه (١٥٣)
سابور بن سابور وصار له وزيرا ومشيرا .

٣١ — ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف (ب)

قال : فقعد مقعد عمه ، وعقد التاج على رأسه ، وحضرته أكابر الفرس فخاطبهم بخطاب نصحهم فيه ووعظهم ووعدهم من نفسه الخير . فدعوا له وتفرقوا من ذلك المجلس . ثم إنه قام بأمر الملك خمس سنين وأربعة أشهر . فاتفق أنه ذات يوم خرج[(٥)] الى الصيد فصار الى متصيده فضربت

(ا) فى الطبرى وفارس نامه أنه خلع بعد أربع سنين ، وأنه كان ظالما سفاكا للدماء . وفى البيرونى أن لقبه الجميل . ملك (٢٧٩ — ٣٨٣م) . وقصته فى الشاه ١٧ بيتا .

(ب) ملك (٣٨٣ — ٣٨٨ م) . وفى الطبرى أن بعض الكبراء أسقطوا عليه الخيمة . انظر فى مروج الذهب حروبه مع قبيلة إياد وغيرها . وقصته فى الشاه ٣٢ بيتا .

(١) طا : باب مدينته . (٢) طا : الانتظام . (٣) صل : التاج والسلطنة . والتصحيح من طا ، كو .
(٤) طا : على أنك تسلمه . (٥) طا ، كو : خرج ذات يوم .

خيمة ومدّ السماط بين يديه . فلما طعموا وانتشروا أراد أن يقيل ساعة فنام فعصفت الريح وهو نائم فوقع عليه عمود الخيمة فمات .

٣٢ — ثم ملك ابنه بهرام بن سابور بن سابور (أ)

فلما فرغ من عزاء أبيه تسنم سرير الملك . وحضرته أكابر الفرس فوعدهم من نفسه العدل وأنه يسير فيهم بأحسن سيرة . فقام بالملك أربع عشرة سنة . ثم مرض ولم يكن له ابن، وكانت له خمس بنات، وأخ أصغر سنا منه يسمى يزدجرد، فعهد اليه ومات .

[أيها (ب) الشيخ الذى بلغ من السنين ثلاثا وستين! حتام تهيم بذكر الراح؟ لا بدّ أن يفجأك الأجل، فبادر التوبة وأصلح العمل . ليرض الملك عن هذا العبد، وليكن رأس ماله العقل وربحه القول الأسدّ . فانه يشقق فى القول الشعر، وينسج فى الظلام محمود الأثر . ولا عجب أن يشدو بالشعر على الكبر فقد سما به الملك العظيم، ورفعه فوق الناس أجمعين . فليسر الزمان فيما يشتهى المليك الأغر وليكن تحته تاج القمر، وليقترن به سرير الملك فمنه تنال الرغائب وبه يرفع الذكر . ولتكن العظمة والمعرفة سبيل عليائه، ولا تنله يد أعدائه . أدام الله دولة محمود، وجعل سريره غرة السخاء والجود].

٣٣ — ذكر نوبة يزدجرد بن سابور بن سابور ذى الأكتاف وكانت مدّة ملكه سبعين سنة §

وهو يزدجرد الملقب بالأثيم . وكان فظا غليظا يستعظم فى الصواب ردّ الجواب، ويستصغر فى العقاب ضرب الرقاب . ولما استوى أمره وانتظم ملكه زاد ظلمه ونقص عدله فعطل مراسم

---

§ يزدجرد الأول (٣٩٩ — ٤٢٠م) الذى يلقب الأثيم (بزه كار) والخشن، كان ملكا مسالما يكره الحروب، وضرب على سكّته اسمه "يزدجرد المسالم" .

وقد سنحت فى عهده فرص كثيرة لمحاربة الروم والاستيلاء على أرضهم فى آسيا فلم ينتهزها، وبلغ من مسالمته إياهم أن الامبراطور أركديوس (Arcadius) أوصى اليه بحماية ابنه ثيودسيوس (Theodosius) فقبل يزدجرد الوصية وأرسل أحد الخصيان من أولى العلم ليكون حارسا له . =

(أ) ملك (٣٨٨ — ٣٩٩ م) . وفى الطبرى وفارس نامه أنه ابن سابور ذى الأكتاف . واذا نظرنا الى سن سابور ابن سابور يوم ولى الملك والى مدة حكمه عرفنا أن محالا أن يخلفه ابن كبير يخطب الناس . ويوافقهما البيرونى على أنه الملقب "كرمان شاه" لابهرام الثالث، كما تقدّم . وقد وجد خاتم له عليه « فرهران كرمان ملكا » . وفى الطبرى أنه رمى بنشابة فمات . وقصته فى الشاه ٣٥ بيتا .

(ب) فى الشاه هنا أبيات يذكر فيها الفردوسى عمره، ويثنى على السلطان محمود حذفها المترجم وترجمتُها وأثبتّها بين قوسين .

والصولجان ومطاردة الأقران فى الضراب والطعان، وتصريف الأعنة وعطفها يمنة ويسرة فى المعترك والميدان، والرابع من يسرد عليه سير الملوك وتواريخهم ويخبره عن أفعالهم الحميدة وأقوالهم السديدة . قال: فلما حصلوا عند المنذر سلم بهرام اليهم فأخذوا فى تعليمه حتى برع فى جميع ما قصدوا لتعليمه إياه .

ولما بلغ سنه ثمانى عشرة سنة استغنى عن المعلمين فأشار على المنذر بأن يردّهم . فخلع عليهم المنذر وأعطاهم أموالا وافرة، وردّهم الى بلادهم مسرورين مغبوطين . قال: فسأل بهرام المنذر أن يأمر فرسان العرب بأن يجروا بين يديه خيولهم العراب ليشترى منها ما يريد . فقال: أيها الشهريار! إذا كنت تشترى الخيل فلمن أعددت الجرد العتاق والحُصن العراب؟ هل هى إلا لك(١) وصاحبها بين يديك؟ فقال: إنى ما أريد من الخيل إلا ما أعدّيه فى المهابط(٢) ثم أضمره حتى يصير والريح طليق عنان، وشريكى رهان . وإذا لم يكن المركوب مجربا فلا ينبغى أن يعتمد عليه الراكب . قال: فنفذ (١٥٤) المنذر ولده النعمان الى قبائل العرب ليختار له الخيل . فاختار مائة فرس وجاء بها الى بهرام . فخرج الى ميدان المنذر، وأجراهن فاختار منها فرسين: كميتا وأشقر قد جلبا من أرض الكوفة . فاشتراهما له المنذر ووهبهما له . ثم إنه قال ذات يوم للمنذر: إن وجوه الرجال لتصفر من ضيق الصدور، وإنما تحسن مناظرهم بالنشاط والسرور . وليس شئ أجلب للفرح والانشراح من النظر الى الوجوه الصباح . والمرأة سكن الرجل مالكا كان أو مملوكا . وهى التى تلجم الشباب بشكيمة العقل، وتصونهم(٣) عن الغباوة والجهل . فمر بعرض الجوارى علىّ لأختار منهن واحدة أو اثنتين ليكون الرب عنى راضيا، وأكون بين الناس محمودا . فأمر الملك فجاءوا بأربعين من الوصائف الروميات . وعرضهن عليه فاختار منهن جاريتين أحسن ما يكون من البشر، إحداهما(٤) جنكية (أ) . فشغف بهما بهرام فلم يكن له شغل سوى مطاردة الأقران واللعب بالكرة والصولجان ومداعبة النسوان . فخرج يوما الى الصيد ومعه الجارية المغنية . وكان له هجين مسرج بسرج مغطى بالديباج، له أربعة رُكُب: ركابان من الذهب وركابان من الفضة . فيركبه ويرتدف الجارية وفى حجرها الجنك، ومعه العدّة، وتحت ركابه قوس البندق . فبينا هو يعدى الهجين فى الصحراء إذ عنّ له غزالان ذكر وأنثى فقال للجارية: أى الغزالين أرمى؟ فقالت: إن رمى الغزال أمر هين . ولكن اجعل بنشابك الأنثى منهما ذكرا والذكر أنثى . ثم ارم الذكر وهو يعدو ببندقة فى إحدى أذنيه فانه يرفع رجله فيحك بها أذنه . فارمه عند

(أ) يعنى تضرب على الجنك وهو الرباب .

(١) طا، كو: هى لك . (٢) كو: فى المصاعد والمهابط . (٣) كو: وتصونه .

(٤) كو: إحداهما جنكية، والأخرى مغنية . (٥) كو: وملاعبة الخرائد الحسان .

ذلك بنشابة أخرى تخيط بها رجله الى أذنه الى رأسه . قال : فوتر قوسه واستخرج نشابة ذات مشقص برأسين . فسدّدها نحو الذكر فاختطف قرنيه من رأسه فصار بذلك أنثى أى أجمّ . ثم أخرج نشابة أخرى فأصاب بها ورك الأنثى فنفذت النشابة فيها حتى خرج نصلها من أم رأسها، وأعقبها بأخرى مثلها . فصارا فى رأسها كالقرنين لها . فعادت بذلك الأنثى ذكرا، أى ذات قرنين كالذكر . ثم رمى الغزال الأوّل فى أذنه ببندقة فخدرت فرفع ظلفه يحكها به . فرماه حينئذ(١) أخرى خاط بها رجله وأذنه ورأسه جميعا . فرقت الجارية عند ذلك للغزالين فمدّ يده اليها فألقاها من خلفه الى الأرض، وأوطأها الهجين فداسها بأخفافه حتى ماتت . وأنكر اقتراحها عليه مثل ذلك مع صعوبته وقال : لو لم أصب كما قلتِ لضاقت علىّ الأرض برحبها، وكدت أهلك أسفا . ثم لم يستصحب بعد ذلك جارية الى الصيد .

قال : و بعد أسبوع آخر خرج الى الصيد بالبزاة والفهود فرأى فى سفح بعض الجبال أسدا قد افترس حمار وحش فرماه بنشابة أنفذها فيهما حتى مرقت . فتعجب المنذر من قوّته واشتداد يده ، وأمر بإحضار المصوّر فأمره فأخذ ثوب حرير وصوّر عليه صورة بهرام راكبا على الهجين، وصورة الغزالين المذكورين على هيئتهما، وصورة الأسد وحمار الوحش والنشابة النافذة فيهما، الى غير ذلك من أفعاله العجيبة فى صيد النعام والسباع والوحوش . ثم نفذها الى أبيه يزدجرد . وكان كلما رأى منه شيئا عجيبا أمر المصوّر بتصويره ونفذ الصورة الى الملك . ثم إن بهرام قال للنذر ذات يوم : قد اشتقت الى لقاء الملك فردّنى اليه . فهيأ أسبابه وجهزه الى أبيه، ونفذ فى خدمته ولده النعمان . فلما أتى الخبر يزدجرد بوصول بهرام والنعمان أمر أكابر الدولة وأعيان الحضرة باستقبالها فتلقوه . ولما دخل على الملك تعجب من شكله وقدّه وقالبه ، وبهت لجماله وبهائه ورونقه . فسايله وسايل النعمان، وأكثر مسايلته وأكرمهما . فأنزل بهرام فى قصره وأنزل النعمان فى منزل يليق به . فصار بهرام يلازم أباه ويقف فى خدمته ليلا ونهارا حتى لا يقدر أن يحك رأسه . ثم استحضر الملك النعمان بعد شهر وأقعده على التخت عنده وقال له : إن المنذر قد تحمل فى تربية بهرام عناء كبيرا، وعلىّ مجازاته . فأعطاه خمسين ألف دينار، وخلعة من ملابسه الخاصة، وعشرة أفراس بآلات الذهب، وعدّة من الجوارى والغلمان . وصرفه الى أبيه وكتب اليه كتابا يشكره فيه . ثم لما انصرف النعمان شيعه بهرام، وشكا اليه سوء أخلاق أبيه، وسأله أن يبلغ ذلك الى المنذر . فسار النعمان وبقى بهرام يخدم أباه ليلا ونهارا . فاتفق أنه ذات ليلة(٢) كان واقفا على رأسه فغلبه النوم . فالتفت اليه فرآه قد غمض عينيه

---

(١) طا، كو : بنشابة أخرى . (٢) طا : كان ذات ليلة .

فصاح عليه، وأمر بعض الحرس بأن يلزمه فى بيته[1]، ولا يدعه أن يخرج بعد ذلك . فاحتبس بهرام فى إيوانه لا يخرج الى صيد ولا الى ميدان. فاتفق أن ورد على يزدجرد رسول من الروم(ا)فأرسل بهرام اليه وسأله أن يخاطب أباه فيه ويستأذن له فى الرجوع الى المنذر ومعاودة بلاد العرب. ففعل الرسول ذلك فأذن له . فركب ولحق بمن رباه لاعنا أباه . فأعاده المنذر الى ما كان عليه من الكرامة والإعزاز . ثم إن يزدجرد سأل بعض المنجمين عن عاقبة ملكه وخاتمة أمره، وعن أمارات تدل على اقتراب أجله . فقال : اذا حصل الملك عند عين الماء المعروفة بعين السوء(ب) — وهى عند بيت نار لهم فى خراسان عند مدينة طوس — فقد قرب أجله . فحلف ألا يأتى تلك العين أبدا . فلما كان بعد مدّة أخرى مرض وابتلى بالرعاف الكثير المتواتر فعالجه الطبيب فلم ينجع فيه . فأشار عليه بأن يصير الى عين السوء ويغتسل فيها ليسكن رعافه . فاضطرّ عند ذلك الى المصير اليها . فسار فى العماريات[2] الى تلك العين . فنضح من ذلك الماء على رأسه فسكن الرعاف وعوفى، وأقام عند تلك العين مسرورا . فلما كان ذات يوم خرج من ذلك الماء(ج) فرس أشهب نهد كالأسد، يصهل، فى أحسن صورة وأجمل هيئة . فامر أصحابه بأن يحدقوا به ويأخذوه فلم يقدروا عليه . فوثب بنفسه واتبعه . فوقف له فألجمه ووضع على ظهره السرج، وشدّ حزامه ولببه، وهو واقف بين يديه مستكينا له كالحمار الدبر . فاستدار من خلفه ورفع من ذنبه ليثفره فرفسه فى صدره برجليه فخر فى الحال ميتا . وعاد الفرس الى الماء، وانغمس فيه حتى غاب . فوقع الضجيج فى العسكر وهم ما بين شامت يظهر الجزع، ومتباك يضمر الفرح . قال : ثم جاء الموبذ وشق عن صدر يزدجرد وخاصرته ورأسه . ووضعوه فى تابوت من الذهب . وحملوه فى مهد من الساج . ونقلوه الى بلاد فارس . وعملوا له ناووسا ووضعوه فيه .

ولما فرغوا من ذلك كله اجتمعت أكابر الفرس وعلماؤهم وموابذتهم، وتشاوروا فيمن يقوم مقامه . فصاروا يدا واحدة على ألا يولوا أحدا من شجرة يزدجرد لما نالهم من ظلمه وجوره(د) . وكان

(ا) فى الطبرى وفارس نامه أنه أخو قيصر . واسمه فى الشاه طينوش . وفى الطبرى ثياذوس . وامبراطور الروم إذ ذاك اسمه ثيودسيوس (Theodosius) . انظر مقدّمة هذا الفصل .

(ب) هى فى الشاه : عين سَو . انظر صورتها فى سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٣٠

(ج) فى الطبرى أنه كان فى جرجان، وفى الطبرى وفارس نامه أن الفرس جاء الى قصره .

(د) فى الطبرى وفارس نامه : أنهم كرهوا بهرام لأنه نشأ بين العرب وتأدب بآدابهم، ولم يعرف آداب الفرس . ويزيد الطبرى أنهم كرهوه لسيرة أبيه، وأنهم لم يجيزوه فى ولاية .

(١) كو : يلزمه بيته . (٢) صل : فى العمارات . والتصحيح من طا، كو .

بهرام كور يرمى أسدا يفترس حمار وحش فتمرق النشابة منهما

[منقولة من الشاهنامه — طبع تبريز سنة ١٢٧٥ — بعد حذف الأبيات]

فيهم رجل كبير من الشجرة الكيانية يسمى خُسرَو . فاتفقوا عليه وأقعدوه على تخت السلطنة، وحيوه (١٥٥)
بتحيـة الملوك . فبلغ الخبر بهرام فأخذه المقيم المقعـد فجلس فى عزاء أبيه، وحضره المنـذر والنعمان فى جميع أمراء العرب . فقال بهرام(١) : إنه إن استمر حال الإيرانيين على ماهم(٢) عليه قصدوا ممالك العرب، ونالوهم بكل سوء ومكروه . فعاونونى عليهم حتى أخلص منهم حقى وأخلص الى سرير أبى . فجمع المنذر ثلاثين ألف فارس،وسار مع بهرام متوجها الى طيسفون،وأخذ يعيث فى أطراف ممالك الفرس . فأرسلوا اليه رسولا . فلما وصل اليـه الرسول أمره بأن يصير الى مخيم بهرام . فلمـا رأى الرسول بهرام وشكله و بهاءه وأبهته تعجب منه، وقال : من يصلح للملك غيره ؟ ثم أدّى عنده الرسالة فأحال بالجواب على المنذر فأجابه المنذر و ردّه . ولم تزل الرسـل متردّدة حتى استقر الأمر بين أكابر فارس و بهرام والمنذر على أن ينصبوا تختا و يضعوا عليه التاج و زينة الملك، و يشدّوا الى قائمتى التخت سـبعين ضاريين مجوّعين. ثم ينتدب لهما بهرام وخسرو . فمن قهر السبعين منهما ، وتناول التاج من التخت فهو الملك . ففعلوا ذلك . وحضر بهرام فى عدّته ، وحضر خسرو ، واجتمع جميـع أكابر المملكة . فقال بهرام لخسرو : تقدّم . فقال : أنا بيدى الأمر، ومعى التاج والطوق، وأنت الطالب. فتقدّم أنت . فتناول الجرز فقال له مو بذ المو بذان : إنا برآء من دمك أيها الشهريار . فقال نعم ! وأقدم على السبعين . فقال له المو بذ : تب الى الله تعالى ، وانو الخير حتى ينصرك الله على السبعين. فتقدم كأنه ركن من جبـل . فوثب اليه أحد السبعين فتلقاه بجرزه وضربه على أم رأسه فرضّه وخر كأنه خباء مقوّض . ثم أقبل الى السبع الآخر وضرب جبهته بذلك الجرز فأثخنه فخر أيضا كجلمود صخر حطه السيل من عل . فتناول عند ذلك التاج وعقده على رأسه وتسنم التخت فكان خسرو أول من حيـاه بتحية الملك(٣)، ودعا له وأثنى عليـه، وقال : أنت الملك ونحن عبيـدك، وأنت السلطان ونحن جنودك . ونثرت عليه الجواهر وضربت البشائر وقيل ما معناه قول الشاعر :

قـــد رجع الحق الى نصابه   وأنت من دون الورى أولى به

---

(١) طا : بهرام للنذر .

(٢) طا : ما هى عليه .

(٣) طا : بتحية الملوك ومجد لتوهناه بالملك ودعا له الخ .

٣٤ – § ذكر نوبة بهرام بن يزدجرد المعروف ببهرام جور . وكانت مدة ملكه ستين سنة

قال صاحب الكتاب : فجلس بهرام للناس سبعة أيام متوالية يعدهم الخير من نفسه، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته . ولما كان اليوم الثامن استحضر الكاتب وأمره أن يكتب الى كل واحد من ملوك الأقاليم، وأصحاب الأطراف كتابا يخبره فيه بأن بهرام قعد مقعد أبيه من تحت السلطنة، وأن الناس قد دخلوا له فى ربقة الطاعة ، وأن الخلائق قد استظلوا بظلال معدلته واستمسكوا بحبل خدمته . فكتب(١) الكتب ونفذت على أيدى الرسل اليهم . واجتمعت أكابر الفرس الذين تخالفوا وتعاهدوا على مخالفة بهرام فدخلوا على المنذر بن النعمان وسألوه مخاطبة الملك فى حقهم حتى يتجاوز عما بدر منهم من سوء الأدب ، ويغفر لهم تلك الزلة . فدخل المنذر على بهرام وكلمه فى حقهم، ولم يزل به حتى عفا عنهم . ثم جلس من الغد وأذن لهم فى الدخول عليه فأقعد كل واحد منهم فى مرتبته من خدمة السرير، ثم مدّ(٢) السماط . ولما طعموا جلس(٣) للشراب . وبقى كذلك ثلاثة أيام . ثم ذكر للحاضرين حسن صنيع المنذر وولده النعمان، وشكرهما على رءوس الأشهاد . وقام(٤) الحاضرون فأثنوا على المنذر وشكروه ودعوا له . ثم أمر بإحضار جملة وافرة من نفائس الجواهر والخيل والأسلحة والذهب والفضة والملابس والمفارش والجوارى والغلمان فأمر بتسليم ذلك كله الى المنذر والنعمان . وخلع على جميع أمراء العرب

---

§ بهرام كور أو بهرام الخامس ولى (٤٢٠ – ٤٣٨م) وذلك يوافق رواية الطبرى والبيرونى أنه حكم ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما ويخالف رواية أخرى فى الطبرى ومروج الذهب أنه حكم ثلاثا وعشرين سنة . وقد أطالت الأساطير حكمه وسيرته، كما فى الشاهنامه، اذ كان ملكا شجاعا محببا الى رعيته فاخترعوا له قصصا تبين عن مكانته فى نفوسهم ، كدأب العامة مع كل ملك عظيم أو بطل كبير .

وكان بهرام موفقا فى سياسته فقد صالح الروم على شروط عادلة بعد أن هزموا جيشه . وهزم الهياطلة . وساس رعيته عادلا لا يحابى، وحث الناس على الزراعة وأعانهم عليها ، ونفّق العلوم والآداب . ولم يمنعه حب اللهو والصيد أن يؤدى ما يجب عليه . ولما مات كانت فارس فى أوج عظمتها(٥) .

---

(١) طا : فكتبت . (٢) طا، طر : مدوا . (٣) طا ، طر : جلسوا . (٤) طا ، طر : فقام .

(٥) سيكس (sykes) ج ١

الذين كانوا فى خدمتهما، وخص كل واحد منهم بعطية سنية . ثم صرفهم الى بلادهم شاكرين غانمين . ثم خلع على خسرو وأعطاه عطايا كثيرة وتحفا نفيسة ، وجعله ملك حجابه وسالاربابه . وقلد أخاه نرسى بن يزدجرد قيادة الجيوش وتدبيرهم، وجعله بهلوان العساكر . ثم أمر للجند بأرزاقهم حتى صلحت أحوالهم . ثم استحضر الكاتب والدستور وأمرهما بالكشف عن البقايا الواجبة على رعايا ايران ، وإحصائها وعرضها لديه . ففعلوا فكان المجموع ثلاثة وتسعين ألف ألف دينار . فأمر بإسقاطها كلها عنهم، وأحرق الجرائد الناطقة ببقائها عليهم . فاستفاضت هذه المكرمة الجليلة، واستبشر بها جميع أهل المملكة فدخلوا بيوت النار ونثروا المسك عليها ، وسألوا الله تعالى ثبات ملكه ودوام دولته . ثم أمر بتفريق ثقاته فى أقطار الممالك حتى يسترجعوا الذين تفرقوا فى أيام أبيه من عسفه وجوره الى أوطانهم . فعادوا آمنين وادعين .

ثم إنه لما استتب أمره، واستقام ملكه ، وشمل البر والبحر حكمه تفرغ للصيد والطرد واللهو والطرب؛ فيوما فى الميدان للعب بالكرة والصولجان، ويوما فى البستان بين الراح والريحان ، ومرة خلف غزلان الإنس ، وآونة خلف غزلان الوحش . فاتفق(١) أنه خرج ذات يوم الى الصيد فعبر

= وقد ذكرت فى الفصل السابق سيرة بهرام فى صباه وتربيته بين العرب فى الحيرة . وقد بقيت ذكرى هذا فى الأدب الفارسى والعربى . فالفرس يقولون أنه أول من قال الشعر، وأنه أخذه عن العرب، ويروون له أبياتا فارسية . والعرب يروون من شعره العربى والفارسى(٢) .

وقصة بهرام كور فى الشاهنامه عشرون وتسعمائة بيت فيها العناوين الآتية . وما بين الأقواس ليس فى الترجمة :

(١) الفاتحة : ملك بهرام — ثلاث وستون سنة . (٢) توديع بهرام المنذر والنعمان ، وهبة باقى الخراج للايرانيين . (٣) بهرام ولنبك السقاء. (٤) بهرام و براهام اليهودى. (٥) تقسيم بهرام مال براهام اليهودى . (٦) بهرام ومهر بنداد . (٧) بهرام وكبروى ، وتحريم الخمر . (٨) الإسكاف الصغير والأسد وتحليل بهرام الخمر . (٩) [إخراب موبد بهرام قرية وتعميرها . (١٠) بهرام وأربع الأخوات .] (١١) عثور بهرام على كنز جمشيد . (١٢) [بهرام مع التاجر وصبيه .] (١٣) قتل بهرام تنينا وقصته مع امرأة الدهقان . (١٤) ذهاب بهرام الى الصيد وتزوج بنات برزين الدهقان . (١٥) بهرام يظهر مهارته فى الصيد ويتزوج بنت الجوهرى . (١٦) [بهرام مع فرشيدورد والرجل قالع الشوك .] (١٧) ذهاب بهرام الى الصيد وقتله =

(١) فى حاشية الأصل هنا : قصة بهرام مع لنبك السقاء واليهودى . (٢) مروج الذهب والغرر ومعجم شمس قيس الخ .

عليه شيخ بيده عصا فذكر له أنه ها هنا يهودى (أ) ذو ثروة واسعة وأموال جمة، وهو مع ذلك لئيم جاهل، وعن حلية المروءة عاطل . وقيل : ها هنا(١) رجل آخر سقاء فقير يطعم الأضياف ولا يخشى الإسراف . فسأل عنه الملك فقيل : إن من عادته أن يدور بقرب الماء على الأبواب الى نصف النهار، ثم يطلب الضيف ويحمله الى بيته وينفق عليه كسب يومه ولا يترك شيئا الى غده . فأمر الملك بأن ينادى فى السوق أن من اشترى ماء من لبنك السقاء لم يلق خيرا . ولما تورست الشمس ركب متنكرا وجاء الى بيت السقاء وقرع الباب وقال : أنا من مماليك السلطان وقد تخلفت عنه وأمسيت، وأريد أن أبيت الليلة فى هذا البيت حتى اذا أصبحت لحقت به . قال : فرحب به السقاء وقال : انزل متع الله بك الملك، و يا طوبى لو كان معك عشرة آخرون فكنت أحملهم على رأسى وعينى . فنزل الملك، وأخذ السقاء بعنان فرسه، ونفض عنه الغبار وحط سرجه ومسح ظهره. (١٥٦) ثم عدا وسعى فى إصلاح طعام له فقدّمه بين يديه . فلما رأى بهرام ذلك ضحك ثم اشتغل بالأكل . ولما فرغ جاء بالشراب فكان الملك يشرب و يقضى العجب من سعة صدره مع ضيق يده . ثم نام ولما أصبح جاء السقاء واعتذر اليه وسأله أن يقيم عنده ذلك اليوم ليقوم بحق ضيافته . فأجابه الى

= آسادا . (١٨) براعة بهرام فى صيد حمر الوحش . (١٩) إغارة خاقان الصين على إيران، وطلب الإيرانيين الصلح . (٢٠) هجوم بهرام على خاقان الصين . (٢١) نصب بهرام ميلا على حدّ إيران وتوران . (٢٢) رسالة بهرام الى أخيه نرسى والإيرانيين . (٢٣) رجوع بهرام الى ايران . (٢٤) وصية بهرام الى عماله . (٢٥) بهرام يدعو اليه رسول قيصر الروم و يسأل الرسول الموبذ فيجيبه عن أسئلته . (٢٦) بهرام يأذن لرسول قيصر فى السفر، ثم ينصح عماله . (٢٧) شنكل يأخذ كتاب بهرام ويجيب عنه . (٢٨) شنكل يأدب لبهرام، وبهرام يظهر قوته . (٢٩) شنكل يرتاب فى بهرام و يمنعه الرجوع الى ايران . (٣٠) بهرام يقاتل الذئب بأمر شنكل و يقتله . (٣١) بهرام يقتل تنينا . (٣٢) شنكل يحتار فى أمر بهرام و يزوجه ابنته . (٣٣) فغفور الصين يكتب الى بهرام ويجيبه بهرام . (٣٤) بهرام يفر من الهند الى ايران مع بنت شنكل . (٣٥) شنكل يتبع بهرام، و يعرف من هو و يصالحه . (٣٦) شنكل يعود الى الهند وبهرام الى ايران . (٣٧) شنكل وسبعة ملوك يزورون بهرام . (٣٨) شنكل يعود الى الهند، و بهرام يسقط الخراج عن الأرض . (٣٩) بهرام يجلب اللورية (الغجر) من الهند . (٤٠) كيف انتهى عهد بهرام .

(أ) اسمه فى الشاه : براهام .

(١) طا، طر : وها هنا .

ذلك فأخذ قربته وأداته، ودار بالماء ساعة فلم يشتر أحد منه. فغمه ذلك فخلع قميصه، واتّزر بمئزر كان يلبسه تحت القربة، فباعه واشترى لحما وكشكا وأصلحهما له ثم قدّمه اليه فطعم. فأحضره(١) الشراب وأخذ يسقيه حتى ثمل ونام. ولما أصبح جاءه وسأله أن يقيم عنده اليوم الثالث أيضا، وقال: إن أقمت عندى اليوم فقد أحسنت إلىّ وأنعمت علىّ. فأجابه بهرام الى ذلك فأخذ قربته وسائر أداته، ورهنها على ما احتاج اليه، ودخل البيت فرحان مسرورا. ووضع اللحم وقال لبهرام: عاونى على إصلاح الطعام. فأخذ بهرام يقطع اللحم. ولما استوى طبيخهم أكلا واشتغلا بالشرب حتى نام بهرام. ولما أصبح أتاه السقاء واعتذر اليه وقال: إن كنت تصبر عن الملك فأقم عندى أسبوعا أو أسبوعين فى هذا المنزل الرث وان كان لا يليق بك. فشكره بهرام وأثنى عليه وقال: سأحدث بحديثك حيث ينفعك. فأسرج فرسه وركب مغلّسا، وصار الى متصيده وأقام فى معسكره. ولما أمسى ركب وجاء الى بيت اليهودى وقد جنّ الليل، فقرع بابه وقال: إنى تأخرت عن السلطان، وقد هجم الليل، وقد أضللت الطريق. فإن آويتمونى الليلة لم أحملكم كلفة، وتقلدت لكم منة. فجاء الغلام وأخبر اليهودى بالطارق الذى طرق وبقوله. فصاح عليه وقال له: قل(٢) ليس عندنا موضع. فبلغه الغلام ذلك. فقال بهرام: لا بدّ من ذلك. فأخبر اليهودى فقال: قل له إن موضعنا موضع ضيق، وصاحبه يهودى فقير جائع لا يقعد إلا على الأرض، وهذا الموضع لا يصلح لمثلك. فذكر له الغلام ذلك فقال بهرام: إنى أبيت خلف الباب ولا أكلفكم شيئا، واذا أصبحت خرجت. فأتاه اليهودى بنفسه وقال: أيها الفارس! قد صدعتنى الليلة. وكأن الدنيا ضاقت عليك حتى جئت الى بيتى. فعاهدنى الآن على أنك اذا دخلت البيت لا تطلب منى شيئا ولا تحملنى مؤونة، وإن كسر فرسك بحافره شيئا من الآجر أعطيتنى عوضه، وأنك(٣) تكنس غدا زبله وترميه الى خارج. فحلف له بهرام على ذلك. ففتح الباب وأدخل فرسه فحط عنه سرجه ووضعه تحت رأسه، وفرش لبده تحته ونام عليه. وبقى الفرس بلجامه صافنا خلف الباب. وأغلق اليهودى الباب، وقعد فى مجلس له، وأحضر طعامه وأخذ يأكل وحده ولا يدعو ضيفه. فقال له(٤): أيها الفارس! احفظ عنى هذا الكلام: إنه قيل كل من كان له شىء يأكل، ومن لم يكن له شىء ينظر. فقال بهرام: قد بلغنى ذلك سماعا، ورأيته الليلة عيانا. ثم لما فرغ من الطعام جاء بالشراب وأخذ يشرب. فلما تمكن منه السكر قال: أيها الفارس التعبان! اسمع هذا المثل الآخر: قد قيل من كان يملك شيئا فليأكل، ومن لم يكن له شىء فليبت جائعا نائما مثلك. قال: فلما طلع الفجر أسرج بهرام فرسه ليركب فجاءه اليهودى وقال:

(١) كو: وأحضره. (٢) طا، كو، طر: وقال: قل له. (٣) طا، طر: وعلى أنك.
(٤) كو: وقال فى أثناء ذلك أيها الفارس.

أيها الفارس ! أما تفى بقولك ؟ ألم تشترط أنك تكنس زبل الدابة ؟ فلم تخالف ؟ فقال بهرام : اطلب لى أجيرا يفعل ذلك ، وأعطيه أجرته . فلم يفعل فأخرج بهرام منديل حرير كان معه فحمل فيه الزبل ورماه الى خارج . وركب وعاد الى إيوانه . ولما أصبح استحضر السقاء[1] واليهودى ونفذ الى بيت اليهودى بعض ثقاته ، وأمره بأن يحمل اليه كل ما فى بيته على الجمال والبغال . فرأى بيته مملوءا من الجواهر والرغائب من الذهب والفضة والثياب والحلى والحُلل . فاستعظم ذلك واستكثره ، وجاء بألف جمل فأوقرها من بيته بأمواله وذخائره ، وعاد الى حضرة الملك . فأمر الملك بتسليم مائة حمل[2] منها الى السقاء ، وأعطى اليهودى أربعة دراهم[3] وقال : يكفيك هذا رأس مال . ثم فرق الباقى على الفقراء والمحتاجين . وأصبح اليهودى من أخسر الخاسرين .

(ا) حكاية أخرى[4]

ذكر صاحب الكتاب أن بهرام كان ذات يوم جالسا بين ندمائه وجلاسه فدخل عليه بعض أكابر (ب) أهل القرى بأحمال من الفواكه . فأكرمه بهرام وأجلسه بين أصحابه . فرأى قدحا فيه خمسة أمناء من الشراب فأخذه وقال : أشرب سبعة أقداح من هذه ولا أسكر ، وأرجع صاحيا الى ضيعتى . ففعل ذلك غير مكترث بكثرته . ثم استأذن الملك وخرج منصرفا الى ضيعته ، وسار فى طريقه فغلى الشراب فى صدره فلم يطق الركوب . فعدل عن الطريق (ج) الى ظل شجرة فنام وغمره النوم والسكر . فنزلت عليه غربان سود من الجبل فاقتلعن عينيه . وأتاه أصحابه فوجدوه ميتا مفقوء العينين ، وفرسه مربوطا بين يديه . فأنهوا خبره الى الملك فعظم ذلك عليه فحرم الخمر عند ذلك وقال : لا يشربها وضيع ولا شريف . وصار الملك اذا جلس فى مجلس الأنس يحضر عنده كتب الملوك وتواريخهم وسيرهم فيشتغل بذلك عوضا عن الشرب . فمضت سنة على ذلك فاتفق أن تزوج ابن إسكاف بامرأة ذات مال وجمال . فلما كانت ليلة الزفاف أخرجت أمه قطعة شراب كانت قد خبأتها . وقالت لابنها : اشرب من هذه سبعة جامات فلعلك تفض الليلة الختم ، ولا تقرف بين

(ا) حذف المترجم قبل هذه حكاية بهرام فى الصيد مع رجل اسمه مهربنداد . وفى ورنر : مهر بيداد .

(ب) اسمه فى نسخة مول : كبروى . وفى ورنر: كبروى .

(ج) فى الشاه : أنه لما أحس حر الشراب ركض فرسه عامدا الى جبل فنزل فى ظل شجرة وأن أصحابه ركضوا خلفه فأدركوه ميتا . (انظر نسخة مول وترجمة ورنر) .

(١) كلمة السقاء هنا من الشاه ، كو ، طا .

(٢) صل : جمل . والتصحيح من الشاه ، طا .

(٣) صل : قال . وزيادة الواو من طا ، كو .

(٤) فى حاشية الأصل هنا : قصة تحريم الخمر .

عشيرتك . فشرب الإسكاف منها سبعة أو ثمانية فاشتدت عروقه وأعصابه . ولما أسبل عليه حجابه تفتح دون مراده بابه . فخرج الى باب داره وهو سكران فرأى أسدا قد قطع السلاسل وأفلت فوثب على ظهره، وعلاه واستمسك بأذنيه . فجاء السبّاع(١) و باحدى يديه السلسلة وبيده الأخرى الحبل يريد إمسا كه فرأى الإسكاف على ظهره كراكب حمار . فانصرف ودخل على الملك وأعلمه بذلك . فقضى بهرام منه العجب فقال لبعض موابذته : كأن هـذا الاسكاف ينتسب الى أصل كريم . ففتش عن نسـبه وأخبرنى به . ففتش عنه فاذا به قد ورث صناعته أبا عن جد، وكل آبائه أساكفة . فلما طال فى بابه الحديث حضرت العجوز وأعلمت الملك بما جرى . فضحك وحلل الخمر ، وأذن أن يشرب منها مقدار ما يتقوى به شاربه حتى يصير بحيث يقاوم السباع، ولا يسرف حتى يصير شاربها (١٥٧) عرضـة للغربان وأشباهها . فارتفعت أصـوات البشائر بتحليل الراح والترخص فى إدارة الأقداح وجلب السرور والأفراح .

(أ) حكاية أخرى(٢)

قال صاحب الكتاب : وخرج بهرام ذات يوم الى متصيده ومعـه جماعة من موابذته ووزرائه وخواص حضرته . فاعترض الموكب فلاح وبيده مسحاة، وسأل عن الملك فسأله موبذ عن حاله . فقال : لسـت أتكلم حتى أرى وجه الملك . فأتوا به الملك فقال : إن معى سرا أريد أن أبوح به اليك . فثنى بهرام عنانه، وعدل عن الطريق وخلا بالفلاح . فقال له : أيها الملك! إنى كنت أسقى زرعا فى هـذه الأرض فامتلأ القراح ماء فاذا بثقبة فى وسط الأرض ينزل فيها المـاء ويسمع منـه صوت يشبه صوت الصنج . وكأن المكان فيه كنز . فمضى معه الملك الى ذلك المكان ، وضربت له خيمة هناك فنزل . وأحضر الفعلة فأمرهم بحفر ذلك المكان فانتهوا الى أزج مبنى بالآجر والنورة . فظهر له باب ففُتح ودخل فيه موبذ مع شخص آخر فرأيا بيتا واسعا واذا بجاموسين مصوغين من الذهب الأحمر مربوطين على معلف كبير من الذهب مملوء من الزبرجد والياقوت مخلوطا بعضه بالبعض(٣)، وقد ركبت فى عيون الجاموسين يواقيت تتقد كالجمر، والجاموسان مجوفان مملوءة أجوافهما باللآلئ الشاهية، وحواليهما تماثيل كثيرة قد صيغت على صور(٤) السباع واليعافير والتذاريج والطواويس مرصعة بالجواهر

(أ) فى مول، وزر، نسخة تبريز، قبل هذه الحكاية حكايتان ليستا فى هذه الترجمة :

١ — هدم موبذ بهرام قرية وتعميرها . ٢ — وقصة بهرام مع الأخوات الأربع .

(١) صل : فجاء الأسد . وفى طا، كو : السباع . وهو ترجمة شيربان فى الشاه .

(٢) فى حاشية الأصل هنا : قصة فتح الكنز . (٣) طا، طر : بعضه ببعض . (٤) كو : على وجوه ،

واليواقيت . فخرج الموبذ وهو ممتلئ فرحا وسرورا فقال لبهرام : أيها الملك ! قد أعطيت كنزا من الجواهر لم ير ولم يسمع بمثله . فقال له بهرام : من كنز كنزا فلا بد أن يكتب عليه اسمه . ففتش فلعلك تجد اسم صاحب هذا الكنز مكتوبا فى شيء . فدخل الموبذ فرأى ختم جمشيد عليها[1] . فخرج وأعلم بهرام بذلك . فقال للموبذ : أيها العالم العاقل ! مالى أفرح بكنز كنزه جمشيد من قبل ؟ لا كان مال لم يعن بجمعه السيف والعدل . وأمره أن يفرق جميعه على الفقراء والمحتاجين والمدينين والغارمين ، بعد أن يسلم عشره الى الفلاح الذى دل عليه . وقال : لا حاجة لعسكرنا الى تفرقة هذا المال عليهم . فان الجواهر ليمكن تحصيلها وابتياعها من الأرامل وعجزة الرجال . وينبغى أن يكنز الملوك ذكرا جميلا ، ويدخروا أجرا جزيلا . ثم رجع وفتح أبواب كنوزه ودفائنه التى أخذها من الأعداء بسيفه ، وجمعها بعدله ، ففرقها على عساكره حتى أغناهم أجمعين . وقال : معاذ الله أن أكنز دفائن الماضين ، وأفرح بما خلق للفناء أو أفتخر إلا باكتساب المجد والسناء . فدعا له الحاضرون وقرظوه وشكروه وحمدوه .

(ا) حكاية أخرى[2]

ذكر صاحب الكتاب أيضا أن بهرام خرج يوما الى الصيد[3] فانفرد من أصحابه فرأى ثعبانا عظيما كأنه سبع ضار . فى رأسه شعر طويل بطول قده ، وله ثديان كثدى النساء . فوتر قوسه ورماه بنشابة أصابت رأسه فسقط . فنزل عليه وشق بالخنجر صدره فاذا برجل شاب فى جوفه قد ابتلعه . فرق له قلب بهرام حتى بكى . فأظلمت عينه من بخار سمه . فركب كما هو ، ومضى حتى انتهى الى ضيعة . فرأى امرأة على باب دار وبيدها جرة تريد الماء فغطت وجهها من بهرام . فقال لها بهرام : هل عندكم من مبيت؟ فقالت المرأة : الدار دارك فانزل . فدخل بفرسه الدار . فدعت المرأة بزوجها وقالت له : اربط فرسه وامسح ظهره وقدم له تبنا . ودخلت مجلسا له[4] وكنسته وفرشت حصيرا ووضعت مخدة[5] . فدخل بهرام وتمدد مستريحا مما عاناه من مقاتلة الثعبان وقتله وما خامر دماغه من روائح سمه . فقدمت المرأة اليه طبقا من خلاف عليه خل وبقل ولبن وخبز فتناول منها لقيمات ونام . فخلت المرأة بزوجها وسارته وقالت : أيها القبيح الوسخ ! إن هذا الفارس أمير كبير فاذبح له حملا . فامتنع وتعلل بالفقر والعجز . فلم تزل به حتى أجاب وذبح له حملا كان فى بيته فطبخته وقدمته اليه

(ا) حذف المترجم قبل هذه الحكاية ، حكاية بهرام مع التاجر وصبيه .

(١) كو : على جبهة الجاموس . (٢) فى حاشية الأصل هنا : قصة قتل الثعبان ونزوله بيت صاحب ضيعة .

(٣) طا ، طو : المتصيد . (٤) طا ، كو ، طو : مجالسا لهم . (٥) كو : وسادة .

بالعشى فأكل بهرام وغسل يده . وكان منكسر البدن من أثر التعب فقدّمت اليه يقطينة فيها شراب مع قليل من الغبيراء برسم النقل . فأخذ بهرام يشرب ثم قال للمرأة : حدّثينى حتى أشرب على حديثك . ثم قال لها : كيف حالكم مع هذا السلطان ؟ فقالت : إنه لاجور علينا من الملك ولا حيف سوى أنه يأخذ من كل جان يجنى خمسة دراهم (أ) . وليس منه تحامل علينا إلا من هذه الجهة . فاستقل الملك ذلك المقدار وأضمر الزيادة عليه .

وذكر غير صاحب الكتاب أنه رأى بستانا كبيرا عند دارها فسألها عن خراجها(١) ومقدار ما عليها كل سنة . فقالت : للسلطان كل سنة على هذا البستان وعلى أمثاله خمسة دراهم . أو كما قال(٢) . فاستقل بهرام المقدار المذكور فى نفسه ، ونسب عماله الى التقصير فى حقه ، ونوى الكشف من عنده وأن يزيد فى مقداره . فنام على هذه النية الظالمة .

ولما أصبح أرادت المرأة أن تصلح له لبنية فقامت الى بقرة كانت لها لتحلبها فمسحت ضرعها فلم تدرّ ووجدت ضرعها خاليا من اللبن . فقالت لزوجها : إن قلب السلطان قد تغير، وكأنه قد نوى سوءا وأضمر ظلما . فقال لها الزوج : ما هذا التطير؟ فقالت : أما تعلم أن الملك إذا صار ظالما جفت الألبان فى الضروع، ولم يأرج المسك فى النوافج، وشاع الزنا والربا فى الخلق، وصارت القلوب قاسية كالحجر الصلد، وعاثت الذئاب وضريت بالإنس، وتخوّف ذوو العقول من ذوى الغواية والجهل . ولولا حدث حدث لما تغير لبن هذه البقرة الحلوبة . فلما سمع بهرام ذلك من المرأة ندم على ما أضمر (١٥٨) واستغاث فى سره الى الله تعالى وتاب عما عزم عليه . ثم عادت المرأة الى البقرة تسمى الله تعالى ، ومسحت ضرعها فدرت بلبن غزير . ففرحت المرأة وقالت : إنك يامستغاث الخلق! قد قلبت الظالم عادلا حتى عاد لى ضرع هذه البقرة حافلا . فحلبت وأصلحت لبنية وقدّمتها الى ضيفها فطعم متعجبا من الحالة التى شاهدها . ثم قال للمرأة : خذى هذه السوط وعلقيها على قضيب من الشجرة التى على باب الدار . ففعلت فاذا بعسكر بهرام مقبلين . فلما رأوا السوط نزلوا وقبلوا الأرض واجتمعوا على باب الفلاح . فعلمت المرأة وصاحبها أنه الملك وعادا الى إيوانه(٣)، وقبلا الأرض بين يديه، واعتذرا اليه برثاثة حالها وضيق أيديهما . فقبل عذرهما وأحسن اليهما، ووهب لهما تلك الضيعة، وأوصاهما بإطعام الأضياف . وركب منشرح الصدر مسرورا . والسلام .

(أ) فى الشاه — نسخة تبريز ومول وترجمة ورنر: أن المرأة شكت الى بهرام أن عماله يعزون بالقرية فيتهمون الناس ليأخذوا منهم بعض الدراهم . فقال فى نفسه إن الناس لا يخافون الملك العادل . واعتزم أن يشتد على الناس ليميزوا العدل من الجور الخ . وعبارة المترجم هنا غامضة .

(١) طا ، طر : خراجه ومقدارما عليه . (٢) كو : أو كما قالت . (٣) كو : خدمته . وفى الشاه : ذهبا عنده .

حكاية(١) أخرى لبهرام مع برزين الجوهرى (أ)

قال صاحب الكتاب: ثم بعد ثلاثة أيام نشط للصيد، واجتمع على بابه ثلاثمائة فارس من أكابر الفرس ليخرجوا فى خدمته، ومع كل واحد منهم ثلاثون غلاما . فخرج بهرام فى ثلاثمائة غلام فى عدد الصيد وأسبابه . وأخرج عشرة نُجُب برحال مرصعة باللؤلؤ ، ورُكُب من الذهب ، وهى مجللة بالديباج والحرير، وعشرة بغال من المراكب الخاصة، وسبعة أفيال على ظهورها تخوت فيروزجية، مع كل فيل ثلاثون فارسا بمناطق الذهب ، ومائة بغل عليها المغانى والمسمعات. وخرجت البازدارية بمائة وستين من البزاة، ومائتين من الصقور والشواهين يتلوها جارح أسود يسمى طُغرى، وهو أكرم الجوارح على الملك . وكان سَبَجِىَّ الجسم ذهبىَّ المخلب والمنسر . كان الخاقان ملك الصين أهداه إلى بهرام مع جملة من الهدايا والتحف وسائر ما يجلب من أرض الصين . ووراء هؤلاء الفهادون بمائة وستين فهدا بسلاسل الذهب والأطواق المرصعة بالجوهر . فلما صاروا إلى متصيدهم صادفوا طيرا كثيرا فابتهج الملك لذلك وتهلل وجهه . وأرسل طغرى فى الهواء فرمى عدّة من الطيور . ثم رأى طغرى كركيا فقصده وطلبه وأبعد حتى غاب عن عين الملك . فتبعه بعض البازداريّة، وتبعه الملك أيضا فى عدّة من خواصه على حس صوت الجرس الذى كان فى رجله . وبقى العسكر فى المتصيد . فعرض للملك باغ (ب) فيه قصر فدخله فرأى فيه مماليك وجوارى وإذا بشيخ قاعد عند حوض ماء وعنده ثلاث بنات كالأقمار الطلع، على رءوسهنّ تيجان من الفيروزج، على(٢) يد كل واحدة منهنّ جام من البلور مملوء بسلاف كذوب البلخش . فوثب الدهقان، وكان يسمى برزين، فجاء وقبل الأرض بين يدى الملك، ودعا له وسأله أن يشرفه وينزل عنده . فقال الملك : إن طغرى قد غاب عنا ، وقد ضقت ذرعا لذلك . فقال : إنى قد رأيت الساعة طائرا أسودا كالقار أصفر المخلب والمنقار قد وقع على هذه الشجرة . وسيؤخذ(٣) بسعادة الملك . فأمر بهرام غلاما فصعد الشجرة فنادى وبشر الملك بأنه وجده قد نشب وتعلق ببعض أغصان الشجرة فسرّ بهرام . ولما جىء به قام برزين فهنأه بسروره وسأله أن يقيم فى ضيافته ويشرب عنده بقية يومه . فأجابه بهرام إلى ذلك فأصلح له مجلسا شاهيا، وقال لبناته الثلاث : إن ضيفنا الليلة أكرم الأضياف . وأمرهنّ أن يحضرن عنده ويطيبن قلبه . وكانت الواحدة منهن مغنية طيبة الصوت، والأخرى رقاصة، والثالثة جنكية . فحضرن عنده وأخذن فى أشغالهنّ وأخذ هو يشرب حتى امتلأ طربا . ثم سأل برزين عنهنّ فقال: إنهنّ بناتى وإماؤك .

(أ) فى نسخ الشاه التى عندى : برزين الدهقان . (ب) باغ : بستان .

(١) فى حاشية الأصل هنا : قصة تزوج بنات برزين البستانى . (٢) طا ، طر: وعلى يد الخ . (٣) طا ، طر: وسيوجد .

فاستظرفهن الملك واستملحهن فأشار برزين على المغنية بأن تغنى بما فيه مدح بهرام وصفته . فغنت بما يقرب معناه من قول بعض الشعراء فى المأمون :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر ۝ وأحسن منــه ما أسر وأضمــرا
يناجى له نفسا تريع بهمــة ۝ إلى كل معروف ، وقلبا مطهرا
ويخشـع إجلالا له كل ناظر ۝ ويأبى لخوف الله أن يتكبرا
طويل نجاد السيف مضطمر الحشا ۝ طواه طراد الخيــل حتى تحسرا
رِفَــلّ إذا ما السـلم رفّل ذيله ۝ وإن شمرت يوما له الحرب شمــرا

فلما سمع بهرام ذلك شرب على صوتها جاما كبيرا كان على كفه ثم أقبـل على برزين وقال : أيها الرجل الجواد ! إنك لا تجد ختنا مثلى فزوجهن منى . فقال برزين : من يتجاسر على أن يخطر بباله ما ذكره الملك ؟ وأنا أصغر خدمك ، وإنهن تراب قدمك ، وقـد وهبتهن لك على رسم جيومَرت وأوشهَنج . فأمر فجاءوا بمهود أربعـة من الذهب ، فقعدت العرائس الثلاث فى ثلاثة منها وحملن إلى دار الملك . وأقام هو يشرب حتى اجتمعت أصحـابه على باب برزين فقعد فى المهد الرابع وهو سكران وعاد الى إيوانه .

قال الفردوسى مخاطبا للسلطان أبى القاسم محمود رحمه الله : لا شىء أحسن فى السر والإعلان من سلوك طريق العدل والإحسان . وما من ملك كان للرعية بفضله غامرا ، ولبلاده بعدله عامرا إلا وقد بقى حيا اسمه وإن أضمره رمسه . فكن عادلا أيهـا الملك المطاع ! ولا تحمل الرعية ما لا يستطاع . ألا ترى بهرام كيف بقى على تعاقب الأيام ذكره فى جميع الأقطار متداولا بين الصغار والكبار ؟ على(١) أنه لم يكن من دينه على منهج قويم وصراط مستقيم . وما ذاك إلا لكونه باسطا لظلال المعدلة على البرية ، وناظرا بعيـن التعطف الى الرعيــة . لا جرم أنه طوى أيام عمره وأنفاس حياته فى النعيم والترف، وعاش ما عاش تحت تاج الجلال وفوق تخت الشرف (ا) .

حكاية أخرى له فى وصف خروجه الى متصيده فى صحراء جز(٢) (١٥٩)

قال صاحب الكتاب : وأمر بهرام ذات يوم بأن يخرج تخته الى بستانه . فأخرجوا تخته الفيروزجى ، ونصبوه له تحت أشجار الورد ، وأحضروا له الشراب والمغانى ، وحضر النـدماء والخواص . فقال

(ا) حذف المترجم بعد هذه القصة قصة عنوانها : قتل بهرام الآساد ، وذهابه الى بيت جوهرى ، وتزوّج بنته . ثم قصة بهرام وفرشيدورد .

(١) كو : على أنه ما كان من دينه . (٢) فى حاشية الأصل فى هذا الموضع : قصة قتل السبعين وصيد العفور وسبب تسميته بهرام جور .

للموبذ : إن الأيام لا تطيب إلا بالنار ، والشَّمول لا يشمل سروره إلا بشمائل الجلاس ، وحسبنا بوحدة القبر وحدة (١). ونحن لو صعدنا الى السماء شرفا وعزا لم يكن لنا بد من الهبوط بعد الصعود. وقد بلغت الآن من السنّ ثمانيا وثلاثين . واذا بلغ عمر الشاب الأربعين دخل قلبه هم الممات، و بدل شمل سروره بالشتات . فلننتهز فرصة الأطراب ونهتبل غرة الشباب، ولايخلو (أ) جامنا من الشراب. فأقام بهرام على ذلك الى أن دخل وقت المِهرجان، ورقت أرواح الراح فى أشباح الدنان، واصفرت وجنات التفاح فى عذَب الأغصان، ونهدَ الرمان خيرىّ الجلباب، وصار منها الغصون كالكواعب الأتراب، وبدا وجه السفرجل فى الخمار المخمل، وعاد المـاء فى لون اللازورد وصفاء السجنجل، واكتنز لحم اليعفور وعبلت أجسام الفور. فاختار عشرة آلاف فارس وصار بهم الى صحراء جز وآجامها وغياضها. وكانت مأوى السباع والوحوش . فلما نزل فيها قال : نستريح الليلة ونركب غدا ونفتتح بصيد السباع . فاذا أخلينا الأجمة منها اشتغلنا بصيد حمر الوحش . فلما أصبح صار بعسكره الى أجمة من الطرفاء هناك . فلما توغلها خرج اليه سبع عظيم فقال لأصحابه : إنى لا أرميه بالنشاب ، وإنمـا أقتله بالسيف حتى لا أنسب الى الجبن . فلبس قباء مبلولا من الصوف، وركل فرسه نحوه . فلمـا قرب منه انتصب السبع وهمّ أن ينشب براثنه فى نحر فرسه . فتلقاه بسيفه وقدّه من رأسه الى منتهى ذنبـه بنصفين . فخرجت لبوة تزئر، وثارت نحو بهرام فتلقاها وأبان بخنجره رأسها من جسـدها . فقال له بعض من معه : أيها الملك ! إن هذا الفصل فصل الخريف، ووقت تمر آساد الغريف . و إن هذه الأغيال مملوءة بضـوارى الليوث مع الأشـبال . وطول هـذه الأجمـة ثلاثة (٢) فراسخ، ولا تقدر أن تفنى سباعها ولو أقمت عليها سنة كاملة. فلا تتعبن نفسك . ولم تخرج إلا على عزيمة صيد الوحوش (٣) . فما بالك تجهد نفسك فى صيد الأسود ؟ فقال : أى قدر لضوارى السباع عند رجال الحروب (٤) ؟

ثم إنه انصرف ونزل فى سرادقه وغسل عنه ما ترشش عليه من دم السبع . فوضع سالار الخوان موائد الذهب من أوّل السرادق الى آخره . وحضر الأمراء والأكابر وطعموا ثم اشتغل بالشرب .

ولمـا علم أهل مدينة جز و برقُو يه بنزول الملك فى تلك الصحراء خرج أهل الأسواق منهم ببضائعهم وأمتعتهم، وأقاموا فى تلك الصحراء أسواقا عظيمة تشتمل على طرائف كأسواق بلاد الصين فى المواسم.

(أ) كذا فى النسخ . و ينبغى حذف الواو من "يخلو" .

(١) كو : اذا صرنا الى اللحود . (٢) صل : ثلث فراسخ . والتصحيح من كو، طا . (٣) طا ، كو: الوحش.

(٤) كو : وغدا نشرع فى صيد اليعافير. وكذا فى الشاه .

ولما كان الغد ركب بهرام فى عسكره لصيد حمر الوحش فقال: من أراد أن يرمى يعفورا فلا يرمينه[1] إلا فى كفله، ولينفذ سهمه حتى يخرج نصله من صدره . فقال له بهلوان عسكره : أيها الملك ! من يقدر على هذه الرمية سواك ؟ فقال : إن تلك قوة[2] الهية . ومَن بهرام لولا حول الله وقوته ؟ ثم إنه أثار فرسه راكضا خلف يعفور، ورماه فى كفله بنشابة خرجت من صدره فركب ذلك اليعفور ردعه . فاجتمع عليه الفرسان يقضون العجب من تلك الرمية . فقال : إن الله هو الذى خصنى بهذه القوة . ومن لم يكن معه عناية من الحق فلا أهون منه بين الخلق . ثم ركض خلف يعفور آخر فوسطه بالسيف . وتراكضت الفرسان خلف اليعافير حتى رموا منها ملء ذلك الفضاء حتى[3] كأنهم أخلوا تلك الأرض منها . فأمر الملك بتفريقها على الحاضرين من السوقية والتجار من أهل المدينتين . ثم إن أكابر جز، و برقويه جاءوا حضرة بهرام بهدايا من الخز والديباج وغيرهما فقبلها الملك منهم، وأمر بإسقاط الخراج عن المدينتين . ثم كشف عن أحوال الرعية بها وعن أهل البيوتات والمتسترين منهم بملابس القنوع ففرّق عليهم أموالا وافرة حتى أغناهم أجمعين .

ثم إنه ارتحل من ذلك المتصيد، وسار نحو بغداد، وأقام مقدار أسبوعين بين نسائه وجواريه بها على جملة السرور والنشاط . ثم سار منها الى اصطخر دار الملك ومطلع التاج ومستقر التخت فدخل حجر نسائه بها وتفقدهن . فمن صادف منهن غير معتصبة بالتاج قاعدة على التخت العاج[4] أمر بذلك لها و إنفاق الخزائن عليها . وقال للقائم بأمرهن : إنا قد جعلنا خراج الروم والخزر برسم حُجَر اصطخر. فان لم يكفهن ذلك فاستدع أحمال الدنانير من إصبهان والرى .

قال : و بقى بهرام كذلك مدة من الزمان لا يشتغل إلا باللهو والطرب والصيد والطرد . و إنما سمى بهرام جور لملازمته صيد حمر الوحوش . (أ) واسم حمار الوحش فى لسان الفرس كور . فقيل له بهرام كور من أجل ذلك . وعربته العرب فقالوا بهرام جور[5] .

(أ) هذه الجملة الى آخر الفصل ليست فى نسخ الشاه التى بيدى . وظاهر أنها من عند المترجم .

(١) طا : فلا يرميه . (٢) كلمة «قوة» من طا ، كو ، طو . (٣) طا ، طو : وحتى .

(٤) كو : سرير العاج . (٥) طا ، طو : والسلام .

ذكر قصة قيصر الروم وخاقان الصين مع بهرام §

قال صاحب الكتاب : ثم تواترت الأخبار واستفاضت فى بلاد الروم والهند وممالك الترك والصين بإقبال بهرام بكليته على اللعب واللهو، واشتغاله بذلك عن الخلق، و إهماله لأمر الجيش ، وأنه لا يهمه ترتيب الجند فليس على بابه بهلوان ولا طليعة ولا ديدبان . فجمع الخاقان عند ذلك عسكرا عظيما، وأقبل طامعا فى ممالك إيران ، وحشد قيصر أيضا وأقبل من الجانب الآخر فى جنوده قاصدا للتوغل فى بلاد إيران أيضا . فلما تناهى الخبر بذلك إلى أرض إيران اجتمع الأكابر والأمراء والأعيان والقوّاد، ودخلوا على بهرام وعنفوه وعيروه ، وأخبروه بامتداد الأطماع الى ممالكه . فقال لهم بهرام : إن الله ناصرى . وأنا بحول الله وقوته ونصرته حافظ لايران وذائد عنها كل مكروه . ١٦٠
وسأصرف شرهم عن هذا الإقليم بالمال والجيش والسعادة والسيف . واستمر فى ظاهر الأمر على لهوه ولعبه كما كان . فأيس من ملكه الإيرانيون وكادوا يتلفون من الجزع والأسف عليه . وهو فى السر يهيئ أمر عسكره، ويستعد بحيث لا يطلع عليه أحد . فجاء الخبر بهرام بدخول[1] الخاقان الى ممالك ايران . فاستحضر بهلوانه كُستهم، وهو[2] قائد جيشه ودستور ملكه[3] ومتولى حله وعقده، ففاوضه فى أمر الخاقان فيما أقدم عليه . واستدعى وجوه قوّاده وأعيان أمرائه، وانتخب من خُلّص عساكره والمذكورين منهم ستة آلاف فارس، وسلم التاج والتخت الى أخيه نرسى بن يزدجرد، وكان صاحب دين وورعة ومعدلة ورأفة، وركب فيهم وأخذ فى طريق آذربيجان فحسب الناس أنه قد هرب ، حيث لم يستصحب من العسكر إلا ذلك المقدار اليسير .

---

§ الهياطلة الذين سماهم الصينيون "يتها" وسماهم الرومان (Ephthalites) أو الهون البيض ، وسماهم الفرس هيتال اجتازوا جيحون سنة ٤٢٥ م وعاثوا فى البلاد فهلع الناس منهم وحاربهم بهرام كور وهزمهم . والظاهر أن الهياطلة هم الذين ذكروا هنا فى قصة خاقان الصين .

وأما الروم فقد حاربوا بهرام من أجل شدّته على النصارى فى بلاده، وغلبوه ، ولكن بهرام استطاع أن يصالحهم على شروط عادلة منها ألا يضطهد النصارى ولا يمنعوا من الفرار الى سلطان الروم، وألا يضطهد المجوس من رعايا الروم كذلك . وكان هذا الصلح سنة ٤٢٢ م . وقد أدى هذا الى استقلال الكنيسة الشرقية سنة ٤٢٤ م[4] .

---

(١) طا، كو، طر : عساكر الخاقان . (٢) طر : وكان قائد . (٣) طا، كو، طر : مملكته .
(٤) سيكس (Sykes) ج ١ .

قال : ولما سار بهرام وصل رسول قيصر ملك الروم فأنزله نرسى فى موضع يليق به . ثم إن الايرانيين اجتمعوا على مو بذ المو بذان، وأخذوا يسفهون رأى بهرام فيما كان عليه من قبل من التغافل والانكباب على اللهو واللعب، والتساهل فى أمر العدو حتى صاروا عرضة للتلف . وقالوا : بعد أن هرب بهرام فالرأى أن نكاتب الخاقان ونلتزم له الخراج حتى تسلم البلاد والعباد. فمنعهم نرسى من ذلك فخالفوه وكتبوا إلى الخاقان كتاب ذوى عجز وضراعة، وسألوه ألا يتوغل بلادهم وديارهم حتى يلتزموا له الخراج ويحملوا اليه الإتاوة . وأرسلوا اليه الكتاب على يد موبذ يسمى هُماى . فلما وصل إلى الخاقان كاد أن يطير من الفرح والسرور، وقال لأمراء الترك : من قدر أن يملك بلاد إيران بغير قتال سواى ؟ فقد ملكتها . وذلك بالرأى والعقل والتؤدة والرفق . فخلع على المو بذ، وأجاب عن الكتاب، وقال : إنا قد اجترينا منكم بأداء الخراج، وأنا صائر إلى مرو مقيم فيها إلى أن يصل ما التزمتم به من الخراج . فانصرف الرسول ونزل الخاقان فى عساكره على ظاهر مرو، وأقام بها مستريحا من التعب ومستروحا (١) إلى اللهو واللعب ومنتظرا وصول خراج إيران اليه .

وأما بهرام فانه كان متيقظا فى أمره . وكان قد فرّق الجواسيس والعيون حتى يخبروه بحال الخاقان . فلما علم (٢) بنزوله على مرو أمر أصحابه الذين كانوا معه فلبسوا السلاح، وجنب كل واحد منهم فرسين. فسار بهم من آذر بيجان سالكا طريق أردَبيل إلى آمُل ومنها الى جُرجان ومنها الى مدينة نسا، وبين يديه دليل خرّيت يسلك به شعاب الجبال ومخارمها وعوادل الطرق ومجاهلها . فطار على هذه الصفة بقوادم الركض حتى قرب من مرو . فأتاه فارس من جواسيسه وأخبره بأن الخاقان ركب للصيد الى كُشمَيهَن وهو فى خِفّ من أصحابه بلا عدّة ولا سلاح . فامتلأ بهرام سرورا بما سمع، ونزل واستراح فى يومه ذلك وأرلج . ثم ركب فى عسكره وسار تحت ظل الليل قاصدا قصد الخاقان حتى هجم عليه (ا) وعلى أصحابه فى ذلك المتصيد فلم يحسوا إلا بأصوات البوقات، واصطفاق الأعلام والرايات ، وصليل الأسياف فى (٣) الجماجم والهامات فأسر الخاقان رجل يقال له خزوران (ب) وعملت السيوف فى الخاقانية حتى تلاطمت أمواج الدماء فى ذلك الفضاء، وأتى القتل والأسر عليهم أجمعين . فعطف بهرام عنانه الى مرو فدخلها وأخلاها عن الترك (٤) فقتل بعضهم وأسر

(ا) انظر فى الأخبار الطوال وفارس نامه احتيال بهرام كور لهزيمة الخاقان .

(ب) فى الشاه : خزروان .

(١) طر : ومتروحا . (٢) طا، كو : فلما أعلم . (٣) طا : على الجماجم .

(٤) كلمة "وأخلاها" من طا، كو، طر .

بعضهـم، وهرب الباقون فاتبع أثرهم حتى سار ثلاثين فرسخا . ثم عاد ونزل فى مخيم الخاقان ، وأمر بجمع الغنائم ففرّقها على عسكره . ثم لمـا استراح واستراح أصحابه ركب وسار بهم فى يوم وليلة الى آمُل الشط . ولمـا أصبح من الغـد عبر المـاء وتوغل فى[(١)] أطراف ممـالك توران يقتلهم ويأسرهم حتى اجتمع أمراء الترك ومن بقى من قوادهم وأعيانهـم ، واستأمنوا اليـه والتزموا له الخراج . فتعطف عليهم وعفا عنهم وأجابهم الى ما التمسوا . وأقام أسبوعين ثم انصرف وراءه حتى وصل الى فرَبر(أ) فبنى هناك ميلا وجعله واسطة بين ممالك الترك والفرس، وجعل جيحون أيضا فيصلا بين المملكتين. وكان فيهم رجل يسمى شمرا (ب) فقلده ممالك توران . فسار اليها ولبس تاجها وتسنم تختها .

قال : ولمـا فرغ من ذلك كتب الى أخيه نرسى بن يزدجرد كتاب الفتح يذكر فيه ما يسره الله له ويقول فى كتابه بعد حمـد الله والثناء عليه : من لم يشاهد وقعـة الخاقان فليسمعها ممن شهدها[(٢)] . إنه كان من جموعه وعساكره فى سواد سـدّ ما بين الأفقين بالعجاج الأكدر حتى كأن السماء طليت بالقار من النقع المثار . وكان مصيره الى الآخرة[(٣)] ومصير ذلك الجيش اللهام الى الأسر والكسر . فهاهو مربوط على قتب عار، وأنا قادم به عليكم على أثر هذا الكتاب . ونفذ الكتاب على أيدى النجابين . فلما وصل الى أخيه نرسى كاد يطير فرحا وسرورا . فجاءه موبذ الموبذان فى جميع أكابر الفرس فأظهروا السرور والاستبشار بمـا أتاهم من ذلك الخبر المبهج وهم خجلون ممـا بدر منهم من مكاتبة الخاقان . فسألوا نرسى أن يكاتب بهرام[(٤)] فى حقهم ويسأله أن يعفو عنهم . وندبوا لذلك موبذا يسمى بُرزمهر . فلمـا وصل الكتاب اليه شفع أخاه، وعفا عنهم وقبل معاذيرهم . ثم أتته أكابر ممالك توران بمـا التزموا له من الخراج كل سنة فانصرف عند ذلك متوجها نحو اصطخر وبين يديه ألف ومائة وستون قنطارا من الدراهم والدنانير فى جلود البقر على ظهور الفيلة . ولمـا حصل فى دار ملكه أمر ببسط النطوع وإفراغ[(٥)] تلك الأموال عليها . وأمر بصرفها فى عمـارة القناطر والربُط والخانات وإنفاقها على الفقراء[(٦)] الذين معاشهم من كد أيديهم، وعلى الأرامل والأيتام، وعلى المشايخ الطاعنين فى الأسنان الذين عجزوا عن المكاسب ، وعلى أهـل البيوتات ، وعلى عابرى السبيل . ثم أمر بتفريق المغـانم على الجنود

(أ) فى الشاه : فرب، ويظهر أنها تخفيف فربر .

(ب) فى ترجمة وزنر : شهرا . وهو من جند ايران .

(١) طا، طر : توغل أطراف . (٢) طا، طر : شاهدها . (٣) طا، كو، طر : بالآخرة .

(٤) كلمة "بهرام" من طا، كو، طر . (٥) صل : وأفرغ . والتغيير من طا، طر . (٦) طا، طر : على الفقراء والذين .

والعساكر . ثم أمر بإحضار تاج الخاقان فقلعوا جواهره ورصعوا بها حيطان بيت النار (أ) ولما
فرغ من ذلك كله سار نحو طيسفون فتلقاه أخوه وموبذ الموبذان وسائر من كان بها من الموابذة
والأمراء والأكابر . فلما أشرق عليهم تاجه ترجلوا له ووضعوا وجوههم له على الأرض . ثم دخل
إيوانه وجلس على تخت من الذهب وعمل فيه دعوة لأكابر الممالك وأمراء البلاد الذين كانوا فى حضرته
فخلع عليهم أجمعين . ولما كان اليوم الثالث[1] جلس بهم فى مجلس الأنس وأحضر الكاتب وأمره (١٦١)
أن يكتب الى أطراف البلاد وجميع أقاليم المملكة باسقاط الخراج عن أهلها سبع سنين شكرا لما منّ
الله به عليه حين أظفره، مع ضعفه وقلة عدده، بعدوّ مثل الخاقان فى قوته وشوكته وكثرة عدده
وعُدده . فلما بلغتهم كتبه قامت فيهم مواسم الفرح والطرب ، وخرجوا الى الصحراء بالنساء والرجال
والصغار والكبار ، ورفعوا أصواتهم بالدعاء لبهرام والثناء عليه . ثم اشتغلوا بالشرب واللهو حتى صار
لا يقدر على قضيب من الخلاف بدينار، ولا على طاقة نرجس بدرهم . فعمّ الأمن والأمان وطابت القلوب
حتى عادت المشايخ كالشبان . ثم إنه ولّى[2] أخاه نرسى بلاد خراسان ، وعقد له عليها فسار اليها بعد
أسبوعين . ثم قال لموبذ الموبذان : قد طال عندنا مقام رسول صاحب الروم، وسأله عنه وعن حاله
ومرتبته فى العلم والعقل . فقال الموبذ : إنه رجل طاعن فى السنّ ذو رأى وحياء ومنطق حسن
وصوت لين . وكيف يكون من أستاذه أفلاطون الحكيم؟(ب) فقال بهرام : إن قيصر ملك كبير
أصيل ينتمى الى سلم الذى توّجه أفريذون . وما أساء الأدب كما فعل الخاقان . فينبغى أن نحضره
غدا ، ونحسن اليه ونردّه الى صاحبه على جملة التوقير والاحترام . ثم لما طلعت الشمس من اليوم
الثانى استحضر الرسول فدخل على الملك واضعا إحدى يديه على الأخرى فجلس عند التخت جاثيا على
ركبتيه . فأكرمه بهرام وسأله وقرّبه من مجلسه وأقعده على تخت الفيروزج . فقال له : قد طال
مقامك هاهنا، ولا شك أنك مللت هذه الديار ، وقد شغلنا عنك محاربة الخاقان . وقد ذكرناك
الآن، وعلمنا بتأخرك ، ونحن الآن مجيبون عن رسالتك وصارفون لك . فأثنى عليه الرسول ودعا له
وقال : لاخلا منك المكان والزمان ، ودام لك الملك والسلطان . وقال : وأنا وإن كنت رسول

(أ) فى الطبرى أنه علق جواهر التاج وسيفا مرصعا فى بيت نارشير، وأخدمه خاتون امرأة الخاقان . وفى الغرر : فأمر بتعليق التاج من بيت النار، وألزم خاتون سيدة نساء خاقان وجواريها خدمة بيت النار . وهذا يذكرنى — من غير تشبيه — بتيجان الملوك المعلقة فى مسجد النجف الأشرف .

(ب) هذا من أغلاط الفردوسى فى التاريخ أيضا .

(١) كلمة الثالث من طا ، طر . وفى كو : الثانى .

(٢) كلمة "ولى" من طا ، كو .

قيصر فانى خادم لعبيد الملك . وإنما أرسلنى قيصر لأبلغ الملك سلامه وأسأل علماء حضرته عن سبعة أشياء فأرجع بجوابها اليه (ا) (١) . فاستحضر الملك موبذ الموبذان وسائر الحكماء والعلماء فأدى الرسول رسالة قيصر ثم سأل الموبذ وقال : أخبرنى ما الداخل وما الخارج؟ وما العالى وما السافل؟ وما الشيء الذى ماله نهاية ؟ وما الجوهر الذى هو فى ذاته واحد وله أسماء متعددة ؟ وما الشيء السهل الذى يستصعبه الخلق؟ فقال الموبذ: الداخل هو الهواء، والخارج هو الفلك، والعالى هو الجنة، والسافل هو النار، والشيء الذى لانهاية له هو علم الله تعالى، والجوهر المتحد ذو الأسماء المتعددة هو العقل فانه يعبر عنه بالحلم والوفاء والنطق والسعادة وحفظ الأسرار والتؤدة والسكون وليس فى الوجود جوهر أنفس منه (٢) . فانه مثل الرأس وسائر المحاسن كالبدن . وهو الذى يتغلغل إلى ضمائر الأسرار التى لا تدركها الأبصار . والسهل المستصعب هو علم النجوم . فإن صاحبه يعلم أسرار الفلك ، ويسهل عليه معرفة طول الفلك وعرضه ومسافة ما بين السماء والأرض . فهذا جواب ما سألت عندى ، والله أعلم بما وراء ذلك . فقبل الرسول عند ذلك الأرض بين يدى الملك وقال : لا تطلب فوق ما أعطيت من الجلالة والسيادة . وكما أنك ملك الملوك والسلاطين فوز يرك ملك العلماء والحكماء فى جميع الأقاليم . فهو السيد وجميع الفلاسفة كالعبيد له . فسر الملك واستبشر . ثم أمر للرسول بعشر بدر وثياب وخيل وأحسن اليه وبالغ فى إكرامه . فقام الرسول وعاد إلى منزله . ولما كان اليوم الثانى حضر مجلس بهرام وحضر الموبذ وأخذوا (٣) بأطراف الحديث . فقال الموبذ : أخبرنى أيها الحكيم ! عن أضر شيء تُمرى عليه الجفون ، وعن أنفع شيء تَقربه العيون . فقال الرسول : أما الأول فهو العلم، وأما الثانى فهو الجهل . فقال الموبذ : أنعمنَ الفكرَ فيه وأَجب بالصواب، ولا تظنن أن السمك يصاد على التراب . فقال الرسول : هذا هو الذى عندى من الجواب . فان كان عندك غيره فهات . فقال : اعلم أن كل من هو أقل أذى فوته أكثر ضيرا ، ومن هو أكثر شرا فوته أوفر خيرا . فهذا يضر وذاك ينفع . والعقل يفرق بين الحالتين ويجمع . فارتضى الرسول ذلك ودعا للملك وأثنى عليه وعلى الوزير بمحضر منه، وقام وعاد إلى منزله . ولما أصبح الملك من اليوم الثالث قعد فى مكانه وأمر بإحضار الرسول فخلع عليه وأعطاه جملة من النفائس والرغائب، وأذن له فى الإنصراف .

ثم نظر فى أمر العسكر فأمر الوزير ففرق الممالك على الإصبهبذية (٤) ، وعين لكل إقليم بهلوانا، ولكل مدينة واليا، بعد أن فرق عليهم خزائن الأموال والأسلحة وأمرهم بالعدل والإنصاف ونفى أهل

(ا) هذه السفارة هى ما حفظته الأساطير من حرب بهرام والروم والصلح من بعد . كما تقدّم فى مقدّمة هذا الفصل .

(١) فى حاشية الأصل هنا : سؤال رسول قيصر عن سبعة أشياء . (٢) كلمة (منه) من طا، طر . وفى كو : أنفس من العقل . (٣) طا، كو، طر : فأخذوا . (٤) طا، كو، طر : الاصبهبذين .

الجور والإعتساف . وقال : إنا متقلدون لأمور الرعيــة، ومن الملوك ينشأ الزيغ والفساد والعــدل والسداد . و إن كان أبونا من قبــل بسط فيكم يد الظلم، وعدل عن طريق العــلم وعبودية الحــق فلا تعجبوا من ذلك، وانظروا ماذا صنع جمّ وكاوُس من قبله .وما أزاغه إلا الشيطان كما أزاغهما. فعلينا الآن أن ندعو ونستغفرله . وأنا منذ قعدت فى مكانه من الملك أسأل الله تعالى أن يقوينى على مداراة الرعية ومعاملتهم بالحسنى والمعدلة حتى إذا وارانى التراب، وأضمرتنى الصفائح لم يتشبث بذيلى مظلوم، ولم يشمت بى متظلم مهموم . وأما أنتم فعليكم أن تدّرعوا بملابس السداد، وأن تطهروا قلوبكم عن الفساد . ثم قال : وتعالوا حتى نجهد فى الحسنى والطهارة، ولا نقترف فى هــذه الدنيا الغدارة ما يورث النــدامة و يعقب الخسارة . ثم إنى أقسم أوّلا بالواهب الخلاق، وثانيا بالتــاج والتخت ومكارم الأخلاق أنه إن ظلم أحد من عمالى أحدا من رعيتى، ولو فى كف من تراب، أحرقته(١) بالنــار أو صلبته عرضة للأبصار وعبرة للنظار، وأنه إن سرق فى الليل مسح من فقير عوّضته ثوبا من حرير، ولو ذهبت شاة من قطيع عوّضت صاحبها فرسا بلا من ولا أذى . وأطنب فى تذكيرهم ونصحهم حتى قال: ولا تذبحوا ذكور الثيران (أ) التى تصلح للحراثة ولا إناثها ذوات الألبــان الغزيرة . ولا تشاوروا غير أهل العلم، ولا تكسروا قلوب الأيتام . وتباعدوا عن وساوس الشيطان، وتجنبوا اللهو والمرح(٢) عند محاربة العدوّ . ومن كان منكم مرتديا بفضفاض الشباب فليسحب ذلاذل الأطراب، ولا يمدّن ذو المشيب يدا الى الخنــا والقبيح . فقبيح بمن جلله الشيب منادمة الشباب على الشراب . ثم إنى برىء من التخت والتاج إن طالبت أحدا من الرعية بالخراج . وإن يكن أبى أوسعكم جورا(٣) وظلما فهأنا موســعكم إحسانا وعدلا . فطيبوا قلوبكم عليــه فلعل الله يهب له ذنوبه ويخرجه من ناره الى جنته . قال : فأثنى عند ذلك عليه السامعون، ودعا له الأمراء الحاضرون، وسألوا الله ثبات ملكه ودوام دولته . (١٦٦)

ثم قام الوزير وقال : أيها الملك ! إن العالم قد خلا ممن ينازع فى الملك، وقد دخل الملوك تحت الطاعة سوى شنكلُ ملك الهند فإنه يعيث فى بلاد الهند الى حدود الصين . واذا كنت ملك الأرض فلأى معنى يطلب هو خراج الصيــن ؟ فلينظر الملك فى هــذا الأمر وليلتمس وجه التدبير فيه . فسكت ثم قال للوزير : إنى سأدبر هذا الأمر فى السر، وأكفى ما يهم منه إن شاء الله تعالى .

(أ) فى الشاه : ولا تريقوا دم البقر العاملة . الخ .

(١) كو : لأحرقته بالنــار ولأصلبته وهو أصح لغة .

(٢) كو : المزح .

(٣) صل : جورا أو ظلما . والتصحيح من طا .

ذكر قصة شنكل ملك الهند مع بهرام جور وما انتهى اليه أمرهما

قال صاحب الكتاب : ثم إن بهرام استحضر الكاتب والوزير وخلا بهما، وكتب الى شنكل (١) كتابا مشحونا بالعلوم والحكم . فافتتح الكتاب بحمد الله والثناء عليه وقال : الحمد لله الذى هو رب ما كان ولم يكن، الموصوف بالأحدية فى القدم، الذى خلق من كل شىء زوجين، الذى أجل(١) مواهبه للخلق وأجلاها وأظهرها عليهم وأبهاها العقل المنوه بذكر من اتصف به من الصغار والكبار فى جميع الجهات والأقطار، وأوّل أماراته الدالة عليه أن يكون المتصف به عن التورط فى مصارع الشر متحرزا، و بين ماله وعليه بنظره مميزا . وهو تاج على رءوس الملوك، وكالزينة(٢) على معاطف السلاطين . ثم إنك ياملك(٣) الهند! غير عارف بقدرك، متجاوز لطورك . واذا كنت أنا سلطان الزمان والمتولى للخير والشر فى جميع البلدان فتصديك لادعاء(٤) الملك يعرضك للبوار والهلك . وقد كان أبوك وجدك خادمين مستعبدين لنا ، ولم يكن أحد من أسلافنا يرضى بإبطاء خراج الهند وتأخره عن وقته المعين . وأراك قد اغتررت بشدة ظهرك فصرت تبارى البحر الزاخر بنهرك . فاعتبر بيوم الخاقان وما حل منا به . وما أراك إلا صاليا بجمره . والآن فقد نفذت اليك رسولا ذا أدب وعقل وكلام فصل . فوطن نفسك على أداء الخراج ، ولا تعص أطراف الزجاج . أو تشمر للكفاح و إشراع الأسنة والرماح . والسلام . فطوى الكاتب الكتاب(٥)، وكتب على عنوانه : من بهرام ملك العالم الى شنكل قائد جيوش الهند من أرض قنوج الى حد السند . وختمه وتجهز للصيد مظهرا أنه خارج الى بعض متصيداته كاتما سره إلا عن جماعة من ثقاته . وتوجه نحو الهند، وسار قاصدا قصد(٦) تلك البلاد الى أن وصل الى البحر فعبره ووصل الى باب شنكل فأعجبه ما رأى على بابه من الروعة والمهابة والفيلة والأسلحة. فأخبر صاحب(٧) الباب أنه رسول الملك بهرام الى تلك الحضرة . فأنهى حاله الى شنكل فرفعت الحجب دونه فى الحال . فدخل فرأى دارا عتبتها من البلور، وحيطانها من الذهب والفضة، مرصعة بالجواهر . ورأى دون التخت أخا الملك على رأسه قلنسوة مرصعة بالجوهر، وعنده الوزير، وعلى رأسهما المماليك والخدم . ثم رأى شنكل قاعدا على تخت من الذهب قوائمه من البلور . فدنا وقبل الأرض ومثل قائما زمانا طويلا . ثم قال بلسان ذلق فى مضمار البيان منطلق : إنى رسول ملك العالم بهرام الى ملك الهند . ومعى منه اليه كتاب محرر على الحرير بالخط الفهلوى . فلما سمع باسم بهرام

(١) اسمه فى الطبرى : شبرمة . وفى الغرر : شنكلت .

(١) كو : ومن أجل . (٢) كو : وزينة . (٣) كو : ياصاحب الهند . (٤) صل : لأعداء، والتصحيح من طا، كو، طر . (٥) طر : وختمه . (٦) طا، طر : قاصدا نحو . (٧) طا ، كو ، طر : حاجب الباب .

أمر فنصبوا له كرسيا من الذهب وأجلسوه عليه وأمر حاجب بابه بإدخال أصحابه . قال : فلما استوى على الكرسى شرع فى وصف بهرام وتفخيم شأنه وتعظيم أمره . فطلب شنكل منه كتابه فأعطاه إياه . فلما قرئ عليه تمر واستشاط وقال : أيها الرجل الفصيح ! إن صاحبك يدل علينا بملكه فيسومنا أداء الخراج اليه . ومن يستطيع أن يطالب الخراج من الهند؟ إن الملوك كاللقالق وأنا بينهم كالعقاب . وهم كالتراب وأنا البحر ذو العباب . إن لى تحت الأرض من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء بالفيلة، ولى من الجنود ما لا يستقل بهم ظهر الأرض حتى إنهم يزيدون على ألف ألف . ومعى بحار اللآلئ وجبال الجواهر . وحوالىّ وفى خدمتى سبعون ملكا هم أرباب المناطق وأصحاب الأطواق . وإن الأكابر من حدّ قنّوج الى حدّ إيران الى أرض الصين وسقلاب كلهم عبدة بابى، وأسراء أمرى ونهيى . ووراء ستورى ابنة بغبور ملك الصين، ولى منها ولد يشق قلب الأسد فى العرين . ولو قتل أحد من الملوك أحدا من الرسل لأبنت الساعة رأسك من جسدك، ونقعت غلة الأرض من دمك . فقال الرسول : أيها الملك! خفض غليك . إن سلطانى أمرنى أن أقول لك : إن كنت عاقلا فلا تعدل عن طريق السداد، واختر مائة فارس من آساد فرسانك وأعيان قوادك . فان استطاعوا مقاومة فارس واحد من رجالى فمالى معك كلام ولا بينى و بينك خصام . و إن كان غير ذلك فلا تلو رأسك عن الطاعة، والتزم الخراج لمن هو أعلى منك جلالة ونباهة . فقال له شنكُل : انزل واسترح ساعة . فأنزلوه فى إيوان يليق بمثله . فلما انتصف النهار وجلس شنكل للطعام استحضر الرسول فجاء وجلس مجلس الرسل من السماط . فلما طعموا جلسوا مجلس الشراب . فلما دارت الكؤوس وطابت النفوس أمر شنكل مصارعين قويين أن يتصارعا بين يديه . فأخذا يتصارعان لا يغلب أحدهما الآخر . فلما رأى ذلك بهرام وقد دار فى رأسه السكر قام وخدم واستأذن الملك فى مصارعتهما . فضحك وأذن له فوثب وتجرّد وشدّ عليه الأزرار(١) فأنشب براثنه فى أحد المتصارعين ورفعه فى الهواء ثم ضرب به الأرض حتى تكسر فقار ظهره . فتعجب شنكل من ذلك وسمى الله تعالى بلسانه . ثم دخل الليل وانصرفوا(٢) . ولما كان الغد ركب الى الميدان فحضر(٣) الرسول وأخذوا فى المراماة فتناول بهرام قوسه ورمى البرجاس فرماه برمية واحدة الى الأرض . قال : فلما رأى شنكل تلك القوّة والبسالة والشدّة استراب به فقال له : ما أراك (١٦٣)
إلا أخا بهرام . فان معك روعة الملوك وقوّة الأسود . فقال : ياملك الهند ! إنى رجل أجنبى، من أرض ايران فكيف يحل لك أن تنسبنى الى من لا يجمع بينى و بينه نسب؟ فأذن لى فى الانصراف حتى لا أتعرّض لسخط الملك بهرام . فقال له شنكل : لا تعجل فإن لنا بعد معك كلاما . ثم إنه

---

(١) طا، كو : الإزار . (٢) طا، طر : وانصرفوا الى أماكنهم . كو : الى منازلهم .
(٣) كو : وأحضر الرسول . -

خلا بوزيره وقال له : إن لم يكن هـذا الرجل من أقارب بهرام وليس إلا فارسا من فرسانه فاحتـل عليه واخدعه عن معاودة تلك البلاد، وعده منا بكل جميل فلعلك تصرفه عن الانصراف . فانا نجعله سالار جنودنا وبهلوان جيوشنا فنبلغ به كل مأمول ، وندرك به كل مطلوب . فاجتمع به الوزير وفاوضه فيما أشار به عليه الملك، وأخذ يفتل منه فى الذروة والغارب، و يعارض عقله بالنفث فى عقد سحره . فقال له بهرام : إنه عز المرام . ومعاذ الله أن أصرف وجهى عن ملك ايران طامعا فى مال أو طامحا الى منال ، وان كان حالى بسبب (١) الفقر بحال . وغير هذا هو السائغ فى ديننا والموافق لرسمنا وآييننا . فإن كل من يزوى وجهه عن خدمة مالكه فهو عادل عن مناهج دينه ومسالكه . وأيضا فإنه لا يخفى عليك أن بهرام إن بلغـه (٢) ذلك عنى اغتاظ وقصد هـذه الممالك فخربها ولم يبـق منها أثرا . فالأولى بى و بكم أن أنصرف اليـه . فبلّغ هـذا الجواب الى شنكل وحصّل لى إذنا فى الانصراف . فانصرف الدستور، وسرد جواب بهرام على صاحبه . فعظم ذلك عليه وقال : سأدبر (٣) أمرا يعقل ظل هذا الرجل الشجاع (أ) ويخنى عليه . قال : وكان فى بعض غياض قنوج كركدن عظيم كاد يسدّ بطوله وعظمه على الرياح طريق الهبوب، هائل يفتر منه الأسد فى الخيس، و يخشاه النسر الطائر فى الجو . وكانت (٤) الهنود من هـذا الحيوان فى تعب وعناء عظيم . فقال لبهرام : إنى أريد أن تكفى أهل هذه البلاد شر هـذا الحيوان . واذا فعلت ذلك فقد أسديت الينا يدا لا تنسى أبدا . فقال بهرام : دلونى عليـه فانى اذا رأيتـه كفيتكم شره بحول الله وقوته . فعين له شنكل من يدله على الكركدن . فركب بهرام فيمن كان معه من أصحابه ، وتقدّمهم حتى انتهوا الى تلك الغيضة . فلما رأى الايرانيون ذلك الحيوان العظيم أشاروا على بهرام بألا يعرّض نفسه للهلاك، وينصرف عنه و يتمسك عند شنكل ببعض المعاذير . فلم يقبل ووتر قوسه و بادر اليـه ورشقه بالسهام حتى أضعفه واستل (٥) خنجره وقطع رأسـه مستعينا بالله وحده . وأمر بأن يحمل رأسه على العجل الى ميدان شنكل . فانصرف وقد طنت أرجاء المدينة بما تيسر على يد بهرام من قتل ذلك الشيطان الصائل والثعبان الهائل . فدخل على شنكل فأثنى عليـه الملوك والأمراء ، وشنكل مسرور من وجه مهموم من آخر . فخلا بأصحابه وقال : قد أخذتنى الفكرة بسبب هذا الرسول . فإنه اذا عاد الى بلاد ايران لم نسلم من عاديته ومعرته . ولو أقام عندنا لاتخذناه لنا ظهيرا ونصيرا ، وجعلناه بهلوانا كبيرا . وقد أفكرت البارحة فى أمره فرأيت أن آمره بقتل الثعبان الفلانى — وكان فى تلك الناحية ثعبان كان يأوى تارة الى البحر وآونة الى البر، أعظم ما يكون من

(أ) فى الشاه : أدبر أمرا ينهى أيام هذا البطل .

(١) كو : من مضض الفقر . (٢) طا، طر : اذا . (٣) طا، كو : وقال انى سأدبر .

(٤) طا، كو، طر : وقد كانت . (٥) طا، طر : فاستل .

الثعابين . وبلغ من ضراوته أنه كان يلتهم الزندبيل(١) — قال : واذا تصدّى لمقاتلة هذا الثعبان أهلكه لا محالة ، وبلغت الغرض فيه من غير أن أذم بقتل رسول عند الملوك . ثم استحضر بهرام وقال معه فى حديث الرجولية والشجاعة والبسالة . ثم قال : إن الله تعالى إنما جاء بك الى هـذه الديار لتخلص أهلها من الشر . وقد بقى أمر آخر أعظم من الأوّل . واذا كفيتنا ذلك فلك أن تثنى عنانك ، وترجع إلى بلادك مشكورا عالى الاسم . فقـال : إنى ممتثل لأمرك غير خارج عن حكمك . فذكر له حال ذلك الثعبان وما يعانيـه الناس من أذيته . وسأله أن يقصده فيكفيهم شره ، وينفى عن أرض(٢) الهند معرته وضره . فتقبل ذلك وسأل أن ينفذ معـه من يدله على مكانه . فركب فى فرسانه الثلاثين الذين صحبوه من إيران ، والدليل يقـدمهم حتى انتهوا الى الساحل . فرأى ذلك الثعبان وعظمه، وشاهد تغيظه وتمره، ورأى حدقتيه تستعران استعار الجحيم . فضج الايرانيون عند ذلك وقالوا : أيها الملك ! لا تلق بيـدك إلى التهلكه ، وأبق على الملك والمملكة . فلم يقبل وتشمر كأسد أصبح للبديه نافضا(أ)، وقال الله خير حافظا . ووتر قوسه، وانتخب عدّة سهام مسقية النصال باللبن والسم ، وأقبل على الثعبان فرشقه بتلك السهام حتى خاط ما بين فكيه . ثم رمى رأسـه بأربعة أسهم أخر فغرّقها فيه الى أفواقها . فأفرغ الثعبان بحرا من الدم والسم على ساحل ذلك الخضم . ولمـا رآه قد أثخنه بالجراح استل السيف وبادره وضربه حتى أبان رأسـه . فأمر فحمل على العجل الى ميـدان الملك فانتشرت البشائر والتهانى فى الهنود لمقتله ، وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء والثناء للرسول(٣) ومرسله . وشنكل يتهلل تارة مظهرا للسرور، ويستهل آونة مضمرا للهموم . فاستشار وزيره وأصحاب رأيه فى اغتياله حتى يسلم من شره وضره فلم يستصوبوا رأيه ، ومنعوه من ذلك ، وأشاروا عليـه بأن يزيد فى الإحسان اليه والإفضال عليه مجازاة له على حسن صنيعه وجميل فعله . فبات تلك الليلة ساهرا يفكر فى أمره . فلما أصبح وحضره برزويه أى بهرام(٤)، وكان قد تسمى عندهم بهذا الاسم، خلا به فى مجلس لم يحضره وزير ولا دستور، وأخذ يلاطفه ويخادعه ويسأله أن يقيم عنده على أنه يخيره بين بناته ويزوّجه منهن من أراد(٥) ويملكه البـلاد ، فلم يزل به حتى أجاب ، وقال فى نفسه : لا عار فى مصاهرة ملك الهند . ولعلى أنجو بهذه الحبالة من هـذه البلاد وأعاود بلاد الفرس سالمـا . فقد وقعت معه وقوع الأسد الأغلب بحيلة الثعلب(ب). قال : فزين شنكل بناته الثلاث وأمر فأقعدت

(أ) يظهر أن المترجم أراد أن يسجع بين نافضا (مع لفظ الضاد كالظاء) وحافظا . فصاغ العبارة هذه الصيغة الركيكة .

(ب) فى فارس نامه : أن بهرام قصد بلاد الهند غازيا فصالحه ملك الهند وزوّجه ابنته الخ .

(١) كو : الفيل العظيم . (٢) أهل الهند . (٣) كو : بالثناء والدعاء للرسول .

(٤) فى حاشية الأصل هنا : ذكر تغيير اسمه . (٥) فى حاشية الأصل هنا : عرض ملك الهند بناته لبهرام .

كل واحدة منهن فى زينتها وحَليها وحُللها فى إيوان . فدخل بهرام عليهن واختار منهن واحدة كالروضة الناضرة تسمى سبينوذ . فزوّجه شنكُل إياها بعد أن أعطاها كنزا وافر الوفر مملوءا بالمال الدثر .
(١٦٤) ثم أحضر أصحاب بهرام (الذين كانوا فى خدمته من ايران، وفرق عليهم أموالا كثيرة وجواهر نفيسة)[1] ثم أمر فزين إيوانه المرصع بالجواهر، ودعا أكابر قنّوج وعمل دعوة عظيمة، وأقام أسبوعا على جملة السرور والمراح ، وتمازج بهرام وصاحبته تمازج صفو الماء والراح ، وتغلغل حب كل منهما فى قلب صاحبه لا سيما ابنة الملك فانها اتخذت وجه بهرام مرآة تطالعها سرا وجهارا ، وتبكى من فرط شغفها[2] ليلا ونهارا .

قال : فاتفق أنهما اجتمعا ذات يوم فى بعض مجالسهما فتجاذبا أطراف الحديث فقال لها بهرام : إنى أعلم أنك لى محبة ناصحة . و إنى مفض اليك بسر فكونى له كاتمة ؛ إنى عازم على مفارقة بلاد الهند، وأريد أن توافقينى على ذلك لأحملك الى تلك الممالك . فان أمرى هنالك أعلى وأرفع، وملكى ثَم أفسح وأوسع . وستصيرين سيدة النساء حتى يصير أبوك من خدمك ، و يقبل مواطئ قدمك . فقالت له : أيها السيد الهمام ! امض لما رأيت فانى لا أخالفك . وخير النساء من كان زوجها عنها راضيا، وحكمه فيها ماضيا . وأنا برية من حبك إن خرجت عن أمرك . فأشار عليها بهرام عند ذلك بالاحتيال فى الفرار . فقالت : سأدبر ذلك إن ساعدتنى السعادة . اعلم أنه جرت العادة بخروج الهنود الى متعبد لهم لزيارة أصنام فيه . وهو على عشرين فرسخا من هذه المدينة . فاذا صار الملك الى ذلك المتعبد فانتهز الفرصة إن عزمت . وقد بقى الى خروج الملك اليه خمسة أيام . قال : ففرح بهرام بذلك . ولما أصبح من غده ركب على عزم الصيد فجاء الى الساحل فرأى جماعة من تجار فارس فخلفهم وأفضى اليهم بسره، وواطاهم على أن يخرج و يركب بأصحابه سفنهم ومراكبهم[3]، ووعدهم ومناهم . ثم عاد الى إيوانه مستعيذا بالله تعالى[4] منه . فلما دنا عيد الهنود واستعد الملك للخروج تمارض بهرام فصارت زوجته الى أبيها وقالت : إنه مريض وهو يعتذر اليك عن تأخره عن خدمتك . فقبل عذره وقال : اذا كان به عارض فالأولى أن يلازم بيته ولا يتعب نفسه . وركب شنكُل خارجا الى ذلك الهيكل . فلما جن الليل قال بهرام لصاحبته : هذا أوان النجاء فاعزمى . فركب فى أصحابه وركبت هى معه . وتوجهوا نحو الساحل طردا حتى اذا صاروا اليه صادفوا التجار نياما فأيقظوهم ثم وثبوا الى السفن والزواريق فركبوا وتم لهم العبور الى ذلك الجانب . قال : فانتهى الخبر

---

(١) ما بين القوسين من طا، كو، طر . (٢) طا، كو : شغفها به . (٣) طا : ومراكبهم و يعبرو وعدهم .
(٤) طا، طر : تعالى ومستعيذا منه .

بذلك إلى شنكُل فانصرف فى سرعة الريح وركب آثار القـوم حتى انتهى الى الساحل فركب بمن صحبـه البحر، وعبر الى[(١)] البر فصادف بهرام مع ابنته فى أصحابه فصاح عليهـا من بعيد وشتمها وعيرها بانخداعها لزوجها . فقال بهرام : مالك تركض خلفى وقد جربتنى ؟ أما تعلم أن مائة ألف من الهنود عندى أقل من فارس فرد ؟ فأنى[(٢)] إذا كنت فى ثلاثين فارسا من آساد فارس يكون[(٣)] جميع الهنود لنا فرائس . فعلم شنكل أنه لا يطيق مقاومته فدخل معه من باب آخر، وجعل يعاتبه و يعيره ويقول : إنى آثرتك بولدى وقرة عينى على جميع الأجانب والأقارب، وجعلتك مثـل سمعى وبصرى فعاملتنى بالجفاء ولم أعاملك إلا بالوفاء . ولكن ماذا أقول لك وهذه التى هى ولدى ، وكنت أحسبها عاقلتى قد خرجت علىّ فارسا شجاعا حتى كأنها قد صارت شهريارا مطاعا ؟ غير أن الفارسى لا يقول بالوفاء . فقال بهرام : مالك تعيرنى وهل عارٌ فى أن يراجع الإنسان وطنه، و يعاود أهله وسكنه؟ ثم قال: ألا إنى شاهَنشاه إيران . ولست ترى منى بعد هذا إلا الجميل والاحسان . ولأتخذنك والدا ، ولا أكلفك خراجا أبدا . وأصير ابنتك سيدة النساء فى تلك الأقطار والمخصوصة فيهـا بالشرف والفخار . فقضى شنكل العجب من تلك الحال، و رمى عن رأسه[(٤)] الشارة الهندية،وخرج من بين أصحابه وركض إلى بهرام فنزل[(٥)] واعتنقه واعتذر إليه . فأفضى بهرام اليه بسره وأخبره بما قد جرى ذكره فى مجلسه ، وأنه السبب الذى حمله على مشاهدة أمره بنفسه . ثم إنه أمر باحضار الشراب،واجتمعا معا على الشرب ثم تعـاهدا على المصـادقة والمصافاة والمظاهرة والموالاة . ثم ودع كل واحد منهما صاحبه وأخذ فى طريقه . ثم إنه انتهى الخبر إلى ايران بإقبال بهرام فنثروا على المبشرين النثارات وعقدوا القباب والآذنيات بجمع يزدجرد بن بهرام العسكر، وخرج مع عمه نرسى وموبذ الموبذان فاستقبلوه . فعاد بهرام الى إيوانه ومستقر عزه وسلطانه، وأقام ينهى ويأمر و يعطى و يمنع .

ثم إن شنكل قدم عليه بعد مدّة من الزمان لزيارة ابنته فى ملوك الهنـد وهيآتهم الرائعة[(٦)] فاستقبله بهرام وتلقاه الى النهروان، ودخل به الى إيوانه على جملة الإعظام والإكرام . فمدّوا سماطا ممتـدا الى غلوة سهم . فلما طعموا[(٧)] تحوّلوا الى مجلس الشراب فتعجب شنكل من حسن مجلسه ورونق ملكه وبهائه . ثم إنه استأذن فى الدخول على ابنته فتقدّمه الخدم فدخل عليهـا فصادفها فى إيوانها قاعدة على تخت العاج معتصبة بالتاج فسر بهـا وبسعادتها بزوجها[(٨)] . ثم عاد الى مجلس بهـرام واندفع معه

(١) طا، كو، طر : الى ذلك البر . (٢) طا، طر : و إنى . كو : فارجع ووامك فانى .

(٣) كو : بجميع الهنود . (٤) طا، طر : عن نفسه . (٥) طا، كو : فنزل اليه .

(٦) طا، طر : الرائعة الرائقة كو : فيولم الرائعة وهيآتهم الرائقة . (٧) صل : تطعموا . والتصحيح من طا .

(٨) طا، كو، طر : فى زوجها .

فى الشرب . ولما ثمل قام الى موضع هيئ له لنومه . ولما أصبح ركب بهرام معه وخرج به الى الصيد . ثم لما عاد دخل على ابنته وكتب لبهرام عهدا على ممالك الهند ، وفوّض اليه فيه ملكها من بعده ، وجعله وارث كنوزها وقائد جنودها [1] (أ) . ثم أقام فى ضيافة بهرام شهرين فعزم على معاودة بلاده . فقدّم اليه بهرام من الذهب والفضة والجوهر وسائر النفائس والذخائر والخيل والأسلحة ما خرج عن حدّ الحصر . وأكرم كل من صحبه من الملوك على تفاوت طبقاتهم واختلاف مراتبهم بأنواع من المبارّ والصلات . فارتحل شنكل ، وشيعه بهرام ثلاث مراحل ثم ودعه وانصرف بعد أن أمر بإعداد العلوفات والنفقات لجنوده ولمن معه فى سائر طريقه الى حدّ الهند .

قال صاحب الكتاب : ثم إن بهرام أخذته الفكرة فى عاقبة أمره وانتهاء عمره . وكان قد أخبره المنجمون أنه يملك ثلاث عشرينات من السنين ، وفى عشر السبعين يكون انتهاء أمره وانقراض
١٦٥ عمره . فقال حين أخبر بذلك : آخذ فى اللهو واللعب عشرين سنة ، وفى العشرين الثانى أشتغل بعمارة العالم وإسداء النعم والإحسان الى الرعية . وفى العشرين الثالثة أقوم بين يدى ربى واشتغل بعبادته وأسأله هدايتى . فأمر عند انتهائه الى هذا المنتهى أن يحصى الموجود فى خزائنه من الأموال والجواهر والثياب وسائر الأمتعة والأقمشة . فاشتغل كتّاب الخزائن وحفظتها والقوام بها بوزنها وإحصائها يفرغون وسعهم وطاقتهم حتى فرغوا من ذلك فى مدة مديدة . فأعلموا الوزير فحضر عند الملك وقال : إن خزائنك تحتوى على نفقتك ونفقة عساكرك وجنودك وحاشيتك وخدمك وسائر ما يحتاج اليه من الصلات والخلع وسائر ما تهديه الى الملوك من الهدايا والتحف وغير ذلك مدة ثلاث وعشرين سنة . فقال بهرام : إنا قد نظرنا فوجدنا الدنيا لا تعدو أياما ثلاثة وهى اليوم وأمسه وغده . فأمس قد مضى ، والغد لم يأت بعد ، وليس فى اليد سوى اليوم . فينبغى أن ننتهز الفرصة فيه . والأولى بنا أن نخفف عن الرعية . فأسقط خراج الدنيا وأمر بألا يطالب فى جميع ممالكه أحد بكلفة ولا مؤونة ففرق الموابذة والثقات فى جميع أقطارها ، وأمرهم ألا يخلوا أحدا يمس أحدا بسوء ، وأنهم إن حدث حادث أنهوه إليه . قال : فمضت على ذلك مدّة وارتفعت الكلف من الناس فاستغنوا فطغوا فأخذوا فى سفك الدماء . فأعلموا الملك بذلك فأمر حينئذ بوضع ديوان الخراج ستة أشهر فى كل سنة وبأن تقام حدود الله تعالى على من سفك دما أو جنى جناية وخرج [2] فى كل إقليم ثقة من ثقاته . فمضت على ذلك مدّة أخرى من الزمان . ثم إنه كتب إلى أصحاب أخباره وثقاته على بلاده ورعيته وقال : أخبرونى هل يجرى فى الممالك شىء يضر بالملك؟ فكتبوا إليه وقالوا : أيها الملك !

(أ) فى الطبرى والغرر وفارس نامه : أنه أعطاه الديبل ومكران وما يليها من أرض السند .

(١) طا ، طر : وقائد جيوشها . (٢) طا ، طر : وجود لذلك . كو : وندب لذلك .

قد بطل الحرث والزرع ، وفسدت الأراضى بسبب ذلك . فكتب[(١)] إلى كل واحد منهم كتابا يأمره فيه بإلزام الرعية الحرث والزرع ، ومن لم يكن له بالحراثة والزراعة يدان فليعاون من حاصل الديوان وأموال السلطان حتى تنتظم أحوالهم وتصلح أمورهم ، وإن أصاب أرضا جائحة سماوية فليعوض أربابها ما كان يرجى منها حصوله لهم ، من حاصل الخزانة . فانتظمت أمور الممالك ، واتسقت ودرّت أخلاف الخيرات وتحفلت . ومضت على ذلك مدّة أخرى من الزمان . ثم كتب إليهم الملك وقال : أخبرونى عن أحوال الرعيــة حتى إذا وقفنا على خلل فى أمورهم تلافيناه وتداركناه . فكتبوا وقالوا : قد انتظمت أمور العالم ، واستوسقت أحوال الرعيــة ، وعمت العمارة جميع البلاد ، وشمل الأمن والراحة جميع العباد سوى أن أهل الثروة إذا حضروا مجالس الأنس والطرب يلبسون أكاليل الورد والريحان ، ويشربون على أصوات القيان وأغاريد المسمعات الحسان . ومن عداهم من المقلين يشربون بلا غناء ، وهم من ذلك فى تعب وعناء . فضحك بهرام من ذلك فكتب إلى شنكُل ملك الهند رسالة أن ينتخب[(٢)] من الهنود ألفى نفس من الذكور والإناث ، من المخصوصين بحسن الصوت وجودة الصنعة فى الغناء ، وينفذهم إليه . فامتثل شنكل أمره ونفذهم[(٣)] إليه . فلما حصلوا عند بهرام أمر بأن يعطى كل واحد منهم بقرة وحمارا ، وفرّق عليهم ألف حمل من القمح برسم البذر ، وفرّقهم فى القرى والضياع ليزرعوا ويحرثوا ويغنّوا فقراءها بغير أجرة ولا كلفة ، فلما حصل البذر فى أيديهم أكلوه ، وذبحوا البقر ، وحملوا رحالهم على الحُمُر وتفرّقوا فى البــلاد ، واشتغلوا بالتلصص والانتهــاب والتخطف ، وتناسلوا . وهم إلى الآن موجودون فى أقطار الأرض ذات الطول والعرض . وهم جيل يسمون[(٤)] اللورية ، وهم الزط والعشرية (ا) ولهم انتشار فى كل صوب .

قال : ثم إن بهرام بقى على[(٥)] ذلك على تخت الملك وسرير السلطنــة ينهى ويأمر إلى أن مضت له ثلاث وستون سنة . فجاءه الخازن وأعلمه بخلو الخزائن وعدم وجود النفقات . فبات تلك الليلة متفكرا . ولمــا أصبح جلس على تخته وحضرته الملوك والأمراء والقوّاد فاستدعى ولده يزدجرد ، وعهد إليــه وأعطاه التاج والتخت ، واعتزل وعزم على التخلى للطاعة والعبادة . ولمــا أمسى من ليلته ونام فى فراشه قضى نحبه ومضى لسبيله ساترا وجهه بطرف لحافه ولم يعلم بموته أحد (ب) . فلما أصبحوا

(ا) هم الذين يسمون فى مصر الغجر . ويرى الأستاذ نلدكه أن جلب بهرام إياهم من الهند أمر تاريخى (ورنر ، ج٧ ص ٦) .

(ب) الذى فى أكثر الكتب أن بهرام كان يطارد يعفورا فصادف وحلا كثيرا وبئرا عميقة فوقع فيها . وجاءت أمه فأمرت بإخراج ما فى البئر فأخرجوا طينا كثيرا ولم يعثروا على بهرام .

(١) طا ، طر : فكتب الملك . (٢) طا ، طر : ينتخب له . (٣) كو : فامتثل شنكل أمره ولما حصلوا الخ .

(٤) كو : يسمون فى بلاد الفرس ، اللورية ، وفى بلاد العرب الزط والعشرية . (٥) طر : كذلك .

واستبطئوا قيامه جاءه ولده يزدجرد فألقى عنه حاشية لحافه فصادفه ميتا. وكذا كانت الأيام وكذا تكون. فلا يكن منك اليهـا سكون ولا ركون . إن الحجارة والحـديد ليفزعان من الموت ، و يتزعجان لهـذا الصوت . فعليك بالعدل والاحسان و إفاضة الأمن والأمان إن أردت السلامة من عذاب القيامة .

ذكر نوبة يزدجرد بن بهرام جور، وكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة

§ قال صاحب الكتاب : ثم جلس مجلس أبيه من تخت السلطنة وعقد التاج على رأسه وحضرته الأشراف والعلماء والأكابر فدعوا له وأثنوا عليه وهنّئوه بالملك فوعظهم ونصحهم ووعدهم من نفسه بما يعود بصلاحهم وصلاح بلادهم وملازمة طريق العدل، والاتصاف بسيرة الإنصاف فأقام على ذلك ضابطا لأمور الدنيـا وملازما للطريقة المثلى والعادة الحسنى حتى مضت من ملكه ثمانى عشرة سـنة فطلعت طلائع انصرام مدّته وأحس بقرب أجله فأحضر الأمراء والأعيان والأكابر والعلماء وقال : إنى قد عهدت إلى ولدى هُرمز فامتثلوا أمره ولا تنقضوا عهده. و إن ولدى فيروز و إن كان أكبر منـه سنا وأشدّ منه بأسا وأوفر منه روعة وأبهة فقد آثرت هرمز عليه وخصصته دونه بالملك لكونه موصوفا بالرفق والسكون والثبات والعقل. فهو بسبب ذلك أحرى بالملك وأجدر وأرفق لكم وأوفق. ثم عاش أسبوعا آخر ومات وكأن لم يغن بالأمس . ولا بد للحى من حلول الرمس . سواء أمات بعد المـائة أو العشر أو الخمس . وكل ما يدخل تحت العدّ والإحصاء فالأولى ألا يطلق عليه اسم البقاء. ١٦٦

§ ملك (٤٣٨ — ٤٥٧ م) وكان يلقب " نرم " أى اللين، و يلقب "سپاه دوست" أى محب الجيش[(١)] . وكان عهده مليئا بالخطوب العظام؛ بدأ عهـده بمحاربة الروم و إكراههم على صلح يؤدّون فيه جزية، ثم ثنى بمحاربة الهون والهياطلة فكانت وقائع من سنة ٤٤٣ الى سنة ٤٥١ م .

وكانت فتن داخل المملكة؛ ففى أرمينية حرب بين النصارى وغيرهم انتهت بهزيمـة المحاربين من المسيحيين وجلائهم، وكانت فتن أخرى فى الجزيرة، وقد ذبح فى كركا (كركوك) آلاف من المسيحيين يحتفل بذكرى شهادتهم حتى اليوم فى كركوك[(٢)] .

ولكن نصيبه من القصص قليل . وليس له فى الشاهنامه إلا ستة وعشرون بيتا .

(١) انظر الطبرى، ومروج الذهب، والإشراف، وتاريخ حمزة، وفارس نامه، والآثار الباقية .

(٢) سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٥٣

ثم ملك هرمز بن يزدجرد بن بهرام جور، وكانت ولايته سنة واحدة

§ قال: فلما تسنم هرمز سرير السلطنة اغتاظ فيروز وغار، وأنجد فى الاحتيال عليه وغار. وكان كوكب سعادته قد غار . فقصد ملك الهياطلة والتجأ اليه، وكان ملكا كبيرا ذا قوة عظيمة وشوكة قوية. فسأله إعانته وإمداده بعسكره . فالتزم له ذلك بشرط أن يعطيه ترمذ وواشجرد فأجابه الى ذلك، وعاهده على الوفا بعد تمكنه من الملك . فأمده بثلاثين ألف مقاتل من الهياطلة . فأقبل فيروز من خراسان عازما على قتال أخيه فالتقوا على ظاهر الرى ، وكسر فيروزُ هرمزد، وأسره . ثم إنه لما وقعت عينه عليه، ورآه تحت ذل الأسر تحركت بنات قلبه فرق له ، وأمر بإركابه فدنا منه وصالحه وعانقه وردّه الى إيوانه على أن يكون فى خدمة أخيه متقيدا بتحرى رضاه وتوخيه، مذعنا لطاعته راضيا بسلطنته .

---

§ لما مات يزدجرد تملك ابنه هرمز وكان حاضرا موت أبيه وكان فيروز فى سجستان . فثار به أخوه فيروز وغلبه وولى الملك . وأكثر الكتب العربية والفارسية على أن فيروز لجأ الى ملك الهياطلة فأمده بجيش، وأن فيروز كان أحق بالملك اذ كان الأخ الأكبر . وكان ملك هرمز زهاء سنتين (٤٥٧ — ٤٥٩م) ويسقطه بعض الكتاب من سلسلة الساسانيين[1] .

وتختلف الروايات فيما فعله فيروز بأخيه حين ظفر به؛ يقول بعض الرواة أنه عفا عنه. وأكثرهم يروون أنه قتله .

وقد ملك فيروز غير منازع خمسة وعشرين عاما (٤٥٩ — ٤٨٤م) وكان يلقب "مردانه" أى الشجاع[2] .

وقصة هرمز فى الشاهنامه عشرون بيتا . وقصة فيروز ١٤١ بيتا فيها هذه العناوين :

(١) جلوس پيروز على التخت وقحط سبع سنين فى أرض ايران. (٢) حرب پيروز والتورانيين. (٣) كتاب خوشنواز الى پيروز . (٤) سقوط پيروز فى حفرة وموته .

---

(١) انظر جداول الساسانيين فى الآثار الباقية . (٢) الآثار .

ذكر نوبة فيروز بن يزدجرد بن بهرام جُور . وكانت مدّة ملكه ثمانى سنين وأربعـــة أشهر

قال : فقعد فيروز على رأسـه تاج السلطنة ، وحضرته الأكابر والأمراء والموابذة والعلماء . فقال : إنى أسأل الله تعالى أن يطيل لى العمر حتى أقيم الناس فى مراتبهم حتى يُرى الصغير صغيرا والكبير كبيرا . إن رأس الإنسانية أن يكون الرجل حليما ، ومن كان خفيف الرأس فلن يزال ذليلا . وإن عماد العقل هو العـدل والإحسان ، وكل ملك حرم العقل لا يطول على ملكه الزمان . ثم إنه قام بالملك يسوس الناس ويرجّيهم الخير ويخوّفهم البأس . وبعد سنة من ملكه انسدت أبواب السماء ، وجفت ضروع الأنداء . واستمرت تلك الأزمة السنة الثانية والثالثة والرابعة . فأسقط الملك خراج الأرض ، وأمر باطلاق نفقات الرعية من أهرائه الخاصة فى جميع الممالك . وبث الكتب فى الأطراف يذكر فيها أنه إن رفع اليـه أن أحدا مات من الجوع فى مدينة أوضيعة خرب تلك المدينة والضيعة ، وعاقب أهلها أشدّ العقوبة حتى يقوم الغنىّ بكفالة الفقير فيعيش المقلّون فى كفالة المثرين .

وقال غير صاحب الكتاب : فساس فيروز على هذه الجملة رعيته فى تلك اللزبة الشديدة والمجاعة الطويلة سياسة لم يعطب معها من الجوع[١] سوى واحد من أهل أردشير خُرّه يدعى رنه[٢] .

قال صاحب الكتاب : فتمادت المجاعة سبع سنين فأمر فيروز بخروج الناس للاستسقاء فخرجوا وابتهلوا الى الله تعالى ، وضجوا اليـه بالبكاء ، ورفعوا أيديهم بالدعاء . فلما دخل فصـل النيروز من السنة الثـامنة أغاثهم الله بغيوث أحيت العباد والبـلاد . فأخصب مَرادهم ، واتصلت من السماء أمدادهم ، وطلعت الأنوار والأزهار ، وأعشبت الحدائق ، ورفعت أقداحها الشقائق ، وتفجرت الينابيع من الأرض ، ولمعت قوس قزح من الجوّ كما قيل :

وقد لمعت قوس السماء بأخضر ... على أصـفر فى أحمر إثر مبيضّ
كأذيال خود أقبلت فى غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

قلت : ورأيت فى بعض الكتب أنه لما فاضت عليهـم السماء وسال المـاء استبشروا بذلك وصبوا المـاء على رءوسهم . فبقى بينهم ذلك الرسم الى الآن . وهو عيد صب المـاء المشهور المذكور فى الكتب .

---

(١) طا ، كو : من الجوع أحد سوى رجل واحد . (٢) طر : برنا .

قال : ولما خلص فيروز من ضيق تلك الأزمة الشديدة أمر فبنوا له مدينة وسماها فيروز وهى التى نسميها أردبيل[١]، وبنى مدينة أخرى وسماها باذان فيروز، وهى مدينة عند الرى . فلما فرغ من ذلك جمع العساكر وفرّق عليهم الأموال والذخائر، وتجهز لقتال ملك الترك المسمى خوش نواز § . فجعل أخاه هُرمزد على[٢] مقدّمة جيشه ، وجعل ابنه قباذ على ساقته ، وأقام ابنا له آخر يسمى بلاش مقام نفسه من سرير السلطنة، وتركه فى دار ملكه ، وجعل وزارته الى رجل من أهل شيراز يسمى سوفزاى (أ) موصوف بالعقل والرأى والصرامة والذكاء . ثم سار وتوغل بلاد الترك . فلما انتهى الى الميل الذى نصبه بهرام جور فاصلا بين المملكتين لئلا يتجاوزه أحد من كلا الجانبين قال: إنى لا أرضى بهذه القسمة، ولا أبقى هذا الميل إلا على وادى برك[٣] — وهو دون الشاش — ولابدّ أن أتوغل بلاد الترك . فلما انتهى الخبر بذلك الى خوش نواز بن الخاقان أرسل اليه يقول: إن جدّك بهرام كان أفخم منك أمرا وأعظم قدرا ؛ ولم يكن فى ملوك إيران مثله فى الروعة والجلالة والشهامة والصرامة . وقد رضى بهذه القسمة العادلة بين المملكتين، وهذا عهده معنا . والأولى بك ألا تغير قاعدة أسسها هو من قبلك ، ولا تستمر على غلوائك وجهلك ، ولا تستبد فى ذلك برأيك . فإنك اذا فعلت ذلك اضطررت إلى جر العساكر لقتالك والتشمر للقائك . فأعذر[٤] وأنذر . فاغتاظ فيروز واستشاط

§ كسفت الشمس قبيل سير فيروز لحرب الهياطلة ، ولعل الناس تشاءموا بهذا فوهنوا . وفى الطبرى روايات مختلفة عن هذه الحرب بعضها يقارب ما فى الشاهنامه . وبعضها يحدث بأن الجيش الفارسى ضل فى الصحارى بخديعة الهياطلة فهلك كثير منه واضطر فيروز الى المصالحة والرجوع . ثم عاود الحرب وعبر الخندق الذى حفره ملك الهياطلة على قناطر نصب عليها رايات ولكنه هزم فارتد الى الخندق بعيدا عن القناطر وسقط فيه .

والذى يرويه التاريخ عن هذه الوقائع أن فيروز حارب الهياطلة فهُزم وصالح على شروط منها أن يزوج إحدى بناته من ملك الهياطلة . ثم أرسل اليه أمة فلما تبين الأمر غضب وأرسل الى فيروز أن أمدنى بطائفة من قوادك ليعاونونى فى حرب فأرسل اليه ثلاثمائة فقتل معظمهم ومثل ببعضهم=

(أ) فى نسخة مول : سرخاب، وفى ورنر : سرخان . ويذكر بعدُ فيهما بعد باسم سوفراى . ويسميه الطبرى والثعالبى سوخرا . وأظن هذه الصيغ المختلفة قراءات مختلفة لهذا الاسم فى الخط الفهلوى والعربى .

(١) طا، طر : يسميها الناس . (٢) كلمة "على" من طر، كو .

(٣) فى كو، الشاه — نسخة مول، وترجمة ورنر : ترك . (٤) طا، كو : وأعذر وأنذر .